رشيد

المدينة الباسلة

عباس السيسى

رشيد

المدينة الباسلة

عباس حسن السيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
دار الدعوة بالاسكندرية

٦٦ شارع صفية زغلول ـ ت ٣٩٠٠١
١ شارع منشا ـ محرم بك ت ٢١٧٨٨

الاخراج والرسوم
سيد عبد الفتاح

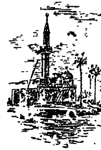

إهداء :

إلى الجيل الجديد من أبناء رشيد ...
أمل الحاضر والمستقبل ...
إلى أبناء رشيد الذين هاجروا منها،
وما زالوا يحنون إليها ...
ويتنسمون أخبارها ...
ويتطلعون إلى غدها المشرق

عباس حسن السيسى .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

لقد عدت الى بلدى رشيد عام ١٩٥٦ بعد عشرين عاما قضيتها طالبا وجنديا متطوعا فى القوات المسلحة فى تنقلات مابين القاهرة ومرسى مطروح والاسماعيلية وطنطا والاسكندرية والعريش وغزة واسيوط .

وحين حيل بينى وبين العمل الوظيفى بعد محنة الاخوان المسلمين عام ١٩٥٤ اتجهت الى الأعمال الحرة — وفى هذه الفترة زارنى كثير من الاخوان والأصدقاء الذين كانوا يفدون الى رشيد لمصالح وظيفية وتجارية وسياحية .

وكان الكثير منهم شغوفا بالتعرف على تاريخ رشيد ومعالمها وآثارها — فكنت اصحبهم فى جولة فى انحاء المدينة لمشاهدة هذه المواقع — وكان لزاما على بصفتى من ابناء رشيد ان اقدم لهم شرحا فنيا وتاريخيا عن كل أثر وكل موقع وان اجيب على كل تساؤل نحو طبيعة واخلاقيات وعادات اهل رشيد .

وقد دفعتني هذه الظروف للبحث عن مزيد من التقصى والمعرفة ـ فقرات :

١ ـ تاريخ الجبرتى .
٢ ـ غادة رشيد للأستاذ على الجارم .
٣ ـ كتاب على ضفاف بحيرة ادكو ـ للواء عبد المنصف محمود .
٤ ـ كتاب ادكو ماضيها وحاضرهاومستقبلها ـ للأستاذ محمد محمود زيتون .
٥ ـ كتاب اقليم البحيرة للأستاذ محمد محمود زيتون .

ورايت من الضرورى الاتصال المباشر باهالى رشيد من المعمرين الذين تجاوز بسنهم المائة عام موجدت عندهم معلومات واخبارا ووقائع استقوها من آبائهم وأجدادهم السابقين بما يضيف الى اعمارهم مائة عام اخرى وعجبت انهم كانوا يتميزون بذاكرة واعية .

وفى مجال هذا البحث جال بخاطرى ان اسجل هذه المعلومات فى كشكول تقديرا لها وحفاظا عليها ثم تحمست للتوسع فى التنقيب عن الآثار والأخبار بالسؤال والمشاهدة والملاحظة ، فدونت كل ماقرات وما رايت وما سمعت حتى لو كان فيه نقد صريح لبعض التصرفات والعادات لاعتقادى ان هذا من موجبات البحث دون أن اقصد الاساءة أو التجريح .

وكنت اتمنى لو اتسع جهدى ووقتى حتى يتجاوز الحديث عن رشيد المدينة الى جميع بلاد مركز رشيد التى نحمل لها المودة والحب والتى لاينفصل تاريخها عن تاريخ المدينة الأم . ولعل الله ييسر من الجهد والوقت حتى نوفى هذا الجانب حقه .

واليوم وقد اصبحت رشــيد مدينة سياحية يتردد عليها الزوار من كل مكان يسالون ويستفسرون عن تاريخها العريق ومعالمها الرائعة ، فقد رايت من واجبى ان اقدم هذا الكتاب ليكون خطوة فى سبيل النهوض لاستكمال هــذا البحث حتى نصل الى حصيلة علمية وتاريخية شاملة .

وانا على يقين بانه قد سبقنى الى هذا المضمار بجهود صادقة وموفقة بعض الأساتذة من ابناء رشيد الكرام ، غير أنهم وقفوا عند حدود التدوين فقط . وعسى ان يكون هــذا الكتاب بمثابة عامل يفســح لهم الطــريق ، حتى نستكمل الصورة المشرقة لرشيد من كل جوانبها . فلا تزال المراجع عن هــذا البحث قليلة ومتفرقة .

ولعل اهم ماقصــدت من وراء هذا الكتاب هو محاولــة ايجاد يقظة فى شــباب هذا الجيل للتعرف على ماضــيهم وحاضرهم واستنهاضه لتتضافر جهوده فى ســبيل النهوض بالمدينة المجاهدة بما يتناسب مع ماضيها العظيم .

عباس حسن السيسى

غرة ذى القعدة ١٣٩٩
اكتوبر ١٩٧٩

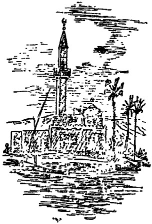

لمسة

مسحة ربانية !

فوق تل أبو مندور :

مسحة ربانية من مسحات الفن والجمال اضفاها الله على هذا المكان الساحر الخلاب ـ يد القدرة هى التى صممت هذا الابداع البديع فى تناسقه وتنوعه ـ ورسمت هـذا المنظـر الرائع على الطبيعة فصار يحاكى الفردوس اذا لم يكن هو صورته . تتراءى للنـــاظر من أعلى التل أروع مناظر شبه الجـزيرة التى يكسوها سندس أخضر وينعرج حولها النيل مندفعا الى قاعدة أبو مندور ليستقيم فى طريقه الى مصبه حيث مرج البحرين .

الحياة هناك ساكنة الا من صوت الأمواج حين تتلاطم والمراكب الشراعية حين تقترب فى جمال ورقة ، ومئذنة أبى مندور تتعالى فى بهاء وجلال ليدوى منها صوت المؤذن يجلجل ويهدر . وحين تاذن الشمس بالغروب وتسدل استارها يغمـر شـعاعها مع الشفق الأحمر بساط الأرض بلون جميل تهدأ معـه النفس وتستريح به الأعصاب وتهيم به الوجدان ـ ان النفس الانسانية التى تختلس فى الحياة لحظة تعرف فيها نفسها وتدرك فيها قيمتها وتستعذب طعم الوجود يمكن أن يكون تل أبى مندور باعث هذا الشعور .

ان اجمل صفاء واصفى جمال للروح والنفس حين يغمرها جمال مزدوج . جمال الطبيعة وجمال الروح وانك لواجد هـذا كله فى رحاب (ابو مندور) . المـاء يجرى من تحتك والجزيرة الخضراء منبسطة امامك تهز مشاعرك وقلبك . والتلال ذات الرمال الصفراء الناعمة مرتعا لرياضتك ونزهتك . وخزان ميـاه رشـيد مصعد تكشف منه الحدود . ومسجد (أبو مندور) مهبط أنسك ووحيـك وعبادتك . ان شئت للروح صفاء ، وان شئت للجسم دواء ، وان شئت للنفس هدوءا .

هذا هو المنظر الخلاب الذى استهوى اليه قلوب الهواة من كل مكان ــ انه رائع ذائع الصيت لمـا حباه الله من عوامل طبيعية فذة ــ وسيبقى هذا عنوان جميل لسياحة رشيد ــ حتى يهب الله له من يمهد له على الساحل طريقا مرصوفا ويحيط به من وسائل الراحة واسباب الاقبال ما يحقق لهـذا المكان مايستحقه من الذكر والخلود وما يعود على رشيد من نفع وخير .

ان مسجد ابى مندور وما يدور حوله من أبدع وأروع المناظـر التى خطتها يد الرحمن لهو آية خالدة على ابداع القدرة الالهية ــ فكان لرشيد بعض جمالها أو كل جمالها . اذا استلهمت فى هـذه البقعة اجمل معان الوجود بالمسجد واعظم مصادر الخـير بالنيل وأروع مناظر الطبيعة بالجزيرة والخضرة والمـاء واعظم معـان القوة بالطابيـة والمدافع التى كانت ترتفع على تل (أبو مندور) فسجلت فى التاريخ ذكرا على مر الدهور . وسيبقى تل (ابو مندور) متعة العيون والقلوب والأرواح .

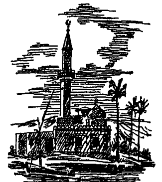

** مدخل مدينة رشيد
(مسجد عجوة) ـــ كوبرى الجدية

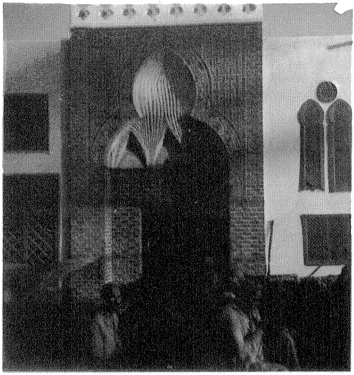

* مدخـــل
مسـجد
المـرابى

* واجهـة
متحـف
رشـيد

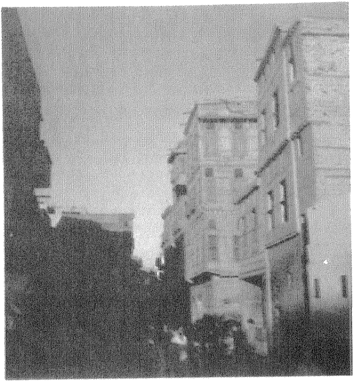

* مجموعة المنازل الاثرية بشارع دهليز الملك

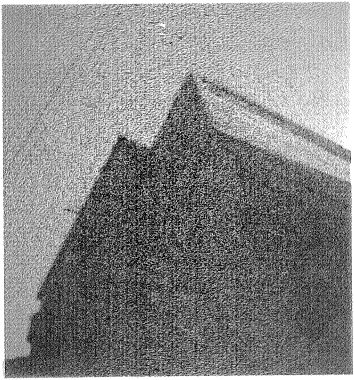

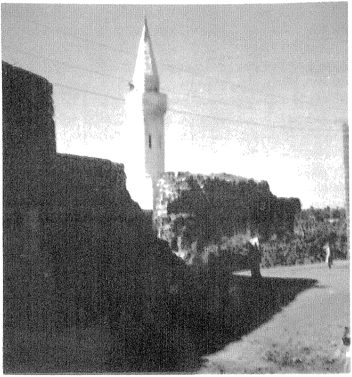

* طابية قايتباى فى برج رشيد بداخلها مسجد بنى حديثا

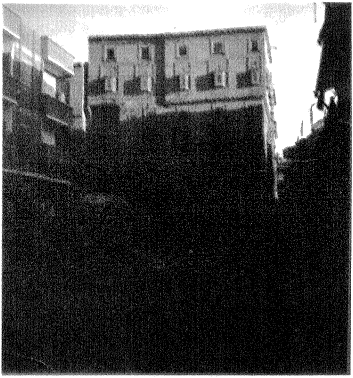

* منزل الامصيلى

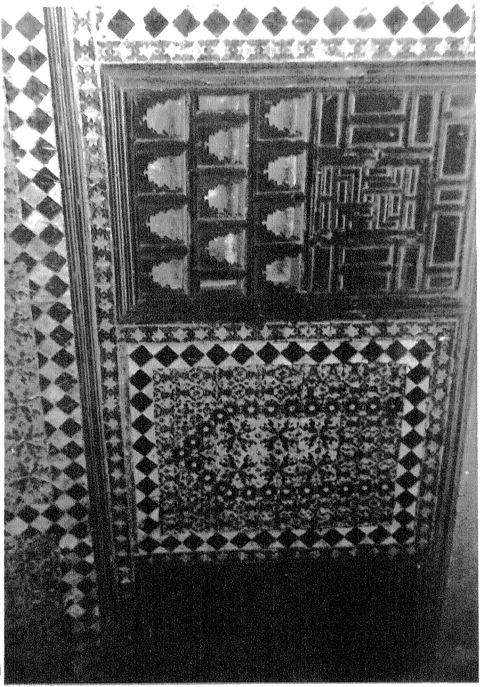

** الفن العربى الاسلامى الذى تمتاز به معظم
منازل رشيد الاثرية

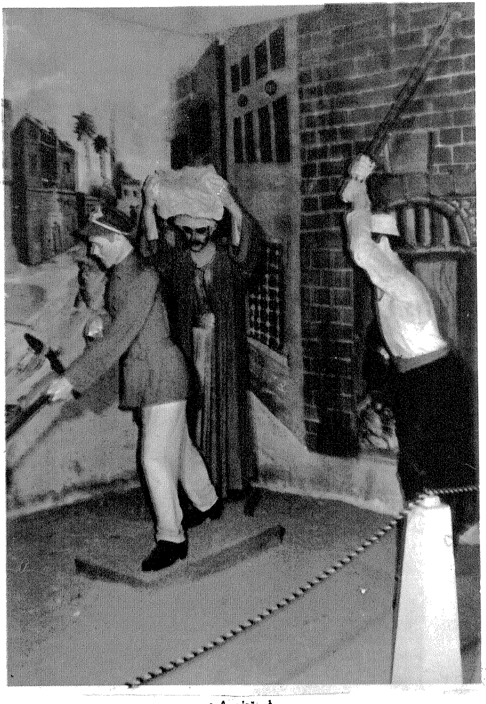

في متحف رشيد

المقاومة الشعبية في شوارع رشيد

حملة فريز ١٩٠٦

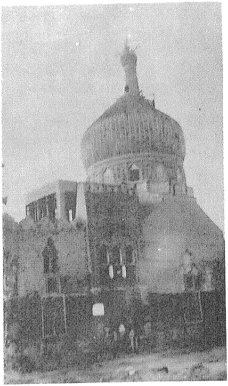

❋ مسجد العباسي

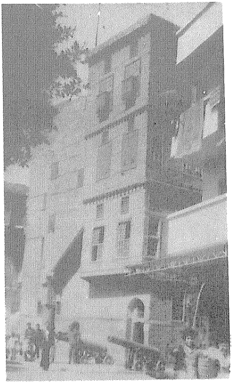

❋ دار متحف رشيد منزل عرب كلي

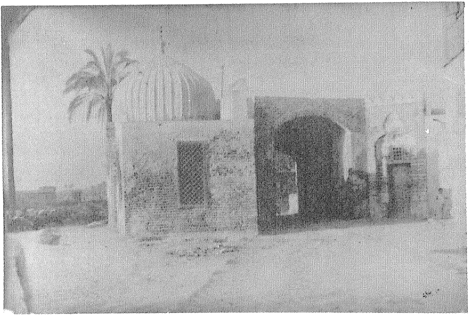

❋ بوابة أبو الريش الأثرية

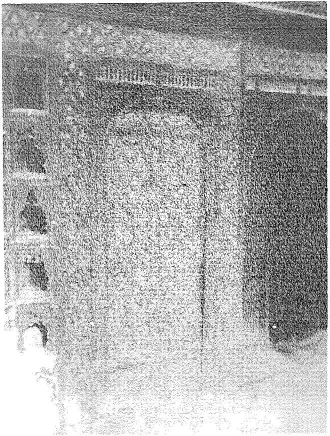

* من نجارة الأرابيسك فى المنازل الأثرية

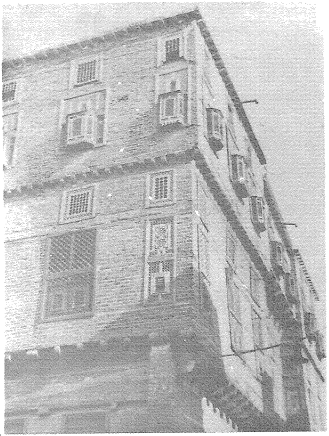

* منزل الأمصيلى

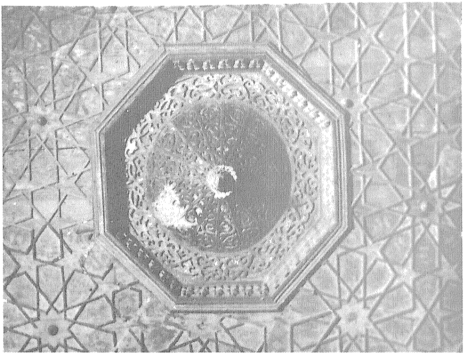

* منظر سقف لأحد منازل رشيد الأثرية

* واجهة منزل الأمصيلى

الباب الأول

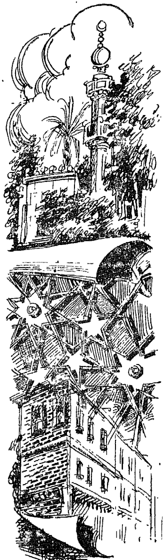

.. رشيد في القديم

* رشـــيد المجــاهدة ٭
* وصف للمدينـــة ٭
* حجــر رشـــيد ٭
* أحيـــاء وضواحى المدينة ٭
* طريق رشـــيد اسكندرية ٭
* بين الاسكندرية ورشـــيد ٭
* فكرة تاريخية عن منطقة ادكو ٭
* رشـــيد بين الاسكندرية والبحيرة ٭

رشيد المجاهدة :

عنوان فيه تعبير واضح عن حقيقة القلوب التى تعيش فى رشيد — فاذا قلنا رشيد الخالدة ، فان هذا كله حق — فالتاريخ القديم فى هزيمة انجلترا عام ١٨٠٧ والتاريخ الحديث فى ثورة عام ١٩١٩ شاهد صدق على ذلك — والخلود والعظمة والمجد فيما ستقرأ من مواقف رجالات رشيد سواء أمام العدو والدخيل أم أمام الحكام الظالمين — تلك من مواهب الايمان . فالايمان وحده هو باعث المجد ومحقق المعجزات .

واهل رشيد على مر الزمان صورة صادقة لهذا الايمان سواء فى مواقف البطولة والاستشهاد أم فى مواقف الحق والرأى . أم فى مواقف الشدة والبلاء .

واهل رشيد قبل خمسين عاما مضت كانوا أعلم الناس بشئون دينهم وانفقه الناس فيه ورغم أنهم كانوا أميين الا قليلا منهم فان الفقه على المذاهب الأربعة كان يدرس لهم فى المساجد وكان لكل مذهب مدرسة تتحمس له وتناقش فيه .

وعلى ضوء ماسبق كانت حياة اهل رشيد كلها تعاون ومحبة وسعادة حتى ان مساكنهم كانت فسيحة وأعمالهم وتجارتهم كانت مربحة . أرضهم خضراء وبساتينهم غناء — فكانت رشيد بحق بلد الورد والمجد . وبلد فى مثل هذا النعيم يعز على أهله أن يضيع بين الطامعين والمستعمرين .

وصف لمدينة رشيد :

رشيد بلد جميل يقع على ملتقى النيل بالبحر الأبيض المتوسط . يتعانق عنده البحران فتكون آية الله الخالدة « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا » ومن توفيق الله أن يكون اسم هذه المدينة من أجمل الأسماء لفظا ومعنى وهى طيبة المناخ هادئة تشرق عليها الشمس من خلال الأشجار والأزهار فينعكس ضوؤها على صفحة النيل تأخذ بالألباب وتبهر الأنظار ومن وصف الموسوى الرحالة لها :

فيا حسن هاتيـــك الديار وتربها
فكم تحوى حسنا يجل عن العد
وفى شاطىء النيل المقدس نزهة
تجدد ماقد فات من سالف العهد
ومن مرج البحـــرين أى عجائب
تلوح وتبدو من قريب ومن بعد

وعند مسجد أبى مندور عند الغروب أروع مشـــاهد الطبيعة وأغنى مصادر الجمال والالهام — هناك عند هذا المشهد الرائع تسكن النفس وتهدأ الأعصاب — ويستروح الانسان أحلى نسمات السعادة والحياة — وهذه الحدائق الغناء والبساتين الفيحاء والأشجار وما عليها من ثمر تسر الناظرين تجعل من رشيد جنة وارفة الظلال ، وصفها شاعر قبطى كان مقيما بها فى القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى :

هـــذى رشيد وكم حوت من روضة
غنـــاء وقصـــر فى الرياض مشـــيد
من لم يقـــل بصفاء بهجـــة نيلهـــا
وبهائهـــا تلقـــــاه غير رشـــيد

ولهذا أطلق عليها الانجليز حين دخلوها واستنشقوا عبيرها اســـما جديدا عرفت به فى الكتب والخرائط القديمة Rosetta بلد الورد .

رشيد بلد مجيد له فى التـــاريخ اثر خالد لم يجد احدا يؤرخه فيكون للسابقين ذكرى وللحاضرين حافزا .. وللقادمين مثلا — وان كان قد دفن مع السابقين لب الحقيقة التاريخية وأدق المعلومات المطوية — فلا يفوتنا

أن نلتقط من أفواه المعمرين وصـــدور الحافظين مايقربنا من الحقيقة التائهة وربط المـــاضى بالحاضر واستجلاء المواقف المشهورة والحوادث البارزة واعلانها على صفحة التاريخ « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

وليس فى رشيد سوى بعض المعالم الأثرية الخالية من كل بيان اللهم الا لوحة رخامية بالعربية أو التركية لاتزيد عن كلمات عن منشئها وتاريخ انشائها . وتلك الصور التى تدل على روح مبدعها فهى عربية اسلامية فنا ومعنى وهى بهذه الصورة تنبئك عن صورة من حياة الناس الاجتماعية منذ مائتى

عام كما تعطيك صـــــورة جليـــة عن فن المعمار الذى لايزال يزهـــو الى يومنـــا هـــذا .

ان رشيد لها مجد قديم فهى أقدم الثغور الاسلامية عرفت منذ القرن الأول الهجرى . فيها المسجد الجـــامع المسمى بمسجد زغلول وهو من المساجد القديمة الأثرية النادرة المثال بمصر ـ تزيد رقعته على رقعـــة الجامع الأزهر اذ كان به ثلاثمائة وستون عامودا ومزولة للتوقيت وكان به مساكن لطـــلاب العلم الغرباء ـ وكان يدرس فيه العلم نخبـــة من كبار العلماء .

ثم انك لتقرأ عن رشيد فى أخبار الحروب والمعاهدات التى كانت تتم بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول وتوقع فى ثغر رشيد . وأيضا فى الفرمانات التى كان يصدرها الوالى فى تركيا ـ وتتابعت أخبار رشـــيد بفضل من نبغ فيها من رجال العلوم والفنون ، اذ كانت رشـــيد مركزا تجاريا كبيرا ذا صلات بالشام وتركيا والأقطـــار العربية ممـــا جعـــل التجارة بها مزدهرة ومن أجل هـــذا أنشأ الملك الظاهر بيبرس فنـــارا على كوم بحرى رشـــيد لمراقبة السفن القادمة من أنحاء العالم ، ومن أجل هـــذا أيضا أنشئت فى رشيد عدة فنادق كبيرة من أهمها فنـــادق « وكالة القنصل - ووكالة الباشا » وغيرها .

وقد عاصرنا هـــذه الحركة التجارية فى صورة « سكنيات » شراعية كبيرة كانت ترسو أمام جمرك رشـــيد وفيها كثير من البضائع المختلفة أهمها الفواكه مثل العنب الأزميرى والرمان وزيت الزيتون ـ وكان التجار والبحارة يلفتون الأنظار لاختلاف أزيائهم والسنتهم والوانهم ومن هنـــا استوطن رشيد كثير من أبناء الجاليات الاسلامية من تركيا واليابان والشام وعاشوا فيها ودفنوا بها ولا تزال كثير من عائلات رشيد تحمل هـــذه الأسماء الى يومنا هذا مثل عائلات (تيرانللى ـ عرب كلى ـ المغربى ـ العنتبلى ـ الجريدلى) وعلى مقابر رشيد القديمة التى كشفت عنهـــا الرمال شواهد ومقابر رخامية غاية فى الفن والابداع تحمل أسماء كثيرة من أعيان وحكام رشيد فى هذا الزمان . ولولا أن كثيرا من هذه الشواهد سرقت لاستطعنا أن نعرف كثيرا عن هذه الفترة من التاريخ .

وفى القرن التاسع عشر ازدهرت الصناعات فى رشيد فأنشىء بهـــا

مصانع للغزل والنسيج والحدادة ومكانها المعروف وكالة الحدادين وقد هدمت الآن ومكانها بجوار مسجد زغلول كما برعت رشيد فى صناعة السفن ولا تزال الاسكندرية تستعين بها فى صناعة السفن الى الآن .

كما انشىء بها مصانع للرخام والورق والجلود وقد اكتشف فى رمال رشيد برادة الحديد ، وكان بها مصانع للطرابيش وقماش وحبال المراكب .

ووجدت فى رشيد مضارب الأرز التى اشتهرت بها عام ١٨١٦ ميلادية وصاحب هذا الاختراع هو « حسين شلبى عجوة » ولم يبق من هذه الصناعات الكبيرة شىء يذكر سوى بعض مضارب الأرز الحديثة .

ولمدينة رشيد مكانة عظيمة عند علماء الآثار واساتذة الفن العربى والاسلامى والفن المصرى — وعلماء الفن والتاريخ المصرى القديم مدينون بالفضل لحجر رشيد الذى كان مفتاحا للغة المصرية القديمة وقد عثر عليه فى قلعة « قايتباى » بعزبة البرج بحرى رشيد وموجود الآن بمتحف لندن وقد وضعت لوحة رخامية على جدار القلعة برشيد تفيد هذا الخبر وعلماء الفن الاسلامى يعجبون لطراز البناء بالطوب فى منازلها ومساجدها فلم تجتمع فى بلد من بلاد مصر مجموعة من البيوت الأثرية مثلما وجد فى رشيد بعد القاهرة — واساتذة الفن يقفون عند كل مشربية او صالة استقبال أو نقوش كوفية أو اشغال صدفية او قباب مبنية بالطوب مواقف تحليل واعجاب وتزكية — وكما اعدت هذه البيوت لتكون سكنا وتحفا فنية فانها قد أعدت ايضا لتكون حصونا حربية يدافع منهسا اصحابها دفاعا شرعيا عند اقتضاء الحروب والفتن الأهلية . فان ابوابها من الخشب المصفح بالمسامير الحديدية ومداخلها غاية فى التعقيد والسرية . وبها مغارات ومخابىء وسراديب غاية فى الخداع للانتقام والتخفية .. وهذه البيوت مزودة بصهاريج للمياه العذبة مبنية على احدث طرق الفن المعمارى للمحافظة على المياه من الرشح وعلى المبانى من الرطوبة والتلف . حتى انه يتعذر هدمها مهما اوتى الانسان من قوة . فيعاد البناء عليها كأساس للمبانى وتقوية بعد ان يتعذر هدمها فتردم وتبقى كما هى . وبجوار كل صهريج للمياه يوجد شباك به سبيل ماء ليشرب منه الغادى والرائح وهذه سنة أهل هذا العصر فى كل البيوت المبنية . وهذه الصهاريج التى تبنى فى أعماق الأرض تقوم على اعمدة

على شكل قباب لها من أعلى فتحة مستديرة تملأ حين الفيضان من ماء النيل وتبقى الى أيام التحاريق مغطاة فيرسب الطمى فى قاعهـــا ويبقى المـــاء باردا زلالا شهيا .

وأروع المنازل الاثرية فى رشـــيد منزل الأمصيلى وهو قائم بشـــارع الشيخ قنديل وتتبعه طاحونة لطحن الغلال على الطريقة القديمة والمنزل من الخارج والداخـــل صورة جميلة للفن العربى والاســـلامى — ومنزل « عرب كلى » وهو القائم بشارع الجيش ومقر المتحف الوطنى الذى يمثل حضارة رشيد فى فن البناء ومجدها فى معـــركة الانجليز وعاداتها الاجتماعية وهناك عدة منازل أثرية غاية من العظمة وضخامة البناء تقع فى شارع دهليز الملك الذى كان يسكنه عظماء وحكام رشيد مثل عثمان بك خجا حاكم رشيد من قبل مراد بك والســـيد محمد البواب والســـيد ابراهيم الجمال وهما من كبار تجار الأرز .

وشارع دهليز الملك هو الذى يقطع رشيد من الشرق على شـــاطىء النيـــل الى مســـجد العرابى فى الغرب الى طريق رشـــيد اسكندرية أو دمنهور .

ومما يلفت النظر فى رشيد طابعها الاسلامى العريق فأنت حين تنزل اليها تفاجئك مآذنها الشاهقة ومساجدها الكثيرة المتجاورة التى لا يفصل بينها سوى عدة أمتار قليلة .

ومن المعروف أن رشيد لم يسكنها منذ القدم الا قلة نادرة من الأجانب غير المسلمين وليس فى أيامنا هذه أجنبى واحد يستوطن رشيد .

وجدير بالذكر أن تعرف أن الحكم فى رشيد منذ مائة عام تقريبا كان للشريعة الاسلامية سواء للمصريين أو لغيرهم من الأجانب المسلمين — وكانت حياتهم الاجتماعية تختلف تماما عن وضعها اليوم . اذ أن رشيد كانت محاطة بسور مرتفع وكان لها بابان أحدهما فى الشمال وهو بوابة (أبو الريش) وهى قائمة الى الآن كأثر من آثار رشيد والبوابة الأخرى كانت قائمة عند مسجد أبى مندور قبلى رشيد حيث كان يمتـــد العمران وتنتشر المزارع والبساتين مابين (أبو مندور) أو من الجدية الى بوابة (أبو الريش) ولا تزال تحت الرمال الواقعة بين مسجد (أبو مندور)

ومسجد العباسى بيوتا وآثارا للحمامات والمحال التجارية وكان مسجد البواب ذو المئذنة العالية آخر مكان غمرته الرمال عام ١٩٤٥ .

« والوكالات » هى الأسواق التجارية الكبرى التى تقوم فى قلب مدينة رشيد وهى الأسواق والمساكن معا . اذ تقوم المتاجر فى شكل حوانيت أسفل الوكالة وتقوم المساكن فى الدور الثانى الذى يعلو المتاجر وكل وكالة لها تجارة تعرف باسمها ولكل وكالة بابان كبيران وفى وسط كل وكالة يقوم مسجد للصلاة وتحت هذا المسجد صهريج للمياه — وتغلق هذه الوكايل على أهلها جميعا بعد صلاة المغرب وتفتح بعد صلاة الفجر بحيث لا يغيب عن كل وكالة أحد من أهلها حتى يعرفه القائم على أمرها . ووصف هذه الوكايل بديع رائع ولم يبق منها فى رشيد الآن أى أثر اذ أن آخر وكالة واكبر الوكايل قد هدمت عام ١٩٦٣ وهى وكالة الباشا .

وأخلاق أهل رشيد الاجتماعية لها طابع تعرف به فى كل مكان . فالانسان الرشيدى له سمة يتميز بها عن غيره من الناس . فمهما تباعدت بينهم المسافات وباعدت الأيام فانهم يعرفون بعضهم البعض بالحساسية ويتحابون ويتآلفون خارج رشيد بصورة تلفت النظر .

وأخلاقهم وعاداتهم تتطور ببطء وحذر فرغم قربهم من الاسكندرية العريقة فى المدنية الغربية الا أنهم لم يتأثروا بها الا فى بعض المظاهر العمرانية وقلة منهم هى التى قلدت فى التبرج والاختلاط أما الكثرة فمحافظون يتمسكون بتقاليد الاسلام ولا سيما العائلات القديمة التى لها جذور فى خدمة الدين . حتى أن أعيان رشيد فى القديم قد رفضوا ان يقوم بالأذان على مآذن المساجد سوى المكفوفين حتى لايروا النساء وهن على أسطح المنازل .

ولعدم وجود مصانع وشركات كبرى فى رشيد تستوعب عددا كبيرا من العمال وتجتذب عددا من المهندسين والمشرفين والموظفين من خارج أهالى المدينة فقد بقيت رشيد تحافظ على طابعها القديم فى أن يستيقظ الناس حسبما شاءوا ويفتحون محلاتهم حسبما أرادوا ويغلقونها وفق ارادتهم فلا أوقات رسمية تحكمهم ولا غرباء عنهم يغيروا من طبائعهم لكثرة اختلاطهم ومعاملاتهم فبقيت رشيد كما هى فى شكلها وطباعها ..

ومنذ أقيمت بها شبكة التيار الكهربائى وسرى التيار يضىء منازلهـا وشوارعها عام ١٩٥٦ ورشيد آخـذة فى التقدم والازدهار نسبيا حتى يقيض الله لها من يدرك أهمية موقعها الجغرافى والسياحى فينشط فى ادخال المشروعات الصناعية والسياحية فيها لتأخذ مكانها اللائق بماضيها العظيم ومستقبلها المـأمول .

فان رشيد أولى البلاد بأن تأخذ حقها المهضوم منذ قامت معركة رشيد فأوغرت صدور الانجليز عليها فعملوا على اطفاء نورها وتخريبها انتقاما وتشفيا . حتى أنهم قد حولوا رشيد من محافظة الى أحد المراكز وصدر بذلك قرار فى ٢١ ديسمبر ١٨٩٥ .

من القديم :

ظهرت رشيد على صفحة التاريخ القديم لمصر حين اكتشف فيها حجر رشيد الذى حل رموز اللغات القديمة وفتح كنوزها واضاء معالمها — وفى عهد الفتح الاسلامى اشتركت فى الثورة التى بدأت فى سمنود عام ١٣٢ هجرية حين سقطت الدولة الأموية أمام الجيوش العباسية وفر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية الى مصر وقتل بها . فأنتهز الأقباط فرصة الفتن وقاموا بثورة فى سمنود بزعامة رجل يسمى يوحنا وفى نفس الوقت ثارت رشيد غير أن والى مصر وقتئذ وهو عبد الملك حفيد موسى بن نصير استطاع اخمادها وقتل القائد يوحنا — ثم ان رشيد مالبثت أن تفاعلت مع الاسلام وتعاليمه حتى اصبحت من أكثر البـلاد تحمسا للاسـلام . « قال الراوى (١) » وأتت اليه أهل رشيد وفوة والمحلة ودبيرة وسمنود وجرجة ودمنهور وابيار البحيرة وصالحوه على بلادهم .

وقد جاء فى معجم البلدان الطبعـة الأولى ١٩٠٦/١٣٢٤ بمطبعـة السعادة والخانجى بالمجلد الرابع ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ رشيد ، ورشـيد بفتح أوله وكسر ثانيه بلفظ الرشيد ضد الغـوى — بليدة على سـاحل البحر والنيل قرب الاسكندرية خـرج منها جمـاعة من المحدثين منهم

(١) كتاب فتوح الشـام تاليف ابو عبد الله محمـد بن عمر الواقدى — الجزء الثانى صفحة ٨٦ .

عبد الوارث بن ابراهيم فراس الرشيدى المرادى قاضى رشيد ويحيى ابن جابر بن مالك الرشيدى القارى قاضى رشيد ايضا وسعيد بن سابق الأزرق الرشيدى مولى عبد الله بن الحبحاب مولى بنى سلول سمع عبد الله بن لهيعة روى عنه ابو اسماعيل الترمذى ومحمد بن زيدان ابن سويد الكوفى ساكن مصر وسواهم . ومحمد بن الفرج بن يعقوب أبو بكر الرشيدى يعرف بابن الاطروش سمع أبا محمد بن أبى نصر بدمشق وأبا صفى عمر بن احمد ابن عثمان البزاز وأبا على الحسن بن شهاب العكبرى بعكبرا وكتب كثيرا وحدث المعرة عام ٤١٧هـ روى عنه القاضيان ابو سعد عبد الغالب وأبو حمزة عبد القاهر ابنا عبد الله بن المحسن ابن ابى حصين وابنه محمد بن سعيد وابراهيم بن سليمان بن داود الرشيدى ويعرف بالبرلس .. والبرلس مقابل رشيد .. ا هـ .

هذا ماجاء فى معجم البلدان وان دل على شىء فانما يدل على مدى ما كانت تتمتع به رشيد من مكانة علمية وتاريخية والعلماء الأفذاذ هم كرامة كل بلد وكل قطر وهم نورها الذى يضىء لها مسالك الحياة والذى يرشد الناس الى الحق والخير وسوف أشير الى مكانة العلماء وتاريخ رشيد الاسلامى فى مواضع كثيرة حين أعرض شتى نواحيها فى الأبواب القادمة .

مدينة رشيد قد بدأت فى الظهور عام ٨٧٠ ميلادية فى عهد الخليفة المتوكل العباسى وقبل نشأتها كانت مدينة (فوة) هى الميناء الذى تقصده السفن فلما تراكمت رواسب النهر عز على السفن أن تصل بسهولة الى (فوة) — فأخذت ترسو عند قرية رشيد — وفى عهد حكم العثمانيين لم تكن مجارى المياه معنى بها فبطل رسو السفن فى (فوة) نهائيا — حتى أصبحت رشيد عام ١٧٧٧ أكبر ميناء غربى الدلتا .

وقد أجمع المؤرخون على أن كلمة رشيد مأخوذة من الاسم القبطى القديم (رشيت) وكانت فى الأصل بقية امتداد مدينة (بولبتين) القديمة التى ذكرها استرابون وكانت تشغل شاطىء النهر من رشيد الى جهة مسجد (أبو مندور) . ورشيد كثيرة الآثار والنقوش من عهود مختلفة وبها منازل أثرية عامة ترعاها مصلحة الآثار بالحفظ والاصلاح ومساجدها ذات قيمة تاريخية كبيرة لكثرة مابها من الأعمدة التى يرجح أنها من بقايا بولبتين

القديمة ومعبد آتوم الذى كان قائما بها . وقد اشتهرت رشيد بما ابلت فى حوادث الحملة الفرنسية والحملات المضادة لها وقد تزوج منها القائد الفرنسى مينو الذى سمى نفسه بعد أن أسلم فى سبيل زواجه بزبيـــدة البواب الرشيدية الحسناء ـــ عبد الله مينو .

حجر رشـــيد :

كما اشتهرت رشيد بالعثور على حجر رشيد الأثرى بها حين دخلتها الحملة الفرنسية وتمكن شامبليون بدراسة هـــذا الحجر من استكشاف الحروف الهيروغليفية وحل طلاسمها ، وقـــد عثر على هـــذا الحجر فى برج رشيد ويرجح أنه قد قام هناك فى قديم الزمان معبد كبير .

ويتلخص موضوع هذا الحجر الأثرى الموجود الآن فى معرض (اللوفر) بلندن . انه بعد أن مات بطلميوس الثالث عام ٢٢١ ق.م ابتدأت دولة البطالسة تتحدث بمـــا ارتكبه بطلميوس الرابع فيلوباتور من الشنائع ـــ ولمـــا مات سنة ٢٠٤ ق. م. قامت فتن داخلية أبيد فيها كثيرون من رجال الحاشية والسلطات حتى تدخل الرومان وثبتوا دعائم عرش بطلميوس الخامس الصغير وقضى على الفتنة فى ١٩٨ ق. م. وسنة ١٩٦ ق. م. اعاد بطلميوس الى الكهنة امتيازاتهم التى فقدوها فى عهد ابيه واجزل لهم العطايا واصدر عفوا عن جميع من قاموا ضده من المصريين ورد اليهم ممتلكاتهم فاقيم احتفال كبير فى ممفيس لشكره ومبايعته بالملك والطـــاعة باعتراف جميع الرؤساء والقسس ـــ ونقش محضر بذلك على حجر صلب من عـــدة نسخ ـــ احـــداها النســـخة التى وجـــدت فى برج رشـــيد عام ١٧٩٩ م .

نص المحضـــر :

واننا نورد هنا نص المحضر المذكور ـــ وقـــد كان محررا باللغـــات الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية . وبفضل مقارنة الكتابات الثلاث أمكن التوصل الى اسرار اللغة الهيروغليفية .

فى اليوم الرابع من شهر خاينكس من الســـنة التاسعة الموافق لليوم الثانى عشر من شهر أمشير عند المصريين قد صار بطلميوس (ابيفانس)

الصغير ملكا وظهر بمظهر والده على سرير ملكه وهو سيد البلادين البحرية والقبلية المتصف بالقوة والبأس — المدبر لأمور بلاد مصر ، المسدى الى اهلها النعم الكثيرة وصاحب الاحساسات الشريفة بالنسبة لآلهة البلاد . بما أظهره من علامات الاحترام والتعظيم لها وفعل الخيرات فى معابدها . وهو الذى ظفر بأعدائه وصير الناس سعداء . كما انه صاحب الأعياد التى استمرت ثلاثين سنة وقد اختاره الاله (تباح) وقواه الاله (رع) ولذا ظهر بمظهرها فى البلاد البحرية والقبلية وهو صورة الاله (آمون) وابن الاله (رع) .

بطلميوس ابيفانيس دامت حياته محبوبا من الاله (مفتاح) بن بطلميوس وارزينا كاهن الاسكندر والاله المدافع عنهم (حورس) الذى أخذ بثأر والده (أوزيريس) .

وقد كتب هذا المحضر تذكارا له بحضور رؤساء كهنة البلاد الذين يذهبون الى أماكن الالهة المقدسة ليقيموا الشعائر الدينية لها — وكذا بحضور الكتاب الذين وكل اليهم أمر الكتابة المقدسة (الهيروغليفية) وأيضا بحضور الكهان المصريين وحصل احتفال عظيم لذلك بمدينة (غنيس) تذكارا لجلوس الملك بطلميوس المحبوب عند الاله (مناخ) على كرسى الملك وحصل اجتماع فوق العادة فى معبد مدينة ممفيس وشهد جميع الحاضرين بفضل بطلميوس واعترفوا بكونه ملكا عليهم وابدوا شكرهم الجزيل وارتياحهم مما أظهره من آيات الاحترام بالنسبة للآلهة وافاضة الخير على المعابد وأهل البلاد البحرية والقبلية ومن الضرورى كتابة هذا المحضر على حجر صلب وأن تكون كتابته بلغة الآلهة (الهيروغليفية) ولغة المكتوبات الاعتيادية (الديموطيقية) ولغة اليونان كما أن من الضرورى وضعه فى معابد الدرجة الأولى والثانية والثالثة بجوار تمثال الملك دامت حياته وكذا بجوار تماثيل كبار الآلهة .

وصف لشوارع رشيد الرئيسية :

لما كانت رشيد تقع على ساحل شاطىء النيل فرع رشيد — ابتداء من ناحية الجدية الى ناحية برج وبوغاز رشيد — فقد ترتب على ذلك أن أصبحت شوارع رشيد الرئيسية كلها شوارع طولية موازية لساحل النيل

وتمتد تبعا لانتشار المساكن نحو الشمال وتقدمها باستمرار وشوارع رشيد عموما لم يشملها التنظيم بصورة تجعلها فى مصاف المدن الكبيرة كالاسكندرية مثلا أو دمنهور ويعود هذا الى امكانيات المجلس البلدى سابقا واعتراض المنازل الأثرية الكثيرة المنتشرة فى انحاء المدينة . كما أنه لاتوجد فيها مجارى عمومية للآن — غير تلك المجارى القديمة التى تسمى بالمجارى السلطانى اشارة الى عهد السلاطين وهى عادة تشمل المجارى التى تمتد من المساجد القديمة الى شاطىء النيل وكان من عادة كل من يقوم ببناء مسجد ان يصل المجارى الخاصة به الى النيل رأسا وبقيت هذه المجارى الى الآن ولكنها قليلة وغير صحية .

والشوارع الطولية الرئيسية على وجه التحديد ستة شوارع تبدأ شرقا بشارع كورنيش النيل ثم شارع الجمهورية ثم شارع على بك الجارم ثم شارع مسجد المحلى أوالسوق العمومى — ثم شارع المحطة الموصول بشارع على بك السلانكلى ثم شارع الشيخ قنديل الموصول بشارع معمل الشمع ثم شارع الجيش الذى ينحنى فى نهاية مسجد الأدفينى حتى يصل الى النيل قاطعا جميع الشوارع سابقة الذكر .

أما شارع كورنيش النيل فهو يبدأ جنوبا من مسجد العباسى ذى الموقع الساحر الجميل وتقوم على جانب النيل عدة مضارب للأرز ذات مداخن عالية أذكر منها : مضرب الحمادى ومضرب طبق ومضرب العنتبلى ومضرب الطيبانى وعبد الحافظ ويقع خلفهم مضرب عجمية ورمضان ويسمى هذا الموقع من شارع كورنيش النيل (الموردة) نظرا لأن جميع المراكب التجارية المحملة بالأرز الشعير كانت ترسو فى هذا المكان وأمام مضرب الحمادى كانت تقوم ماكينة لوابور مياه رشيد تغذى الوابور الموجود قريبا من الترعة الرشيدية وذلك قبل أن يصل الماء مرشحا الى المنازل فقدكان الماءيصل المنازل بدون ترشيح الى عام١٩٣٠ وأمام مضرب العنتبلى لايزال يوجد مسجد صغير يقع على الشاطىء مباشرة وكان الناس يتوضأون من النيل والمسجد مهجور الآن . وبعد ذلك يمتد الشارع حتى ينقطع عند ملتقاه بشارع موردة البصل ويبدأ بعد ذلك مسيره خلف مبنى محكمة رشيد حيث تقوم موردة اخرى هى موردة السمك وتقوم حلقات السمك الكبيرة وأهمها لعائلات « عينو — والبر — ومحارم » ولهؤلاء مراكب تسمى (بلنص) وتعمل آلية بالديزل تمخر البحر الأبيض

بحثا عن السردين والأسماك وفى موسم السردين الذى عادة مايبدأ فى أوائل أكتوبر من كل عام يزخر هذا الشارع بالناس من كل البلاد حيث ترسو مراكب من دمياط ومن بورسعيد ومن السويس ومن أبى قير ويزدحم الشارع بالبائعين المتجولين والصيادين .

ومن أجمل المناظر وأبدعها حينما تدخل المراكب من بوغاز رشيد مساء مضيئة أنوارها الساطعة على سطح النيل محملة بالسردين والخير الوفير وإنها لفرحة غامرة لأهالى رشيد الذين يسهرون الليل يرقبون هذه المراكب تحمل اليهم رزقهم من أعماق البحار ولا يكاد يخلو شارع من شوارع رشيد حتى تشم فيه رائحة السردين المشوى وتمتلىء المخابز الخاصة بشى السردين . فضلا عن أن مخازن تمليح السردين تفتح أبوابها ليلا ونهارا كما أن السيارات اللورى تغدو وتروح وهى محملة بالسردين الى جميع بلاد الجمهورية . ويزداد الضغط على مصلحة التليفونات والتلغرافات ويضاعف عدد الموظفين بها نظرا لموسم السردين والبلح .

وتنتهى موردة السردين حتى يتصل الشارع بنادى رشيد ويقع خلف مركز البوليس القديم على شاطىء النيل مباشرة — وهو المنتدى الراقى فى رشيد يؤمه رجال الادارة وعلية القوم وشباب المدينة .. وهو المنتدى الوحيد الذى يجد فيه الزائر لرشيد بعض راحته ونزهته وأمام المنتدى ترسو بعض قوارب شراعية للنزهة الى مسجد (أبو مندور) . والمنتدى تابع لمجلس المدينة وتحيط به حديقة واسعة تنتشر فيها الموائد للجالسين وفى المناسبات الوطنية يعقد فى المنتدى الندوات والمؤتمرات . وحفلات الزواج .

وعلى امتداد هذا الشارع تقوم مدرسة أم المحسنين للبنات ومدرسة على الجارم الابتدائية للبنين ثم يمتد الشارع حتى يتصل بمضارب أرز القزق وزقزوق وعرفة ثم مبنى سكن رئيس مجلس مدينة رشيد واستراحة مصلحة الرى — ثم ينحنى الشارع متجها الى البرج وبوغاز رشيد عند زاوية يقع عليها مبنى مستشفى رشيد المركزى الكبير الذى يقابله شريط للسكة الحديد التى تمتد حوالى ٢٠٠ متر على شارع جسر النيل كمحطة لشحن الطوب من مضارب طوب رشيد وعلى شارع جسر النيل يقع مبنى مصلحة المصايد وحرس الجمارك الذى يسمى عند أهالى رشيد بالكوشلة نظرا لأنه كان منذ مائة عاما مضت مكان قشلاقات رشيد

العسكرية .. ومن المزمع اقامة مسـجد ابى بكر الصـديق وملحقـاته الاسلامية على الأرض التى تواجه المستشفى المركزى وعلى بعد قليـل منها يقع مبنى شركة التعاون وشركة مصر للبترول (شل سابقا)وعلى بعد قليل يقع مبنى جيـاره وبعـد منحنى بسيط تقع عزبة حسن صالح واكثر أهاليها يعملون فى مضارب الطوب التى تمتـد بعـدها على طول الطريق وأهم هذه المضارب هى مضارب يونس والصبروت ومنسى ومرعى أبو طالب ــ أبو شاهين . وعلى بعد سبعة كيلومترات يقع برج رشيد وعلى بابة تقابلك طابية قايتباى التى عثر فيها على حجر رشيد . ويمتد الشارع بعد ذلك مرصوفا الى بوغاز رشيد .

أما شارع الجمهورية فيبدأ من قبلى رشيد بمبنى المحكمة ثم مقر المطافىء ثم مقر مصلحة التليفونات ومقر المستوصف وينتهى الشارع بمبنى مركز بوليس رشيد الذى افتتح فى شهر يوليو عام ١٩٦٤ وهو مبنى حديث اقيم فى نفس المـكان الذى قام عليه مبنى محافظـة رشـيد وأحرقه الثوار عام ١٩١٩ وأمام مبنى مركز البوليس تقع حديقة رشيد العامة التى يُرتفع فى وسطها أعمدة لاسلكية تابعة لمصلحة الطيران المدنى التى أقيمت فى رشيد عام ١٩٥٦ وينتهى هذا الشارع بمبنى مصلحة الطـيران ومشتل تابع لمجلس مدينة رشيد . وان كان الشارع ينحرف شمالا ليتصل بمبنى مدرسة رشيد للبنات وهى من أقدم المدارس ومدرسة رشـيد الثانوية للبنين والذى يقع خلفها مبنى الساحة الشعبية بملاعبها الواسعة ويوجد الى جوارها مبنى مدرسة تحفيظ القرآن الكريم .

أما شارع على بك الجارم فيبدأ من قبلى رشيد عند سوق الحدادين وهو سوق قديم جدا وكان يقوم فى وكالة قديمة وقد هدمت عن آخرها واستعاض أصحاب محلات الحدادة بمحلات جديدة فى غير هذا المـكان وغير متجاورة . ويبدأ الشارع بمحلات زردق للتجارة الميكانيكية وبجوار هذا الشـــارع تقوم منازل اثرية أهمها بيت (جبلى) الشهير الآن بمنزل جبرى بعد تحريف الاسم ولا يزال باقيا منه الى الآن سبيل الميـاه فقط يقوم على عمودين كبيرين جدا من مخلفات معابد رشيد القديمة . ثم يقع فى هــذا الشارع مسجد دمقسيس أى مسجد المعلق وأمامه منزل أثرى ضخم يسمى منزل البقراوى ويعتبر مسجد دمقسيس من أجمل مساجد رشيد ويطلق عليه مسجد المعلق لأنه يقوم على أعمدة ويمتد الشارع حتى

تقع فيه محلات الصاغة واشهر من يعملون فيه عائلات زبارة والناقة ثم يمتد الشارع حتى مبنى سراى عمدة رشيد المرحوم محمد بك عثمان طبق التى هدمت اخيرا وتقع امامه حديقة رشيد حتى يتصل الشارع متقاطعا مع سراى متحف رشيد اى منزل عرب كلى الأثرى بشارع الجيش ثم يمتد الشارع الى دار الثقافة حتى ارض مضرب أرز بدر الدين ومخازنه الضخمة والى جواره مسجد زاوية الباشا حتى ينتهى الشارع بالسكة الحديد التجارية ومسجد ابوالريش .

اما شارع مسجد المحلى وهو اطول شوارع رشيد واكبر شارع تجارى بها وهو يقسم رشيد طوليا الى نصفين كما يقسمها شارع دهليز الملك عرضيا الى نصفين احدهما قبلى رشيد والآخر بحرى رشيد . ويبدأ شارع السوق العمومى ابتداء من مكان المقابر قبلى ثم مسجد زغلول الجامع ثم يمتد الشارع من مسجد زغلول الذى يقابله مسجد الرباط ويجاوره مسجد الكردى ويمتد عند حمام البسفانجى القديم الذى هدم عام ١٩٦٣ وفى هذا المكان يوجد سوق خاص لتسويق أم الخلول وبيعها فى الاسواق ويمتد هذا الجزء من الشارع حتى يلتقى متقاطعا بشارع دهليز الملك يسمى شارع الصنادقية سابقا . والواقع ان هذا الشارع منذ اكثر من خمسين عاما كان من الشوارع التجارية والصناعية الهامة فى رشيد اذ كان يوجد به محلات صناعة صناديق العرائس والطبالى وكراسى للمبات الجاز وكان هذا هو كل جهاز العروسة مع ادوات النحاس وباقى المفروشات كما كانت تصنع الواح الكتابة الخشبية التى تستعمل فى تعليم الأطفال بالكتاتيب مع الواح الأردواز وكانت تصنع فى رشيد بكميات كبيرة . كما كانت تصنع فى هذا الشارع المكاييل الخشبية القدح والربعة وخلافها من مثل هذه المكاييل المعروفة الى عهد قريب كما كانت هناك محلات فى هذا الشارع لصناعة لباس للراس يسمى « اللبدة » وكان صاحب المحل اسمه اللبودى كما كانت توجد محلات للأقمشة أهمها محل الحاج محمد القبانى الكبير وكان محلا للأقمشة بالمتر . أما محل الأقمشة بالوزن فهو محل محمد سعيد السيسى . وكان الجانب الشرقى من شارع سوق الصنادقية هو ضلع من وكالة كبيرة جدا تسمى (وكالة خرابة الحنة) التى هدمت الآن تماما .. ومعلوم ان التجارة فى هذا الوقت كانت تعتمد على الفلاحين الذين يهبطون الى رشيد من أهالى البر الشرقى وخاصة كل يوم جمعة من الأسبوع .

ويمتد شارع السوق العمومى لتقع على راسه زاوية للصلاة تسمى زاوية الأربعين ويمتد الشارع حتى مسجد غحيمة وأمام مسجد غحيمة كانت تقع أكبر وكالتين فى رشيد آخرها وكالة الباشا التى تم هدمها عام ١٩٦٤ — وكان سوق العطارين يحتل جانبا كبيرا من واجهة وكالة الباشا حتى مسجد الجندى وأبرز أسماء العطارين فى هذا الوقت كانت عائلات المصرى وسمك والبحة — وكانت هذه المحلات تهبط عن مستوى الأرض حوالى مترا لقدمها ، وقد هدمت هذه المحلات مع هدم الوكالة والتى أقيم مكانها حى سكنى كبير وحديث .

ثم يمتد الشارع حتى يصل من مسجد الجندى الى مسجد سيدى على المحلى تتوسطه عدة مقاهى أهمها مقهى يسمى (قهوة نمنم) والمقهى يهبط عن مستوى الأرض حيث انها كانت مستقرة فى وكالة أيضا وقد تم هدمها . والذين كانوا يقصدون قهوة نمنم كانوا من الرجال المعمرين الذين يشربون القهوة فى (الجفنة) أو (جوزة الهند) .

وفى نفس الشارع كان يوجد محل لعائلة المسلمانى لتحميص البن وطحنه . وأمام مسجد سيدى على المحلى كان الحاج جمعة السيسى الكبير متخصص فى عملية تقطير العطر والزهر والورد التى انتهت من رشيد الآن . وكان يقصده الذين يصابون (بمغص معوى) فيعطيهم مجانا بعض النقط المركزة على قطعة من السكر للعلاج .

ويمتد الشارع بعد ذلك حتى يصل الى صالون عابدين للحلاقة وختان الأولاد ويتقاطع مع شارع الجيش ثم يمتد حتى يصل الى مسجد المشيد بالنور ثم ينتهى الشارع حتى مواجهة ما يسمى قبل ذلك بوكالة القنصل وقديما كانت تمر فيه ترعة تصل من النيل حتى عزبة الجميل وعزبة قطقط .

أما شارع مسجد الشيخ قنديل الذى كان يسمى سابقا شارع الفرس نسبة الى حسن بك الفرس الذى كان يقطن فيه — حيث كان مسجد الشيخ قنديل متهدم فى هذا الوقت — ويشتهر هذا الشارع فى العصر الحديث بكثرة محلات الأقمشة والأزياء والادوات المنزلية وأكثر عملاء هذا الشارع من النساء ويزدحم خاصة فى شهر رمضان المعظم .

وتوجد فى هذا الشارع بعض المنازل الاثرية واهمها منزل الامصيلى وبجواره الطاحونة الشهيرة ــ كذا توجد الأفران المتخصصة فى شى الأسماك التى هى الغذاء الرئيسى فى حياة اهل رشيد ، ثم يمتد الشارع حتى يتقاطع مع شارع الجيش وينتهى عند عزبة قطقط .

اما شارع الجيش المسمى بشارع النحاس باشا سابقا نظرا لأن النحاس باشا هو الذى افتتحه فى احدى زياراته لرشيد ، فان هذا الشارع يبدأ عند مدخل مدينة رشيد من جهة مسجد العرابى ويستمر فى اتجاه مسجد الأدفينى مارا بموقف الأتوبيسات والسيارات وشبكة النور ــ ومزار شيخ البلد ــ والحى الجديد الذى قام على أرض الكسارة والذى سمى بحى (مسجد الحروى) ثم حى (مسجد بابا حسن) ثم ينحنى الشارع يمينا عند عزبة (المنزلى) ويستمر حتى تقاطع مع شارع الشيخ قنديل وشارع المحطة ــ ثم كنيسة الاقباط الأرثوذكس ، ثم يتقاطع مع شارع مسجد سيدى المحلى ويستمر حتى يتقاطع مع شارع على الجارم ومتحف رشيد حتى يصل الى شاطىء النيل عند مقر مبنى جمرك رشيد .

أما الشوارع العرضية فى رشيد فاهمها هو شارع دهليز الملك المسمى الآن بشارع عبد السلام عارف وهو الشارع الذى يفصل بين بحرى المدينة وقبليها وهو من أقدم الشوارع حيث تكثر فيه المنازل الأثرية الهامة تلك المنازل التى كان يسكنها امراء المماليك مثل عثمان خجا والبرديسى واعيان وتجار رشيد .

ويعتبر هذا الشارع هو المدخل الرئيسى والأساسى للمدينة منذ القدم ، وفى هذا الشارع التحم المجاهدون من أبناء رشيد بالمعتدين من قوات انجلترا بقيادة فريزر عام ١٩٠٧ وتم القضاء عليهم من شرفات واسطح هذه المنازل المحصنة أعظم تحصين والمزودة بصهاريج المياه ومخازن الطعام .

ويعتبر الشارع الجديد الذى يبدأ من مضرب التحرير وينتهى عند شاطىء النيل هو الشارع العرضى الثانى وقد بدأ العمران ينتشر حول هذا الشارع من منازل ومصانع أهمها مصنع الطوب الرملى ومضرب التحرير ونقطة المطافىء وما يستجد بعد ذلك .

فكرة عن أحياء وضواحى رشيد

سبق أن تحدثنا عن وصف شوارع رشـيد الرئيسية وتعتبر هـذه الشـوارع هى قلب المدينـة ولكل قلب بعـد ذلك اطراف — وتسمى الأطراف القريبة بالأحياء والبعيدة بالضواحى .

أما الأحيـاء القريبة مثـل **عزبة أبو الريش** واسمـها الحقيقى بوابة أبو الريش — حيث توجد الى الآن بوابة أثرية على جانب كبير من الأهمية عند مدخل رشيد من الجهة البحرية كان فى القديم لايسمح بدخول رشيد الا منها — وعزبة (أبو الريش) تقع أمام مبنى محطة السكة الحـديد وقد بنى فيها حديثا مساكن شعبية وفيها مسجد (أبو الريش) ويشتغل أهلها بالزراعة وتربية العجول للتسمين وبعضهم من موظفى المصـالح وخاصة مصلحة السكك الحديدية .

وقد تجاوز مبنى (أبو الريش) بعض الأهالى فأقاموا بعض البيوت على أرض زراعية منخفضـة أطلقوا عليها اسما غير مناسب أرجو أن يسرعوا فى تغييره قبل أن يصعب محوه من الذاكرة .

وهناك **عزبة حسن على** وتقع على ساحل نهر النيـل فى الطريق الى البرج على بعد نصف كيلو شرقى المستشفى المركزى ، ويشتغل أهلها كعمال فى مضـارب الطوب القريبة من العزبة وكـذا فى مضارب الأرز وبعضهم يشتغل فى الزراعة وتجارة الطوب .

وهناك **عزب البحر الكبير** وتتكون من عدة بيوت متنـاثرة على طـول شاطىء النيل على الشارع المرصوف الذى يصل رشيد بالبرج وتنتهى عند مبنى طلمبات رشيد ويشتغل السكان بالزراعة وصناعة وتجـارة الطـوب .

وهناك **خلف عزب البحر الكبير — مايسمى بالبحر الصغير** وهى عبارة من بيوت متناثرة بجوار الأراضى الزراعية تقع على امتداد ترعة صغيرة متفرعة من الترعة الرشيدية بواسطة برابخ تمر فوقها قضبان السـكة

الحديد ، ويشتغل الناس فى هذه المنطقة بالزراعة بعــد الظهر . وفى الصباح يشتغلون كعمال فى ورش الطوب .

اما منطقة الغيطان :

فهى الأرض الزراعية التى تقع غرب محطة قطار السكة الحديد وتمتد على طول شريط السكة الحديد حتى تنتهى عند منطقة يطلق عليها (سملح) وهذه الغيطان المترامية الأطراف التى يشق القطار طريقــه فى وسطها تشتهر بزراعة النخيل والموالح والجوافة والليمون البنزهير مضافا الى ذلك زراعة البرسيم والذرة والفول .

والذى يركب القطار سوف يشاهد هذه الجناين فى روعتها ويشم اريج زهورها ويتملى فى منظر البلح الأحمر والأصفر الذى يتدلى من رؤوس النخيل فى صبات جميلة متراصة ، ان هذه المنطقة هى أروع ما يشاهده القادم الى رشيد بواسطة القطار بل هى فى الواقع أعظم واجمل مدخل الى المدينـــة .

وهذه المنطقة تقسم الى أقسام يعــرف كل قسم منهـــا باسم مثل : الجزيرة ــ قطارة فرحات ــ شمندورة ــ مراد ــ فحيمة ــ طــرز ــ الأبعــدية ــ حبلص ــ رشوان ــ زقزوق ــ الاسكندرانى ــ حوض العمدة ــ حوض أبو الريش ــ وغير ذلك .

وجميع سكان هــذه المنــاطق يطلق عليهم اسم ([illegible] وه) وهؤلاء يعيشون فى هذه الأراضى ولكنهم يقضون كل احتياجاتهم من رشيد ومنذ فترة اقام الأهالى هناك مسجدا صغيرا أطلقوا عليه « زاوية الفتح » .

اما برج رشــيد :

وتبعد عن رشيد المدينة على ســاحل النيل عشرة كيلو مترات وعن ساحل البحر الأبيض المتوسط خمسة كيلو مترات ــ وفيها توجد قلعة قايتباى التى عثر بداخلها على حجر رشيد ــ والقلعة لاتزال قائمة كأثر هام ــ وان كان الأهالى قد أقاموا بداخل القلعة مسجدا كبيرا ــ كمـــا توجد فى منطقة برج رشيد (قلعة عرابى) ويسكن منطقة برج رشيد خمسة عشر ألفا يشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك ومضارب الطوب ، وأكثرهم من المعمرين ويتكلمون بالقاف ، وعندهم بعض المدارس الابتدائية واخــرى اعدادية ومستوصف .

اما عزبة الكرش :

فتقع فى المثلث عند التقاء شارع الجيش بشارع المحطة حتى تصل الى مدرسة الجناين وتزدحم بالبيوت وشوارعها ضـيقة ، وكانت الى فترة غير بعيدة أكثرها جناين ويطلق على وسطها اسم حى الجميل نسبة الى الحاج احمد الجميل الذى كان يعمل فى وقته حلاق صحة وكان رجلا ملتحيا مباركا يتداوى عنده الناس .

اما عزبة قطقط :

فهى مكان خلف عزبة الكرسى ، أقيمت عليها مبان حديثة وتكثر فيهـا محلات صناعة الأقفاص من الجريد .

اما عزبة المنزلى او الحلة :

فهى فى الأرض التى يقع فيها مسجد المنزلى وانما سميت بعزبة الحلة لان هذه المنطقة اشتهرت بتجارة النحاس ، وفى كل عام يأتى الى هذه المنطقة قوم من النحاسين يقيمون فيها ثم يجوبون المدينة ينادون على من يرغب فى بياض نحاس البيوت ، وبعـد أن يتسلموا الحـلل والاوانى ويقومون بتبييضها يعيدونها الى أصحابها بأمانة ، ومن هنا سميت هذه المنطقة بمنطقة الحلة نسبة الى الحلة النحاس ، وقد اختفت هذه المهنة من رشيد تقريبا بعد أن استحدثت الأوانى الألمونيوم .

اما عزبة بابا حسن :

ويقع فى وسطها مسجد بابا حسن . والأصل فى هذه المنطقة أنها كانت رملية تواجه مسجد الادفينى ، وبعد سنين قليلة ازدحمت بالسكان .

اما عزبة الحروى :

فلم تكن لها وجود قبل الخمسينات ، حتى اذا ازدحمت رشيد بالسكان استولى بعض الأهالى على هذه الأرض بوضع اليد وأقاموا عليها مساكن وأعادوا بناء مسجد الحروى على صورة جميلة بالجهود الذاتية والمنطقة لم تدخل التنظيم ، والأصل فى هذه الأرض أنها كانت تسمى (بالكسارة) ولم يكن من المأمول أن تصبح مســاكن بها حركة وحياة وتقع شـبكة النور فى واجهـة عزبة الحروى وجميع أهل هذه المنطقة من العمـال والحرفيين .

اما منطقة رشيد الجديدة :

فهى الأرض التى تقـــع غرب مســـجد العـــرابى فى الطـــريق الى الاسكندرية ، وبدات رشيد الجديدة بعد الخمسينات حيث اشترى احد الخواجات قطعة أرض رملية كبيرة ثم قام بتقسيمها على شكل (نمر) وقام برصف بعض الشوارع ثم أعلن عن بيع هذه القطع — ووقف كثير من ابناء رشيد موقف الحذر وقليل جدا الذين تقدموا للشراء — ولكن لم تلبث الظروف أن جعلتهم يسارعون حتى امتلأت هذه المنطقة بالمساكن الحديثة وزحفت حتى تجاوزت الحدود وقام الأهالى ببناء (معهد دينى) ثم انضم الى ادارة الأزهر ، كما أقيم فى هـــذه المنطقة مدرســـة ثانوية صناعية كذا مدرسة زغلول الاعدادية ، ولا تزال هذه المنطقة تتسع فى العمران ومن المـــأمول أن تصل بالعمران حتى الترعة الرشيدية .

حى سوق الجمعة :

ويقع هذا الحى فى المنطقة القريبة من حى قبلى رشيد ويعرف بحى سوق الجمعة حيث يقام فيه منذ عشرات السنين سوق لبيع الطيـــور مثل الفراخ والبط والأوز ومنذ هذه السنين الطويلة والسوق لايشـــمل الا هذه الأنواع من الطيور ولا يتجاوز حدوده شارع ضيق يعرف باسم سوق الجمعة .

والمفروض أن يتسع نشاط هذا السوق حتى يشمل الكثير من حاصلات ومنتجات رشيد بالاضافة الى الطيور وغيرها . أسوة بما يتبع فى البلاد الأخـــرى .

شياخات رشيد

* بندر رشيد .
* أدكو .
* المعدية .
* ادفينا .
* الجدية .
* الحماد .
* الملقة .
* الشماسة .
* العامرية .
* سيدى عقبة .
* الكوم .
* محلة الأمير .
* الجديدة .
* برج رشيد .
* ديبى .
* الساحل .
* التفتيش .
* منشية علوان .
* منشية دبوتو .

**

السكان بالتقريب

* رشيد ٥٦٠٠٠
* أدكو ٧١٠٠٠

طريق رشيد ــ اسكندرية :

هنـــاك عـــدة طرق تربط رشيد بالبلاد الكبيرة كالاسكندرية ودمنهور والطريق الأكثر اهمية والذى يتناوله الكلام فى هذه السطور هو طريق رشيد ــ اسكندرية ، ذلك لأنه الأكثر تناولا فى التاريخ والاكثر أهمية فى حيويته بالنسبة للبلدين ، وطريق الاسكندرية ــ رشيد منذ مئات السنين كما تناولته كتب السائحين أى قبل معرفة المواصلات الحديثة مثل القطار والسيارة هو الطريق الوحيد الذى يسلكه المسافر باستمرار ، فهو تارة يكون محازيا لشاطىء البحـــر الأبيض حتى يصل الى المعـــدية ثم الى ابى قير ، وتارة يبتعد قليلا عن الشاطىء ولكنه يسير بمحازاته . ووسائل السفر فى هذا الوقت هى الركائب سواء الحمير أو البغال أو الجمال ، والمسافة لاتزيد عن ٦٠ كيلو متر فمن يمسى فى الاسكندرية يمكنه أن يصبح فى رشيد ومن يصبح فى رشيد يمكنه أن يمسى فى الاسكندرية أى يمكن أن يقطع المسافر المسافة فى يوم وليلة على الأكثر .

ولقد كان فى رشيد بجوار مسجد العرابى قهوة تسمى قهوة الحمارة حيث يقف عندها الحمارة ومعهم الحمير والبغال ليستأجرها المسافر الى الاسكندرية ، وهذه القهوة بمثابة موقف السيارات الآن ، كما يروى أن منطقة مسجد العرابى الى مابعد مسجد (أبو مندور) كانت آهـــلة بالسكان ولا تزال الآثار تدل على ذلك . وطريق رشيد الاسكندرية طريق هام جدا فى هذه الأيام بالنسبة لأن رشيد كانت السبيل الوحيد للسفر الى القاهرة عن طريق المراكب الراسية فى نهر النيل والتى تحمل الركاب والبضائع المستوردة من الاسكندرية ... وجميع العظماء والســـفراء والسواح كانوا يسلكون هذا الطريق باستمرار ، كما جاء فى مذكرات الجبرتى فى ٢٢ ديسمبر ١٧٤٨م ــ ١١٦٢هـ وصل أحمد باشا المعروف بكور وزير فطلع الى ثغر اســـكندرية ووصلت الســـعاة ببشائر قدومه فنزلت اليه المـــلاقاة وأرباب العكاكيز واصـــحاب الخدم مثل كتخـــدا الجاويشية واغات المتفرقة والترجمان وكاتب الجوالة وغيرهم . واجتمع فى رشيد براغب باشا وسافر فى المركب التى حضر فيها أحمد باشا وحضر الى مصر وطلع بالموكب المعتاد الى القلعة وضربوا له المدافع والنفشنك .

ولقد كان الى عهد قريب يسمى الشارع الرئيسى الذى يطلق عليه الآن شارع الرئيس شكرى القوتلى ، كان هذا الشارع الذى يصل رشيد بالاسكندرية كان يسمى رسميا شارع رشيد وتبدأ هذه التسمية من نهاية شارع فؤاد باسكندرية المتجه الى رشيد .

وأسوق بعد ذلك أخبارا تاريخية مستقاة من كتاب اللواء عبد المنصف محمود باشا من كتاب على ضفاف بحيرة أدكو المؤلف عام ١٩٤٨ (ص ٥٣) .

فى أول نوفمبر سنة ١٦١٥ يغادر « ببرود لافالى » الاسكندرية نحو الظهر للوصول الى رشيد عند مطلع النهار فيقول :

« وفى منتصف الطريق كان علينا أن نعبر نهرا بواسطة قارب واننى اعتقد عن يقين أنه ذراع من الماء الملح داخل فى الأرض ، ولكن لما كان الوقت متأخرا عندما مررنا به فلم أستطع التأكد من حقيقته » .

وفى سنة ١٦٤١ يصف جيمسيل عبوره من هذه الفتحة بشىء من الاسهاب فيما يلى : وفى اليوم الثالث من الأسبوع الذى يقع فى اليوم الثالث من شهر « شيغان » ركبنا ظهور الجمال والحمير وتوجهنا فى المساء الى المضيق المسمى (بالمعدية) وكانت أمواج البحر فى هذا المضيق سريعة وقوية وطويلة المدى حتى اننا لم نتمكن من الالتفاف حولها أو العبور بواسطة الخيل والابل ، وكان هناك سفينتان معدتان لنقل الأشخاص ، وكانتا تعملان لهذا الغرض باستمرار ، وفى ذلك اليوم كان هناك تزاحم بين الأشخاص حتى انه لم يمكن العبور الا باتباع نظام دقيق يسرى على الجميع وكانت سفن العرب الصغيرة تنقل الأشخاص بنظام سريع — أما الابل المحملة فكانت ترغم على النزول فى القوارب . وبهذه الطريقة تعبر مضيق المعدية ، وكان الرسم المقرر على كل جمل عبارة عن (...ولدى) وهو ماقيمته (بارة) بالعملة المصرية ، وفى منتصف الليل جاء دورنا فى النقل ، فعبرنا مضيق المعدية فى تلك الساعة ، ويبلغ عدد من نقلوا عبر المضيق من المساء الى الصباح ٢٠٠ شخص وجمل ثم تابعنا طريقنا سيرا على اليابس ووصلنا نحو المساء الى مدينة تسمى رشيد والطريق بين الاسكندرية ورشيد مرشق بالنخيل .

وفى سنة ١٦٥٨ يصل الشفالييه دارينو ذات مساء الى « المعدية » ويقول ان معنى هذه الكلمة « البحر » لأن فى هذا المكان تصب فى البحر

بحيرة كبيرة مليئة بالأسماك ويعبر هــذا الممر ثم يبيت فى الخان ويواصل سيره عند مطلع الصبح الى رشيد .

وفى صباح يوم السبت الموافق ٦ يناير ١٦٥٦ يغادر تيفنو الاسكندرية ويمر بأبى قير على نحو ٢٠ ميلا ويبيت فى (معدية اسكندرية) وقبل هذه النقطة كان الطريق كله رمالا ولا يوجد فيه مكان لقضاء الليل ، ويقول ان هذا المكان سمى بالمعدية لأن هناك بحيرة عنده تعبر بواسطة قارب يتحرك بحبل مربوط فى الضفتين ، وهذه البحيرة مليئة بالسمك جدا وتدر ايرادا كبيرا على السلطان الأعظم .

ويقوم تيفنو أيضا بنفس الرحلة مرة أخرى فى سنة ١٦٥٩ فى عودته من القاهرة فيصل الى رشيد يوم ٧ يناير ويقوم منها نحو الساعة الثانية من صباح يوم ٩ منه ، ويصف رحلته بشىء من الاسهاب كما يأتى ... ومن رشيد الى البحر يوجد ١١ عمودا ونخلة بين كل منها والآخر بضع مئات من الخطوات لتدل على الطريق ، لأنها منطقة صحراوية علاوة على أن الطريق كثيرا ماتكون مغطاة بمياه الأمطار ، واذا ضل احــد فى هذه الصحراء فلن يعثر على طريقه قبل بضعة أيام فتبعنا هذه العلامات على ضوء القمر حتى وصلنا الى البحر فتابعنا الساحل . وعند الفجر وجدنا أنفسنا عند القصر الأحمر (الدار الحمراء) الذى هو فى منتصف الطريق بين رشيد والمعدية وعندما وصلنا الى المعدية كنا قد قطعنا أكثر من نصف الطريق بين رشيد والاسكندرية ، وبعد أن استرحنا فيها ساعة عبرنا المضيق ثم سرنا طويلا حتى وصلنا فى الساعة الثانية بعــد الظهر الى الاسكندرية التى تبعد عن رشيد مسيرة ١٢ ساعة ولا يوجد مقام بينهما الا المعــدية .

والقصر الأحمــر أو الدار الحمــراء التى يذكرها تيفنو كانت آثارها موجودة فى شرقى أدكو ويعرفها كثير من الأهالى الحاليين ولعلها كانت تقع عند برج للحراسة كالأبراج الكثيرة التى كانت مقــامة على طــول الســاحل .

وفى مارس ١٧٧٣ سار بروس من الاسكندرية الى رشيد برا لتحاشى المخاطر التى تتعرض لها السفن عند مدخل النيل ــ ويضيف الى ذلك أن الرحلة برا بها هى الأخرى مصــاعب لمــا يتعرض له المســافرون من التعــديات .

وفى مساء ١٢ يونيو ١٧٧٧ وقف البارون دى توت فى منتصف الطريق بين الاسكندرية ورشيد « عنـد المعـدية » وهى مكان يستريح فيـه المسافرون ، فقام على أرض كانت منزرعة فى ماضى الايام ولكنها تركت لطغيان البحر من زمن طويل .

وفى سنة ١٧٧٩ يذكر الكولونيل كابر ان الرحلة بحرا من رشيد الى الاسكندرية تعتبر سيئة وان الأفضل اختيار الطريق البرى ، ويذكر أن فى منتصف الطريق مكانا يسمى المعدية حيث يوجد قطع فى وقت الفيضان يجب عبوره ، أما فى الأوقات العادية فيكون المرور سهلا رتيبا .

وفى أول مايو ١٧٩٢ يغادر براون الاسكندرية الى رشيد فيصل الى (أبى قير) فى مدى أربع ساعات بالحصان والى رشيد فى ثمانى ساعات ونصف ساعة « بصرف النظر عن الوقت الذى استغرقه عبور المعدية » .

هذه هى الصورة القديمة التى كان يتبعها المسافرون من رشيد الى الاسكندرية وبالعكس وهى واضحة تماما كما يصورها السواح فى هذا الزمان ، ومما يلاحظ أن ذكر « المعدية » يتكرر دواما فى كل تقرير ذلك لأن المعدية هى العقبة الوحيدة فى الطريق البرى الى الاسكندرية وهى لاتزال الى الآن المفرق الطبيعى بين البلدين وقد اقامت عليها مصلحة السواحل مراقبة خاصة ، وهى الآن غيرها بالإمس فقد اقيم عليها كوبرى لمرور السيارات وكوبرى آخر لمرور القطار .

وبالطبع لايمكن ردم هذه القناة لأسباب اقتصادية هامة فان هـذا الخليج الذى يصل البحيرة بالبحر الأبيض المتوسط يدخل منه ماء النيل عند الفيضان .

والصيد فى هذه البحيرة يحصل منه على ايراد كبير للدولة وتعيش فيه أنواع كثيرة من الطيور النادرة وعلى جوانبها عدة ملاحات يستخرج منها الملح ويصدر الى جميع البلاد وهى بعد ذلك مصرف هام للمياه المتخلفة عن المزروعات وهى أيضا مصدر رزق كبير لآلاف من الصيادين واسرهم. وأهم الأسماك التى تعيش فى هذه البحيرة هو (حنش السمك) الذى يأتى مهاجرا الى البحيرة من أمريكا — وتقوم بعض الشركات بصيده وتصديره للخارج .

ويلاحظ أيضا أن ممر المعدية كان يعتبر فى زمانه (جمرك) أو مايشبه

الجمرك سواء من الناحية الرسمية أو من ناحية استغلال الأعراب الذين كانوا ينتشرون فى هذه المنطقة الى يومنا هذا فقد جاء على ذكر المصدر السابق أنه فى سنة ١٥٠٧ قام بورجمارتن برحلة من جانبها الآخر ويروى قصتها ، فهو يقول انه فى مطلع فجر يوم ٢٢ سبتمبر يمتطى هو وصحبه ظهور البغال ، ويدفع كل واحد منهم عند باب الاسكندرية ست قطع من الفضة يسميها الأهالى (ميدى) ويسيرون فى غابات من النخيـــل ثم فى مستنقعات انحسر عنها النيل وغادرها . حتى يصلوا الى شاطىء البحر ـــ فتابعوه جزءا كبيرا من النهار ثم التقوا بمستنقعات أخرى ـــ والعرب الذين يصيدون بها انتزعوا من المسافرين بالقوة (ميدين) عن كل مسافر ، واستمروا فى طريقهم فابتعدوا قليلا عن البحر ، الى أن وصلوا عنـــد مقرب الشمس الى كوخ مهجور فاستراحوا به ، ولكنهم خشوا هجمات اللصوص فاستأنفوا سيرهم على غير هدى فى منطقة رمل ناعم يسفيه الريح وسرعان ماتمحى آثار الأقدام ، وبعدئذ يقطعون غابة من النخيل يصلون بعد قليل منها الى رشيد .

أما طريق رشيد اليوم فهو غيره بالأمس وتلك سنة الله فى التطور ، فقد أصبح طريقا مرصوفا منذ عام ١٩٣٠ تحفه من جوانبه بلاد عدة تضفى عليه من الأمن والطمأنينة مايهون الطريق ويعين على السفر ، والسيارات التاكسى والملاكى تقطع الطريق فى أقل من ساعة ونصف أما ســـيارات الأوتوبيس فانها تستغرق ساعتين . ولا ننسى أن جميع المواصلات لابد أن تمر فوق كوبرى « المعدية » كما كان السابقون يجتازون هذا الخليج بالمراكب .

أما القطار فقد دخل رشيد عام ١٨٧٦ وكان له فضل كبير فى ازدهار تجارة رشيد فانه الى مدة لاتزيد عن عشرين عاما كان القطار هو الذى يحمل منتجات رشيد من الأرز والبلح والسردين الى جميع جهات القطر المصرى وكان لايزال له طريق قريب من مضارب الأرز وأيضا مضـــارب الطـــوب .

والقطار يقطع مسافة أطول من مسافة السيارات حيث ينعرج الى شمال رشيد ليمر على برج رشيد وفى الواقع ان هذه المسافة القصيرة تعطى صورة جميلة للزائر عن رشيد ذات البساتين الجميلة والحدائق الغناء والنخيل الممتد فى جميع الأنحاء وكم يكون الجمال رائعا حين يكون

النخيل مثمرا والبلح بألوانه المختلفة الزاهية والأرض ذات المروج الخضراء .

ويعتبر طريق القطار اجمل مدخل لرشيد لو ان محطة السكة الحديد أصلحت ماحولها وادخلت البلدية عليه بعض التحسينات مثل الحدائق وتنظيم الشوارع وما يؤدى الى تجميل المدخل من ناحية مسجد العرابى .

أما من ناحية مدخل مدينة رشيد الزراعى من جهة مسجد العرابى فان رشيد من هذه الناحية فقيرة فى التعبير عن مجدها وجلال تاريخها ولابد من عمل جرىء لتنظيم هذا المدخل باعتباره المدخل الرئيسى لرشيد العظيمة ، وأن المهندس الذى يقوم بارساء التخطيط لهذا الشارع ارجو أن يكون من الذين يقدرون عظمة هذا الباب الذى زلف منه عظماء التاريخ . وأرجو أن يكون اسم شارع « دهليز الملك » هو الاسم الخالد الذى لايمكن أن يتغير ، فان هذا الاسم بالذات يعطى صورة صادقة عن أمجاد رشيد . وليس معنى فتح الشارع الجديد اهمال هذا المدخل الهام ومحاولة هدم المنازل الأثرية بحجة توسيع الشوارع — انها مخاطرة فيها اضرار كبير بمركز رشيد وسمعتها التاريخية حيث أن هذه الآثار التى تمثل أعظم حضارة للاسلام ليست معروفة فى هذا الوطن الأم فحسب ، بل لقد تعددت سمعتها الى العالم كله . ويؤم رشيد كثير من أساتذة وطلاب الدراسات المعمارية الاسلامية ليقوموا بدراسات ميدانية على فن المعمار الاسلامى — هذا فضلا عن السائحين الأجانب الذين لو أحسنا وسائل الدعاية وحسن استقبالهم لكان ذلك مصدرا هاما للدخول والتعريف بأمجادنا الاسلامية — وبذلك نحفظ لرشيد سمعتها ومجدها .

ولهذا فالأمل كبير فى القائمين على مصلحة الآثار أن يقوموا بالعناية بهذه المنازل واعدادها اعدادا جذابا لائقا وتعيين موظفا لكل منزل هام يقوم بالاشراف عليه من كل النواحى والتعريف بتاريخه لكل قادم — كما يحدث ذلك بشأن (متحف رشيد) .

بين الاسكندرية ورشيد :

ولا شك أيضا أن الاسكندرية بعظمتها وجلالها ، قد طغت أيما طغيان ، بتاريخها وصخبها ، وحركتها وثروتها ، وما ضمت من نور وعرفان ، طغت على ماجاورها ، حتى لم تجعل ذكرا لغيرها ، ولم تترك

حديثا عن سواها ، ولا قصادا الا استأثرت بهم ولا زائرين الا سحرتهم واغنتهم بكفايتها وعلمها وفتنتها ولهوها وانوارها ، عن كل مكان سحيق أو قريب ، حتى العلماء والكتاب فانهم لم يحفلوا الا قليلا بغير الاسكندرية ورشيد ، وهما فرسا الرهان ، فى هذا المكان شغلا الأقلام والعقول عن سواهما ، بما لهما من ماض عريق شامخ على الزمان ، وحديث طويل يقصر عنه التبيان والبيان .

ورشيد وهى المدينة القوامة الآن ومن زمن بعيد ، لم تشأ أن ترفع وصايتها عن ادكو بحيرة وبليدة ، حتى لاترتفع رأس أمام رأسـها ، أو تعلوا شأوا فتطغى على شهرتها وتسعى الى توسيع رقعتها ، وتكبر شأنها باهتضام المناطق المجاورة ، والاستئثار بخصائصها ومميزاتهـا والاستفادة من ماضى مجدها وعزها .

ويجيء دور مدينة رشيد فى غمار معركة المجد والتقدم ، فلقد كان لها بدورها الصيت البعيد ، والمكانة العالية ، وكان موقعها على البحر وعلى ضفة النيل يضفى عليها أهمية خاصة ويحفظ لها مركزا ممتازا ويجعلها كعبة وملاذا .

وجاء دور رشيد فكانت اكبر ثغر واكبر مدينة صناعية واهم القصبات ، واجتمع الى مجدها ماكان للاسكندرية من مجد ، فنالت قصب السبق وتفردت به ، الى أن نهضت الاسكندرية من رقدتها ونفضت عنها غبار الزمن وانتزعت عصا القيادة من جديد — حتى وقتنا الحاضر .

على أن طريق الاسكندرية — رشيد يهمنا كل الأهمية فى حديثنا عن منطقة بحيرة أدكو لانهـا وقعت عليه ، وكان لها فيـه أثر كل الأثر ، فاعتورته حينا وانفرجت عنه أحيانا . وهو طريق مسلوك منذ العهود القديمة ، وما زال مسلوكا وكانت له قيمته ووزنه فى خلال العصـور الوسطى بوجه الخصوص ، فمر به كثير من المؤرخين والرحالة وتحدثوا عنه ، وتركوا من آثارهم مانستطيع به أن نستشف الشيء الكثير من زوايا هذا الطريق وحناياه ، وأن نقف على الماعة عن حالته وحالة البلدان والمعالم التى قامت عليه فى تلك العهود .

ولقد ظل هذا الطريق الساحلى مستعملا حتى القرن التاسع عشر ، لأن المسافرين الى القاهرة أو العائدين منها لم يكن لهم من سبيل آخر سوى أن يواجهوا أخطار بوغاز رشيد ، الذى كانوا يجهدون فى مجانبته،

او ركوب ترعة الاسكندرية التى كانت فى غالب الأحيــان غير صالحة للملاحة لقلة المياه فيها ــ ولذلك كان السفر بطريق البر أقل صعوبة وابعد عن المخاطر .

فكرة تاريخية عن منطقة ادكو :

كاد يجمع المؤرخون على أن يكتبوها « اتكو » ســواء منهم العرب والافرنج ، وقد ذكرها الزبيدى فى قاموسه فقال : « ادكو ــ بكسر الهمزة وسكون الدال وضم الكاف ــ ويقال أتكو ــ بفتح الهمزة وسكون التاء بدل الدال وضم الكاف ــ وهو المشهور » . وان صح هــذا فليس من الصعب تصور أن التاء الساكنة قبــل كاف سرعان ما تتحول الى دال لسهولة النطق .

وقد اختلف فى منشأ هــذه التسمية ، فقيل انها محرفة عن الاســم القبطى القديم وقــد كان (أتكوب) بمعنى « التل المرتفع » وأن اسمها الفرعونى السابق لهذه التسمية القبطية كان (جوكات) أى التل المرتفع أيضا . ولا مشاحة فى ان بلدة أدكو الحالية يقع معظمها على تل مرتفــع ولا يزال هــذا التل قائما يضرب بطواحينه نحو السماء ، وتبدو أعلامه ومبانيه من مكان بعيد .

على أننا نعثر فى القاموس الفرنسى للأسماء الجغرافية الهيروغليفية بأن المدينة المصرية الفرعونية القديمة التى كانت تقوم فى موقع بلدة ادكو الحالية فى شمال غرب الدلتا ، كانت تسمى (تاج) وكانت مختصة بعبادة الآلهة هاتور ، الهة الحب والمرح ، وهذه الآلهة كانت تقدس من أجلهــا البقرة ، وكانت فى كثير من الأحيان تمثل برأس بقرة أو آذانها .

ومن الغريب أن بحيرة ادكو لم يطلق عليها اسم ادكو فى القرن التاسع على لسان المؤرخ ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر .

وقد يعجب القارىء ونعجب معه اذا عجزنا عن معرفة سبب هــذه التسمية مع أن البلدة المذكورة « ادكو » كانت ولا زالت قائمة فى مكانها من قديم الزمان تجاورها هذه البحيرة ، ومع أنه جاء ذكرها مرارا بأسماء مختلفة على السنة الرحالة العديدين فلم يكن من بينها بحيرة ادكو .

وقد وجد تحت مئذنة مسجد الحمصانى فى بلدة ادكو الجزء الأسفل تمثال من الجرانيت على قاعدة من نفس الحجر ، يمثل شخصا جالســا

القرفصاء يحتضن ناووسا ، وعلى ظهر التمثال بقايا نقوش هيروغليفية جاء فيهـــا :

« روحه لن ترفض ، سيد الجنود وقائدهم ، هوروس الصـــادق فى كلمته ، ابن خركيل . . » .

ويبدو أن هذا التمثال كان قد أقيم تخليدا لذكرى (هور) رئيس الجنود ووجود هذا الجزء من التمثال فى بلدة ادكو ، يدل على أنهـــا ضـــالعة فى القدم ، وأن مدينة هاتور كانت عامرة بالمبانى والتماثيل ، ومن بقايا هذه المبانى والتماثيل يتخذ الناس مواد البناء فى اقامـــة المســـاجد والدور . ويرجح أن التل الكبير الذى يقوم عليه الجزء الأكبر من البلدة الحالية يمكن أن يعثر فيه على آثار اخرى كثيرة من ذلك العهد السحيق .

وجزء التمثال الذى أشرنا اليه ليس الأثر الوحيد الذى لوحظ فى مبانى تلك البلدة ، فهناك تمثال نصفى لرأس اسد تحت الجدار الشمالى لمسجد الجبرتى القائم على قمة التل وحجر عليه آثار نقوش على فوهـــة أحـــد الآبار (يسمى بئر قاسم) ، كما أن احجار المعاصر التى وجدت فى جزر البحيرة تشهد بانه قبل وجود البحيرة اىقبل القرن السادس على الأرجح كانت فى مكانها مدن عامرة ماهولة ذات صناعة وتجارة وفن وجمال .

وهناك ايضا كانت (الدار الحمراء) فى الشمال الشرقى من قرية ادكو الحالية على ساحل البحر ، وقد ظلت آثارها باقيـــة الى عهـــد قريب ، واستخرج منها الأهالى كثيرا من الادوات عليها نقوش مختلفة ترجع الى عهد البطالسة ، كما كان حولها مقابر قديمة مبنية بالآجر الكبير الحجم المتين الصنع ، ووجدت ايضا قنـــاة من الآجر تمر بهـــذه الدار الحمراء وتتجه جنوبا ، ويرجح أنها كانت متصلة بجزيرتى القصور فى البحيرة ، مما يدل على أنها كانت تنقل المـــاء الى الدار الحمـــراء والى القصـــور المذكورة وما بينهما من الدور والمبانى قبل أن تنشأ البحيرة .

وكثير من جهات ادكو الحاضرة يطلق عليها أسماء غريبة ، فمثلا هناك حقل (قرقورة) ، ويقول ابن عبد الحكم أن قرقورة هذا كان ملكا على مصر وحكم ٦٠ سنة بعد أبيه (مرنيوس) وهناك حقل (المعصرة) ولا يوجد شىء هناك يعصر فى الوقت الحاضر ، فهل قامت فى تلك الجهة معـــاصر الكروم التى ضاقت بخمورها امراة المقوقس ؟ وهناك كوم (مياح) ، ويقول

ابن عبد الحكم ان (ماح) و (ياح) كانا ملكين من القدماء وكلاهما ابن للملك (بيصر) .

وبمناسبة (مياح) ، يتناقل الأهالى أسطورة طريفة عن الملك (مياح) ، والملك (غاروه) وهذا الأخير هو الذى أطلق اسمه على جزيرة غاروه فى خليج أبو قير وتسمى الآن أحيانا جزيرة نلسون .

فان الملك مياح أحب ابنة الملك غاروه ، وبرح به الوجد دون أن يقبل أبوها تزويجها له ، فجمع السحرة والكهنة وطلب اليهم أن يصنعوا من التعاويذ ما يستحضر له محبوبته ، ففعلوا وكان يحضرها بالسحر عند الغسق ، ويعيدها الى منزلها عند السحر . وذات يوم أفضت الفتاة الى أبيها بما يصيبها كل ليلة ، فأعلن على مياح الحرب ، وصب الزئبق عند شاطىء البحر ، فطغى المـاء على أملاك مياح من الفتحة التى سببها الزئبق ، وهى فتحة المعدية ، وتكونت من ذلك بحيرة ادكو ، وآوى مياح الى مايسمى الآن كوم مياح حيث بنى به الدار الحمراء ودفن فى شمالها من قتلوا فى الحرب تاركا قصوره التى التهمتها البحيرة ...

وقد قال المقريزى « ان كورة النجوم احدى كور بطن الريف بها ٤٠ قرية سوى المنى » . وقال ان مدينة النجوم قد غلب عليها الرمال والسباخ ويعرف منها اليوم قرية ادكو على ساحل البحر بين رشيد والاسكندرية « وكلها فى الرمل » . وقال على باشا مبارك « والى الآن تشاهد آثار المدن القديمة التى بداخل بحيرة اتكو وخارجها » .

وجدير بالانتباه ما ذكره المقريزى من أن قرية ادكو تقع على ساحل البحر . فاذا لاحظنا أنها الآن تبعد عن ساحل البحر ببضعة كيلو مترات ، فذلك لسببين يتصل الواحد منهما بالآخر :

فأما السبب الأول فهو ما فعلته الرمال فى المنطقة الساحلية ، اذ أخذت تهاجمها سنة بعد سنة حتى صيرتها صحراء ، وقضت على وادى الكروم ، وأخذت الأهالى والسلطات تعالج الحالة بفتح المئات من الآبار واقامة السواقى ، ولا زالت بقية هذه الآبار موجودة ومستعملة فى الرمال وكثير منها يستكشف بالحفر ، ولكنها لم تغن الأهالى فنزحوا الى الجنوب معتصمين بمرتفعات الرمال .

وأما السبب الثانى فانه لما اتخذ الأهالى الأهبة لاعداد مكانهم الذى اعتصموا به من التيارات الرملية ، واستقرت البحيرة فى حدودها

الادكاوية ، احترف الكثير من الاهالى مهنة الصيد بالبحيرة ، وتبعا لذلك امتد عمران البلدة الى الجنوب حتى اتصل بحافة البحيرة .

مستقبــل رشــــيد :

من الأخبار السابقة يتبين لأبناء رشيد أن مدينتهم هذه القائم مبانيها فى المسافة مابين مسجد العباسى الى بوابة (أبو الريش) حاليا بهــذا العمران ــ لم تكن كما كانت عليه عام ٨٧٠ ميلادية حيث كان عمران مدينة رشيد يبدأ من قرية الجدية جنوبا بحدائق وبساتين ومساكن ومســاجد وحركة تجارية واسعة حتى ينتهى العمران بشـــارع الادفينى الى بوابة أبو الريش وكما قيل انه كانت هناك بوابة قد رآها السابقون عند أو قرب مسجد أبو مندور شبيهة ببوابة (أبو الريش) . والآن تتقلص الحركــة العمرانية من قبلى مسجد العباسى لتمتد الى مابعــد بوابة أبو الريش وتزدهر منطقة برج رشيد بالحركة والسكان ومضارب الطوب .

ويوم تصبح رشيد ميناء أو يكشف فيها منابع للبترول أو تقام فيهـا عدة مصانع سوف تزحف رشيد بعمرانها حتى تصل الى ساحل البحر الأبيض المتوسط . ولقد حدثنا التاريخ عن هذه الحقيقة بالنسبة لبــلاد قبلى رشيد فقد جاء فى تقويم البلدان : ان مدينـــة (فــوه) بالقرب من اسكندرية فى وسط البلاد من أمكن ديار مصر المشهورة فى الكتب القديمة ــ وهى الآن على الشاطىء الشرقى لفرع رشيد من أعمال محافظة كفرالشيخ وتبعد عن رشيد حوالى ٣٠ كيلو مترا وكانت تسمى قديما (متيليس) وقد ذكر سترابون : انه قد ورد على مصر فى زمن أبسمتيك كثير من البليذبين فى نحو ثلاثين سفينة وأرسو عند مصب فرع النيل البولبتنين (فرع رشيد) وتحصنوا عنده وبنوا به مدينة سموها (متيليس) وكانت عند انشائها على ساحل البحر الأبيض المتوسط وكانت مرسى للسفن ثم أخذ البحر فى البعد عنها بسبب رسوب الطمى حتى صار بعدها عن البحر سنة ١٧٧٧ تسعة فراسخ ، وهى المسافة التى اتسعت بها أرض مصر شـــمالا من عهــد أبسمتيك الى ذلك التاريخ وكانت فوه من أهم المدن حركة وتجارة ولــم يوقف من نشاطها ابتعاد البحر عنها ــ حتى ان رحالة القرن الخامس عشر قالوا عنها انها كانت أعظم مدينة بعد القاهرة وكان بها قناصــل للدول الأجنبية شأنها شأن المدن القريبة من البحر ولم تنقص حركة (فــوة) التجارية الا بعد أن ورثتها فى ذلك مدينة رشيد .

فقد زارت الكاتبة الانجليزية (ماى) رشيد عام ١٧٩٨ فكتبت عنها فى خطابها السابع فى كتابها (رسائل من الشرق) ـ (ان رشيد حقا هى أجمل مكان على الاطلاق تجد بها غابات من أشجار الليمون والبرتقال وأهم مايميزها هو مظهرها الأنيق الذى يذكرنا بما كنا نستمتع به فى وطننا فالأراضى المنبسطة حولها مشوقة للغاية بمنظرها الجديد) .

وتأخذ رشيد زينتها وتحتل مكان الصدارة ويجىء دورها فى غمار معركة السؤدد والمجد فقد أخذت بدورها فى الارتقاء والنماء شأوا وصيتا بعيدا . اذ أصبحت ملتقى البحرين والميناء الكبير الذى يربط رشيد بالعاصمة الكبرى القاهرة .

حتى اذا أخذت رشيد حظها كله وبلغت هذا الشأو البعيد وآتاها محمد على الكبير فحفر ترعة المحمودية التى كانت السبب المباشر فى تحويل التجارة عن طريق رشيد وحولت معها الحركة والخير وأبعدت عنها الرحلة والسفر وانعزلت رشيد عن الحياة وتقلصت تجاريا واخذت الاسكندرية تتهيأ لتحتل مكانا مرموقا فى الوجود وكانت ترعة المحمودية هى فى الواقع نقطة التحول الكبير فى حياة رشيد وأهلها ومستقبلها (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ولعل الله تعالى يفجر الخير من جديد .

والآن وقد ضاقت ميناء الاسكندرية بحركة الواردات والصادرات ، وصارت البلاد من أقصاها الى أقصاها تقاسى من أثر ذلك فى ندرة مواد التموين ومواد البناء وغيرها .. فما هو الحل للخروج بالبلاد من هذا المأزق الخطير ؟

ان أقرب الحلول وأيسرها هو انشاء ميناء على البحر الأبيض المتوسط فى رشيد يحمل بعض العبء عن ميناء الاسكندرية المتخم ويخرج بالبلاد من ورطتها التى تتفاقم معاناتها منها يوما بعد يوم .

والعجيب أن هذا الحل قد قرره الخبراء من قبل ، ولكن الحكومات المتتالية تكتفى بايداع أدراج المكاتب تقارير هؤلاء الخبراء وتتلقى كل يوم مطالبات السفن الأجنبية بغرامات تأخير لأن هذه السفن لاتجد لها مكانا على أرصفة الميناء ترسو عليه .

ولسنا ندرى لماذا أقر اقتراح انشاء ميناء فى دمياط ووضع فعلا موضع التنفيذ وأهمل نفس هذا الاقتراح فيما يختص برشيد ؟ مع أن المدينتين

الشقيقتين متماثلتان ومتناظرتان اذ تقع كل منهما على فرع من فرعى النيل عند التقائه بالبحر الأبيض .

وانشاء ميناء بمدينة رشيد — فضلا عن كونه ضرورة حتمية لمسايرة النمو المتزايد فى حركة التجارة الخارجية فانه عنصر أساسى لبعث روح الحياة والحركة فى هذه المدينة حتى تسترد بعض ما كانت تنعم به من مركز تجارى فيما يتصل بالواردات والصادرات فى ماضيها القريب قبل انشاء ترعة المحمودية .

حجـر رشـيد :

وفى اغسطس سنة ١٧٩٩ بينما كان (بوشار) أحد جنـود الحملـة الفرنسية مكلفا بالعمل فى قلعة بشمال رشيد ، عثر على حجـر مبنى فى جدار قديم ، كان لابد من هدمه لوضع أساس (قلعة سان جوليان) ، وسرعان ماعلم قنصل الاسكندرية المستر هاريس أن الجنرال (مينو) قد أمر باستحضاره الى منزله بالاسكندرية ، بعد أن نظفوه واعتنوا به ، كى لايصيبه أى خدش ، وعلم الدكتور (برش) ، وهو الذى قال (أن الحجر — على مايظهر — كان مقامـا بمعبد (توم) أو (توموس) أو (الشمس الغاربة) ، وذلك فى عهد نقطانب فى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد) ، ونقل الحجر الى القاهرة ، والقى عليه نابليون نظرة اعجاب ، وسرعان ماأذيع خبره فى العالم ، ثم نقل الى لندن فى فبراير سنة ١٨٠٢ ، وبدأ علماء الآثار فى العالم كله يفسرون نقوشـه ، ومن ثمة عرف باسم (حجر رشيد) .

طوله ١١٥ سم وعرضه ٧٣ سم ، وسمكه ٢٨ سم ، وقمتـه العليا وزواياه من اليمين والشمال ومن أسفل كلها ضاعت ، ويرجح علمـاء الآثار أنه كان مستديرا فى أعلاه على نحو ماهـو معروف عن (حجـر كانوب) فى عصر البطالمة .

ويقال انه كان يمثل قرص الشمس المجنح رمز هوريس ومن تحتـه اثنتان من الأفاعى ، احداهما متوجة بتاج الوجه القبلى والأخرى بتـاج

الوجه البحرى والأرجح أن ارتفاعه كان فى الأصل ما بين خمسة أو ستة اقدام ، وأنه كان قائما على قاعدة مرتفعة قريبا من تمثال الملك فى الهيكل.

ولما اكتشفت اللوحة المماثلة لحجر رشيد بمعبد فيلة أمكن استكمال الناقص ، والوقوف على النص الكامل عن طريق المقارنة بينهما .

هذا الحجر من البازلت الأسود الصلب مكتوب بثلاث لغات هى من اعلى الى أسفل : الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية ، ويرجع تاريخه الى ما يقابل ٢٧ مارس سنة ١٩٦ ق.م فى أيام الملك بطليموس الخامس ابيفانس الذى حكم مصر فيما بين ٢٠٣ و ١٨١ ق.م .

والمعروف أن المصريين فى ثورتهم خربوا المعابد وحطموها ، وثار كهنة الدلتا على بطليموس فيلوباتور ، وتوالت الثورات مما شل حركة البطالمة فى البحر وعطل حركة التجارة وزادت الثورة اشتعالا فى عهد بطليموس الخامس ابيفانس ، وانهزم البطالمة فى (بانيون) ولما أراد وضع حد لهذه القلاقل ، عفا عن المصريين والجنود ، ومنحهم المعابد والغى الضرائب، وتنازل عن ديون الحكومة لدى الأهالى ، وأفرج عن المساجين ورد الى الثوار ممتلكاتهم المصادرة .

من اجل هذه الأعمال الجليلة شهد معبد بتاح وأبيس بممفيس اجتماعا ضم كهنة مصر شمالها وجنوبها فى العام التاسع من حكم بطليموس الخامس لتمجيد أعماله ، سائلين الله له القوة والنصر والحياة والصحة ، وقرروا أن يسجلوا لحامى مصر افضاله هذه باقامة تمثال له يوضع مع كل اله محلى فى كل معبد ، وأن تقدم له الصلوات ثلاث مرات فى اليوم ، ويحتفل بعيد ميلاده وعيد جلوسه كل شهر ، واتفقوا على ان ينقش هذا القرار باللغات الثلاث على حجر من البازلت وتعمل له صورة على حجر صلب ومعه صورة الملك فى كل المعابد التى من الدرجة الأولى حتى الثالثة.

وكان فى معابد الوجهين البحرى والقبلى نسخ عديدة من هذا القرار ، ولكن لم يبق منها الا « حجر رشيد » أو (الكتابة الرشيدية) ، كما وجدت نسخة أخرى له عند (النبيرة) ويرى (بدج) أن الكهنة اكتفوا بنسخ صورة منه فى مدن الدلتا القريبة من الاسكندرية عاصمة البطالمة ، ومنها مدينة (بولبتين) التى اندثرت وقامت (رشيد) على أنقاضها ، وربما يكون هذا الحجر فى وقت ما قد نقل من معبد فى هذه المدينة الى المكان الذى فيه عثر عليه (بوشار) ، ولا سيما معبد كليوباتره .

وهكذا حفظت رشيد هذا الحجر العريق ، الذى كشف عن حقائق لم تكن معروفة من قبل وهى اللغات المصرية القديمة بمقارنتها باللغة اليونانية ، وكذلك أعطى المؤرخين ثروة لم يكونوا يحلمون بها من قبل ، بالحصول على معلومات عن خامس ملوك البطالمة فى مصر بعد أدق ترجمة له قام بها (بروكش) سنة ١٨٤٨ .

وبالقرب من رشيد أيضا ، وعلى التحديد من تل (أبو مندور) عثر علماء الآثار على كتابة ترجع الى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ، وفيها كلام عن خمسة رؤساء وكاتب مجلس محلى ، واستنتج من ذلك العلماء أنها اشارة الى نظام الحكم المحلى بالاسكندرية فى هذه الفترة من عهد البطالمة .

وهناك فى ادكو بعض الحجارة التى على خرزات (١) الآبار ، وتحوى خطوطا مسمارية ، كما وجد حجر صغير عليه خطوط يونانية نقل الى ادكو من الكنائس وقد فسره المختصون بأنه يشير الى صوامع الغلال وهو الآن بالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية منذ سنة ١٩٣٦ .

رشيد بين الإسكندرية والبحيرة

تقع مدينة رشيد فى دائرة أعمال محافظة البحيرة وعاصمتها دمنهور ، مع أن رشيد تقع على امتداد ساحلى طبيعى مع مدينة الاسكندرية ، ولها صلات عائلية كثيرة وعميقة الجذور منذ مئات السنين تربط بيننا صهرا ونسبيا ، وحياتنا التجارية والثقافية معها هى الشريان الذى لايتوقف ليلا ولا نهارا .

وأبرز مصالح رشيد مع مدينة دمنهور تبدو فى قضايا التموين والضرائب والمرور والمحاكم وقوات الأمن ولا تزال رشيد على حالها لم يتغير فيها شىء يتناسب مع تطلعات وآمال أهلها حتى بعد دخول التيار الكهربائى منذ عام ١٩٥٧ ، فرشيد لاتزال تحلم بمشروع المجارى الذى ينقذها من هذا التخلف المشين ، ولا تزال تترقب رصف الشوارع الفرعية التى أصبحت مستنقعات ومرتعا للذباب والبعوض ، ونتطلع ، الى مشروعات

---

(١) يعبر أهل رشيد عن القطعة الحجرية التى تغطى بها فوهة البئر سمزرة البئر .

صناعية تستوعب الأيدى العاملة التى لاتزال تهاجر على التوالى منذ توقف الفيضان عند حدود السد العالى ، وذلك الفيضان الذى كان يحمل الينا الخير والبركة والنماء فى شتى صور الحياة فكان السردين مصدر ثروة هائلة لجميع الطبقات فنيهم وقفيرهم على السواء .

وكان الطمى الذى يترسب على شواطىء النيل هو المادة الأصلية فى استمرار قيام صناعة الطوب وجودتها وشهرتها — كما كان الطمى هو الدرع الذى يحمى شواطىء حدود رشيد على البحر الأبيض المتوسط من التآكل — فلما توقف هذا المدد عن الاستمرار بدأت هذه الشواطىء تنحسر وتأكل الأرض وتقتلع المبانى والمنشآت — فابتلعت مسجد سيدى منصور وعزلت مبنى الفنار وتكاد تقضى على منشآت مصيف رشيد — والأمر يحتاج الى علاج قبل أن يأتى ذلك اليوم الذى تصبح فيه رشيد مدينة أثرية يبحث عنها رواد الآثار تحت مياه البحر المتوسط ، ان رشيد التى كانت يوما ما محافظة لها قدرها وتاريخها شاهد على ذلك ، نتلمس اليوم سبيل النهوض والعودة بها الى سالف مجدها ، بعد أن عاشت سنين طويلة تحت قهر الانجليز تارة وحقد محمد على باشا الكبير تارة أخرى .

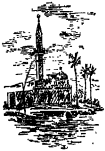

الباب الثانى

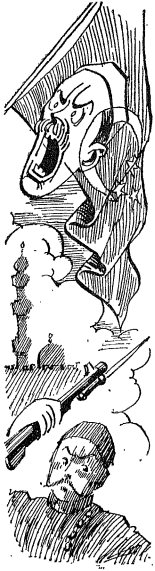

.. رشيد ومعركة الانجليز ١٨٠٧

* واقعة الانجليز فى رشيد
* رشيد مقبرة الانجليز
* الشيخ حسن كريت وعلَى بك السلانكلى
* ثورة عام ١٩١٩

واقعة رشيد وهزيمة الانجليز فيها (٣١ مارس ١٨٠٧ م) :

كانت خطة الانجليز فى القتال ان يزحف المماليك على القاهرة فيحتلوها وأن يحتل الانجليز بمعاونة أسطولهم — ثغور مصر — يزحفوا الى الداخل ويبسطوا أيديهم على حكومة البلاد مستعينين بصنائعهم المماليك .

وقد تلقى فريزر — وهو فى الاسكندرية — تقريرا من قنصل انجلترا فى رشيد عن حالة مصر واحصاء مابها من القوات — فأمعن النظر فى هذا التقرير ودرس الموقف . ثم اعتزم الزحف على رشيد لاحتلالها واتخاذها قاعدة حربية يتزود منها الجيش ، ومنها يزحف الى داخل البلاد . وعهد بهذه المهمة الى (ويكوب) وأنفذه اليها فى قوة من ألفى جندى . وتحرك هذا الجيش من الاسكندرية يوم ٢٩ مارس قاصدا الى رشيد . فكان تحت اسوارها فى اليوم التالى وأخذ يتأهب لدخولها صبيحة يوم ٣١ مارس .

وكان محافظ رشيد وقتئذ يدعى على بك السلانكلى وهو رجل شجاع ثاقب النظر يختلف كثيرا فى أخلاقه عن أمين أغا حاكم الاسكندرية وتحت امرته نحو ٧٠٠ جندى ، فعزم على مقاومة الجيش الانجليزى معتمدا على قوة الحامية وعلى مشاركة الأهالى فى الدفاع عن المدينة — وليبعث الحمية فى نفوس جنوده ويحملهم على الاستبسال فى القتال . أمر بابعاد مراكب التعدية الى البر الشرقى للنيل — حتى لايجد رجال الحامية وسيلة الى الارتداد اذا حدثتهم نفوسهم أن يسلموا كما سلمت حامية الاسكندرية .

فلما تم له نقل جميع المراكب — وشعر الجنود والأهلون عن اقتراب الجيش الانجليزى . ان البحر من ورائهم والعدو من أمامهم — حمت عزيمتهم على المقاومة للنهاية . وأمر على بك أن تتراجع الحامية الى داخل المدينة وان يعتصموا هم والأهلون بالمنازل مستعدين للضرب ولا يبدءوا بحركة الا عندما تصدر لهم الاشارة باطلاق النار .

فتقدم الانجليز ، ولما لم يجدوا اثرا للمقاومة خارج البلد اعتقدوا أن حاميتها قد اعتزمت اخلاءها وتسليمها ، محتذية بما فعله أمين أغا محافظ اسكندرية . فدخلوا شوارع المدينة مطمئنين ، وكانوا قد أعياهم السير فى الرمال من الاسكندرية الى رشيد ، فانتشروا فى الطرق والأسواق

يرتادون أمكنة يلجئون اليها ويستريحون فيها . ولكنهم ما كادوا يجوسون خلال الديار ، وتشتمل المدينة عليهم — حتى أصدر على بك أمره باطلاق النار . فاقتحمهم الرصاص من كل صوب واخذ الأهلون يطلقون النار من النوافذ والسطوح . فدب الرعب فى قلوبهم وسقط الكثيرون منهم صرعى فى الشوارع . فقتل « ويكوب » برصاصة أردته وقتل الكثير من ضباطه فاستولى الذعر على نفوس الانجليز ولاذوا بالفرار وانتهت الواقعة بهزيمة الجيش الانجليزى — وارتداد الأحياء منه عن رشيد فى حالة يأس وفشل . فتقهقروا الى الاسكندرية بطريق « أبو قير » .

نصيب المصريين فى المعركة :

كان لأهالى رشيد النصيب الأوفر فى هزيمة الجيش الانجليزى . لأن حاميتها العسكرية كانت من القلة بحيث لاتستطيع أن تصد الجيش الزاحف . وقد سبق لنا القول ان أخبار الحملة قد استفاضت فى مصر قبل مجيئها وعلم الناس بأمرها من الرسائل الواردة من الأستانة . واخذت الثغور تستعد لمقاومتها ، ولم يقبل الأهلون فى رشيد (وفى غير رشيد أن يطلبوا المدد من جنود القاهرة) لما اشتهروا به وقتئذ من النهب والسلب . اذ كان معظمهم من الارناءود واخلاط السلطة العثمانية . فآثر الأهالى أن يتولوا الدفاع عن المدينة بأنفسهم واحتملوا معظم العبء فى المقاومة والقتال .

يتبين من ذلك أن الأهالى أبوا أن يطلبوا النجدة من العسكر توقيا لما يقع منهم من فساد ، وأنهم وطنوا النفس على تحمل أعباء القتال بأنفسهم . ومما يؤكد تلك الحقيقة أن وقائع الحملة تدل على أن الحاميات العسكرية قد فر معظمها من الميدان ولم تواجه الجيش الانجليزى .

وفى هذا يقول الجبرتى :

٥ أبريل ١٨٠٧

اشيع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من الأسرى الى بولاق — فهرع الناس بالذهاب للفرجة ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق — وركب ايضا كبار العسكر ومعهم طوائفهم لملاقاتهم فطلعوا بهم الى البر وصحبتهم جماعة العسكر المتسفرين معهم — فأتوا بهم من خارج مصر . ودخلوا

بهم من باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة . وفيهم فسيال كبير وآخر كبير السن وهما راكبان على حمارين والبقية مشـاة وسط العسكر . ورؤوس القتلى معهم على نبابيت . وقد تغيرت وأنتنت رائحتها . وعدتهم أربعة عشر راسا .

۷ أبريل ۱۸۰۷

وفيه حضر مكتوب من ثغر رشـيد وعليه امضاء على بك السلانكلى حاكم رشيد وأحمد بك المعروف « ببونابارته » مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشرينه يذكرون فيه « أن الانكليز لمـا حضروا الى رشيد وحصل لهم ما حصل من القتل والأسر ورجعوا خائبين — حصل لباقيهم غيظ عظيم وهم شارعون فى الاستعداد للعود والمحاربة والقصـد أن تسـعفونا وتمدونا بارسال الرجال والمحاربين والأسلحة والجبخانة بسرعة وبعجلة والا فلا لوم علينا بعد ذلك . وقد أخبرناكم وعرفناكم »

۱۱ أبريل ۱۸۰۷

وردت مكاتبة أيضا من ثغر رشيد وعليها امضاء على بك السلانكلى حاكم الثغر — وطاهر باشا وأحمد أغا المعروف ببونابارته ويمضى مكتوب السيد حسن السابق ويذكرون فيه أن الانجليز ملكوا أيضا كوم الأفراح (وأبو مندور) ويستعجلون النجدة . وفى تلك الليلة أعنى ليلة الأحد — وصل محمد على باشا . ودخل الى داره بالأزبكية فى سادس ساعة من الليل وكان أشيع وصوله قبل ذلك اليوم . وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ والمحروقى لملاقاته يوم الجمعة .

١٤ أبريل ۱۸۰۷

وردت مكاتبة من رشيد وعليها امضاء السيد حسن كريت — يخبر فيها « أن الانجليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر — وقد تهدم الكثير من الدور والأبنيـة ومات كثير من الناس — وقد أرسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الاغاثة والنجدة فلم تسعفونا بارسال شىء — وما عرفنا لأى شىء هذا الحال . وما هذا الاهمال ؟ فاللـه فى الاسعاف . فقد ضاق الخناق — وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه — وملازمة المرابطة ، والسهر على المتاريس » ونحو ذلك من الكلام وهو خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ . ومؤرخه فى ثانى

صفر . وفى ذلك اليوم اهتم الباشا ، وعزم على السفر بنفسه ــ وركب الى بولاق وصحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا تلك الليلة.

١٩ ابريل ١٨٠٧

ورد مكتوب من السيد حسن كريت ــ نقيب الأشراف فى رشيد ــ والمشار اليه بها ــ يذكر فيه أن الانكليز لما وقع لهم ماوقع برشيد . ورجعوا فى هزيمتهم الى الاسكندرية ــ استعدوا وحضروا الى ناحية الحماد قبلى رشيد ــ ومعهم المدافع الهائلة والعدد ــ وينصبوا متاريسهم من ساحل البحر الى الجبل عرضا .. وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه فهذا ماحصل أخبرناكم به ونرجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبخانة والعدة والعدد ــ وعدم التأنى والاهمال .

٢٣ ابريل ١٨٠٧

حضر شخصان من السعاة وأخبرا بالنصر على الانجليز وهزيمتهم . وذلك أنه اجتمع الجم الغفير من أهالى بلاد البحرة وغيرها وأهالى رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر وأهل دمنهور . وصادف وصول كتخذا بك واسماعيل كاشف الطوبجى الى تلك الناحية . فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة وأسروا من الانجليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤوس . فخلع الباشا على الساعين جوختين .

وفى أثر ذلك وصل أيضا شخصان من الأتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغا فى الأخبار وأن الانجليز انجلوا عن متاريس رشيد وأبى مندور والحماد ــ ولم يزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم الى أن توسطوا البرية . وغنموا جبخاناتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسيين عظيمين ــ وذكرا أنه واصل خلفهم أسرى ورؤوس قتلى كثيرة فى عدة مراكب ــ وانه وصل معهما من جملة المتطوعين رجلان من أهل مكة التجار المقيمين بمصر ــ كانا فى الواقعة بنحو مائة من البدو المغاربة وغيرهم ينفقان عليهم ويحرضانهم على القتال . ويعينان المقاتلين من الأهالى بما فى أيديهما ــ ويقاتلان بأنفسهما وبذلا جهدا فى ذلك . وانهما ــ بعد هزم الانجليز وسلبهم . فرقا ما غنماه وما بقى معهما من الأشياء على من خرج خلف الانجليز ــ وهما السيد / أحمد البخارى وأخوه السيد سلامة . فطلبهما الباشا وسألهما عن الخبر ــ فأخبراه بخبر التركيين فأتسر الباشا

لذلك سرورا عظيما وشكر فعلهما وأنعم عليهما وخلع عليهما ورتب لهما مرتبا وأوعدهما بالاستخدام فى مصالحه .

ويقول الجبرتى :

ان محمد على باشا لما بلغه حصول الانجليز على الاسكندرية ــ وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم ــ فعند ذلك انحلت عزائمه وأرسل يصالحهم على مايريدونه ويطلبونه ــ وثبت فى يقينه استيلاء الانجليز على الديار المصرية وعزم على العود متلكئا فى السير .

فلما وصلت الشرذمة الأولى من الانجليز الى رشيد ــ ودخلوها من غير مانع وحبسوا انفسهم فيها ، فقتلوا واسروا وهرب من هرب ووصلت الرؤوس والأسرى ــ وأسرعت المبشرون الى الباشا بالخبر .. فعند ذلك تراجعت نفسه وأسرع فى الحضور ــ وتراجعت نفوس العساكر وطمعوا عند ذلك فى الانجليز . وتجاسروا عليهم وكذلك أهل البلاد قويت هممهم وتأهبوا للبروز والمحاربة واشتروا الأسلحة ، ونادوا على بعضهم بالجهاد .

وكثر المتطوعون ، ونصبوا لهم بيارق واعلاما وجمعوا من بعضهم دراهم وصرفوا على من انضم اليهم ــ وخرجوا فى مواكب وطبول وزمور. فلما وصلوا الى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم ــ وصدقوا فى الحملة عليهم . والقوا انفسهم فى النيران ــ ولم يبالوا برميتهم . وهجموا عليهم واختلطوا بهم وادهشوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم فالقوا سلاحهم وطلبوا الأمان ــ فلم يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم وحضروا بالأسرى والرؤوس على الصور المذكورة . وفر الباقون الى من بقى بالاسكندرية.

وليت العامة شكروا على ذلك ــ أو نسب اليهم فعل بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره وجوزيت العامة جزاء سنمار .

فلما انقضى الحرب من ناحية رشيد وانجلى الانجليز عنها ــ ورجعوا الى الاسكندرية نزل الأتراك على الحماد وما جاورها واستباحوا أهلها ونساءها ومواشيها زاعمين أنها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها .

ثم أحاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد — وضربوا على أهلها الضرائب وطلبوا منها الأموال والكلف الشاقة — واخذوا ماوجدوه بها من الأرز للعليق .

فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا وكتخدا بك وتكلم معهما وشفع عليهما وقال « أما كفانا ما وقع لنا من الحروب — وهدم الدور ، وكلف العساكر ومساعدتهم ومحاربتنا معهم ومعكم — وماقاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال .. ونجازى منكم بعدها بهذه الأفاعيل ؟ فدعونا نخرج بأولادنا وعيالنا ولا نأخذ معنا شيئا — ونترك لكم البلدة ؟ افعلوا بها ماشئتم .

فلاطفوه فى الجواب . وكتب السيد حسن كريت بهذا المعنى مكاتبات الى الباشا والسيد عمر بمصر فكتبوا فرمانا وارسلوه اليهم بالكف والمنع وهيهات ؟ .

رشيد مقبرة الانجليز :

كانت رشيد حتى فى ولاية محمد على باشا تابعة مع دمياط والاسكندرية الى السلطان بأسلامبول راسا وليس للوالى فى مصر أن يأخذ منها الايراد . ورشيد فى هذا الزمان كانت ابرز بلاد القطر المصرى نشاطا ومكانة واقتصادا فهى الممر الحيوى لرواد مصر من الحكام والعظماء والسياح والتجار منها . تدخل المراكب التجارية من البحر الأبيض فى طريقها الى القاهرة وبلاد مصر وفى جمرك رشيد تنزل البضائع والنفائس. وفى رشيد ينزل من جميع الرواد والممالك والأجانب تجارا وزوارا — ذلك لانه لم تكن قد وجدت بعد السكك الحديدية فضلا عن السيارات والطائرات — فان القطار دخل رشيد عام ١٨٥٠ تقريبا وأول سيارة دخلت رشيد بعد رصف طريق اسكندرية رشيد عام ١٩٢٤ .

فكان الرواد اذا دخلوا ميناء اسكندرية لابد لهم من الحضور الى رشيد حيث يستقلون المراكب الشراعية المسافرة الى القاهرة . وقد ذكر الجبرتى كثيرا من هذه الأخبار فقال فى ٢٢ ديسمبر ١٧٤٨م — ١١٦٢هـ وصل احمد باشا المعروف بكور وزير فطلع الى ثغر اسكندرية . ووصلت السعاة ببشائر قدومه فنزلت اليه الملاقاة وارباب العكاكيز واصحاب الخدم مثل كتخدا الجاويشية ، وأغات المتفرقة والترجمان . وكاتب الحوالة وغيرهم . واجتمع فى رشيد براغب باشا — وسافر فى المركب

التى حضر فيها احمد باشا وحضر الى مصر وطلع بالموكب المعتاد الى القلعة وضربوا له المدافع والفشنك . وقال الجبرتى أيضا فى ١٨ يوليو ١٧٨٦ وصلت الأخبار بورود حسن باشا الى ثغر رشيد .

وفى ١٣ يناير ١٧٨٧ سافر محمد باشا المنفصل من بولاق الى رشيد وفى فبراير ١٧٨٧ عين حسن باشا وعلى محمد باشا برشيد وفى ٣ سبتمبر ١٧٨٧ سافر حسن باشا من مصر واخذ معه الرهائن وسافر صحبته ابراهيم بك قشطه ليشيعه الى رشيد .

وهكذا كانت رشيد الميناء الأول فى حياة مصر وكانت تبعا لذلك لها من الأهمية والمكانة ماجعل موقعها استراتيجيا فعنى فيها باقامة الطوابى والاستحكامات وتعزيز كل جهاتها بالمدافع والجنود ومواقع الدفاع حتى كانت البيوت السكنية فى حد ذاتها مبنية بصورة تتيح لسكانها الدفاع عن انفسهم سواء فى الداخل أو الخارج وهذا التحصين كان أمرا طبيعيا سواء لهجوم الأعداء المستعمرين من خارج البلاد أو خوفا من اعتداء جنود الأتراك الأرناؤود أو الانكشارية كما هو معروف فى تاريخ هذا الزمان .

والطوابى المعروفة فى رشيد والتى كانت الحصن الحصين ضد التدخل الأجنبى والتى ساهمت، مساهمة فعالة فى الحرب ضد الفرنسيين تارة وضد الانكليز تارة أخرى هى طابية (أبو مندور) وطابية مسجد العباسى وطابية برج مغيزل وطابية سيدى الادفينى وبعد ذلك القشلاقات الكثيرة فى رشيد .

وكان آخر عهد هذه الحصون بالجهاد هو حرب الانجليز عام ١٨٠٧ وسأعيد الى أذهان اهل رشيد ماذكره الجبرتى فى هذا الشأن حتى يكونوا على بينة وثقة .

يقول الجبرتى — فى ١٩ مارس ١٨٠٧م وردت مكاتبات مع السعاة من ثغر اسكندرية وذلك يوم الخميس العصر وفيها الأخبار بورود مراكب الانجليز — وعدتهم اثنان وأربعون مركبا — فيهم عشرون قطعة كبار والباقى صغار — فطلبوا الحاكم والقنصل وتكلموا معهم وطلبوا الطلوع الى الثغر فقالوا لهم (لانمكنكم من الطلوع الا برسوم سلطانى) .

وفى ٢٣ مارس ١٨٠٧ م وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الأهمال من غير معرفة حقيقة الحال بل بالعلم بأنهم طلعوا الى الثغر ودخلوا البلدة — وعدم علمهم بالكيفية . وتغيب الحال واشتبه الأمر .

وفيه حضر قنصل الفرنساوية الى مصر ـــ وكان باسكندرية ـــ فلما وردت مراكب الانكليز ـــ انتقل الى رشيد . فلما بلغه طلوعهم الى البر ـــ حضر الى مصر ـــ وذكر أنه يريد السفر الى الشام هو وباقى الفرنساوية القاطنين بمصر . وفيه أشاعوا ان الاسكندرية ممتنعة عن الانكليز وانهم وصلوا الى رأس التين والعجمى فخرج عليهم اهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجلوهم عن البر ونزلوا الى المراكب مهزومين .

وفى ٢٧ مارس ١٨٠٧ م وردت الأخبار الصحيحة بأخذ الاسكندرية واستيلاء الانجليز عليها يوم الخميس المتقدم تاسع الشهر ودخلوهاوملكوا الأبراج يوم الأحد صبحة النهار وسكن صارى عسكرهم بوكالة القنصل .

وفى ٣ أبريل ١٨٠٧ وردت أخبار من ثغر رشيد يذكرون بأن طائفة من الانكليز وصلت الى رشيد ، فى صبح يوم الثلاثاء حادى عشرينه . ودخلوا البلد .. وكان أهل البلدة ، ومن معهم من العساكر متنبهين ومستعدين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت فلما حصروا بداخل البلدة ـــ ضربوا عليهم من كل ناحية فألقوا ما بأيديهم من الأسلحة وطلبوا الأمان فلم يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم وذبحوا منهم جملة كثيرة . وأسروا الباقين . وفر طائفة الى ناحية دمنهور وكان كاشفها عندما بلغه ماحصل برشيد اطمأن خاطره ورجع الى ناحية ديبى ومحلة الأمير وطلع بمن معه الى البر فصادف تلك الشرذمة فقتل بعضهم وأخذ ما بقى منهم أسرى وارسلوا السعاة الى مصر بالبشارة .

فضربوا مدافع ـــ وعملوا شنكا وخلع كتخذا بيك على السعاة الواصلين . وأسرع المبشرون من أتباع العثمانيين بالسعى الى بيوت الأعيان يبشرونهم ويأخذون منهم البقاشيش والخلع .

الشيخ الجليل حسن كريت ومعركة رشيد :

كان الشيخ حسن كريت الفقيه المالكى من العلماء القلائل الذين تمكنوا من فهم الاسلام وادراك مراميه ومقاصده فى الحياة وهو لهذا عالم جليل وفقيه عظيم . فقد كان اماما فى وقته لمسجد زغلول الكبير وحين نعود بذاكرتنا الى تلك الأيام الزاهرة الخالدة نستطيع أن ندرك ماهو الشيخ حسن كريت وما شأنه حتى لقب بنقيب أشراف رشيد . وحين دعا داع الجهاد والتضحية بالمال والدم كان الشيخ الجليل افقه الناس

لمهمته واعرفهم بالمسئولية الملقاة على عاتقه وهكذا اذا اكتمل الايمان مع الفقه الصحيح كان الامام والقائد خير قدوة للناس .

ورحم الله حسن البنا حين يقول : أيها الأخوان كونوا عبادا قبل ان تكونوا قوادا تصل بكم العبادة الى أفضل قيادة . وهكذا كان الشيخ المؤمن آية فى الوفاء لدينه ووطنه صورة صادقة للسلف الصالح الدين ضربوا أروع الأمثلة فى القتال والفداء . وكان مع الشيخ حسن كريت فى هذا الوقت شعب لايقل عنه فهما لهذه الرسالة ويقظة روحية ووطنية نادرة جعلت منه عبرة الأجيال وانقذت به مصر ردحا من الزمان . الشعب الذى يقاتل فى سبيل نصرة الله لايمكن أن يفل أو يموت وهذا الشعب لاينتصر فى الأصل لقطعة من الأرض وانما هو ينتصر للشرف والكرامة ومن قبل ذلك الاسلام الذى أيقظ فيهم معنى الشرف ومعنى الكرامة . ولا ادل على ذلك أنه كان يقاتل فى رشيد مع أهلها من ليس مصريا أصلا ولا يمت الى مصر بصلة كان يقاتل مع أهالى رشيد مسلمون من تركيا والحجاز والشام وغيرها .

وكان فى رشيد رجل بطل شهم شجاع ذلك هو القائد الموفق على بك السلانكلى حاكم رشيد . لقد اتفق الرجلان الكبيران على الخطة . رسماها بدقة واتقان كأنها من وحى الرحمن وكانت المعركة الجديدة من نوعها — كأنى بهؤلاء قد تلقوا درسا عمليا من غزوة أحد فقد كان من رأى الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أن يبقى مع أصحابه فى المدينة يتحصنون بها حتى اذا دخلها المشركون انقضوا عليهم على قلب رجل واحد . ولكن الشباب ابى الا أن يظهر بطبيعته فكان ماكان وهذه المعركة فى رشيد استفادت من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم استفادة حتى أنه قد اشتركت فى هذه المعركة كل الامكانيات الانسانية والمادية فالرجال والنساء والأطفال والشيوخ قد ساهموا مساهمة مذهلة فى القتال بالزيت المغلى والطوب والبلاليص والبلط والسلاح الأبيض والماء المغلى كل هذه الأدوات قد استغلت أحسن استغلال .

فقد أصدر الشيخ حسن كريت وعلى بك السلانكلى أمرا باخراج مراكب الصيد الراسية على شاطىء النيل وابعادها خارج المدينة — حتى لاتستعمل فى الهرب الى الشاطىء الغربى وتأسيا فى ذلك بقصة طارق ابن

زياد فى فتح الاندلس حين أحرق المراكب وقال للجنـــود قوله المشهور « العدو أمامكم والبحر من خلفكم وليس لكم والله الا الصبر أو النصر » .

ان استراتيجية معركة رشيد تنبىء عن صفاء ذهن وعلو نفس وتحقيق مبدأ الحرب الذى هو المكر والخديعة . ولم يكن الانجليز يتوقعون من المشايخ هـــذا الأسلوب من الدفاع وهذه الخطة المذهلة — لقد أدرك القائد والامام أهمية عامل المفاجأة فى تحطيم معنوية الجيش فكان هـــذا هو السلاح الأول الذى أتى ثماره وحقق آماله . وكان جهل الأعـــداء بحقيقة الديار هى المصـــيدة التى أغلقت عليهم من كل مكان وأخـــذتهم الصيحة فما استطاعوا فرارا .

قامت رشيد بهذا الواجب المقدس وحدها فى ايمان واصرار فقاومت جيشا نظاميا لأعرق الدول فى فن الحروب . وبذلت من دمائها وارزاقهـــا مالا يقف عند حد وكان هذا كله فى سبيل مصر بل فى سبيل الاســـلام . وانتهت الحرب بالانتصار العظيم الذى دوى فى التاريخ ذكره . وعادت رشيد خرابا أو يبابا . ولم يقف الأمر عند ذلك بل دخلها جنود محمـــد على وعاثوا فيها الفســـاد وأفدحـــوا على أهـــل رشـــيد الضرائب والمكوس .

ووقف رجل الحق ولسان الصدق الشيخ حسن كريت ليقول للحاكم مقالة العدل ويصرخ فى ولاة الأمور صرخة الضرغام أن ارفعوا أيديكم عن رشيد أو اتركونا نغادرها مع نسائنا وأطفالنا .

فقد كانت معركة رشيد نقطة تحول هائلة لم تكن فى الحسبان لقـــد احترقت رشيد فى سبيل الأمة وكوفئت بعد ذلك بالدمار . انتهت رشيد العاصمة . رشيد الباسلة رشيد المجاهدة موئل كل زائر ومهبط كل عظيم ورابطة الشرق بالغرب وجامعة المسلمين . انتهت رشيد من هذا اليوم فلم تعد شيئا مذكورا — لقد جاء محمد على فحول مجرى التجارة والعمران والسياح من رشيد الى الاسكندرية حين حفر قناة المحمودية — ومن هذا اليوم هاجر آلاف من أهالى رشـــيد وراء الرزق بعد . وفقدت رشـــيد مركزها التجارى ومركزها الأدبى حين قامت بواجبها وأدت رسالتها .

ومضت سنون وأعوام على هذه المعركة وتذكر محمد على أن فى رشيد رجلا خطيرا هو الشيخ حسن كريت فأرســـل عام ١٨١١ م ٤ سبتمبر يستدعى الشيخ حسن كريت المبـــالكى من رشيد والشيخ على خفاجى من

دمياط فحضرا واعتذرا فاعفيا من السفر مع الحملة ورجعا الى بلدهما في ١٨١٧ الجبرتي .

وكان الغرض من سفر الشيخ كريت هو مساندة طوسون باشا ابن محمد على في حملته على الوهابيين بالحجاز .

لم تكن معركة رشيد عام ١٨٠٧ سوى جس نبض الأمة الاسلامية ــ تلك الأمة التى ابتليت بحكم الأتراك فجعلوها جسدا بلا روح وتركوها نهبا لجنودهم واغواتهم فكان الركود والخمول والشلل متمكنا من جسم هذه الأمة . وكانت فرصة العالم الغربى بعد ذلك للانقضاض على تركة الرجل المريض ظنا منهم أن المسلمين قد خبت معنوياتهم وتحللت عقيدتهم فلن يستطيعوا مقاومة ولا طاقة لهم بدول مدججة ومؤججة بالغيظ والحنق على الاسلام . لقد كان هذا ظن الانجليز وعقيدتهم ــ غير أنهم لم يدركوا شيئا قد غاب عنهم ــ لم يدركوا أن الاسلام شيء والحاكم شيء آخر فان كثيرا من الحكام الظالمين قد يفيقون من غفلتهم ويستنهضوا همم المسلمين باسم الاسلام ــ والمسلمون انفسهم ليسوا في حاجة الى تذكير غيرهم ولو كان الحاكم نفسه . لأنهم يعرفون ماسيكون بعد الاحتلال من فسق وفجور وعار . وهذا تماما ما حدث في رشيد بالذات . فقد حدثنا أهلنا أن هناك امراة اسمها الحاجة خديجة الجبرتية قامت بين نساء رشيد تحمسهن وتقول لهن ماذا تنتظرن من دخول الكفار غير الفسق والعار قمن الى الجهاد ــ فقامت النساء يحملن ايادى الهون أو الصلاية (كما يعرفها أهل رشيد) وكان الهون والصلاية أكبر حجما مما هو معروف به الآن كما كان مصنوعا من النحاس وتزن يد الهون فوق خمسة أرطال .

وهذا ماحدا بالشيخ الجليل حسن كريت أن يمنع الجنود الاتراك الذين جاءوا لمساعدة أهالى رشيد في القتال ــ أبى الشيخ حسن كريت ان يدخلوا المدينة وأن يعيشوا فيها خوفا من التعدى على الحرمات . كما حدث من قبل في حادثة دمياط ــ أبى الشيخ حسن كريت حتى على بنى دينه ووطنه أن يدخلوا رشيد فما بالك بجيوش الكفر والاحتلال .

ان المسلمين في رشيد يدركون قيمة هذا تماما ويدركون أن الحاكم في هذا الوقت لن يصيبه مثل مايصيبهم فقد يستطيع الفرار من المعركة أما هم فانهم بين الموت والفناء وبين التسليم للعار والشنار ــ كانت رشيد

مزدهرة بالعلوم الاسلامية والفهم القرآنى وكان بها من العلماء والفقهاء والحفاظ ماجعلها فى مكان تستطيع معه رد العدوان بشجاعة وثقة وايمان . ايمان العقيدة التى لا تهزم .

ثورة ١٩١٩ فى رشيد (١) :

فى رشيد قامت مظاهرة سلمية يوم ١٧ مارس ١٩١٩ اتجهت من جنوب المدينة الى شمالها — وانضم اليها جميع أهالى رشيد فتصدى لهم مأمور المركز محمد مصطفى حجاب — وأمر باطلاق الرصاص عليهم فاستشهد منهم ابراهيم زيدان من أبناء الأعيان فثارت ثائرة المتظاهرين ، وانقضوا على المركز ورشقوه بالحجارة وأشعلوا فيه النار — وأتلفوا قضبان السكة الحديد وأعمدة التلغرافات والتليفونات . ولجأ المأمور الى احدى العزب المجاورة لرشيد خشية أن يفتك به المواطنون الثوار . غير أن الغيورين منهم الفوا لجنة من بينهم لحفظ النظام حتى لا يستشرى الفساد . وفى اليوم التالى حضر الى رشيد ضابط انجليزى على رأس قوة من الجنود الهنود والمأمور فى صحبتهم فألقى القبض على تسعين رجلا ارشد عنهم المأمور منهم : محمد سمك وعبد الحميد سمك وعبد العزيز عجمية التاجر وعضو المجلس المحلى — واحمد الجارم الطالب بالحقوق — وعبد الحكيم الجارم — ومحمود الطويل التاجر ونقلوا مقبوضا عليهم الى سجن الحدراء باسكندرية — واحيل ستون من أهل رشيد الى المحاكمة بين يدى ضباط من الانجليز .

وفى ابريل تشكلت محكمة فى الاسكندرية للنظر فى حوادث رشيد — وصدرت الأحكام بالأشغال الشاقة لمدد تتراوح بين خمس سنوات وبين اقل من سنة على الآتية أسماءهم . نذكرهم للتاريخ : الطالب عبد العزيز محمد سمك — ومحمود الطويل — واحمد خليل كرات — ومحمد ماضى — وابو النصر طبيخة — وسعد محمد عبد العال الأشقر — وأحمد البزم — ومحمد محمد كمونة — وعبده المنفلوطى — ومحمد الخضرجى — ومصطفى الابيارى — واحمد زيدان المباريدى — زروق — وبسيونى عطا — واحمد الزهار — والطالب عزمى الصياد — وعلىعلى الرزى—وحسين الكزبرى— وعلى على أبو سليم — وعلى دياب — ومحمد محمد البحيرى — وفرج فرج

(١) من كتاب اقليم البحيرة للأستاذ محمد محمود زيتون .

ابو دياب ــ وعبد الفتاح ترك ــ وعبد الحميد سمك ــ وعبده القزق ــ والسيد منسى ــ وحسين على الفش ــ ومحمد محمد سمك ــ ومرسى نجيب القزق ــ وعبد الحكيم الجارم ــ وعبد المحسن شهاب ــ واحمد حراز ــ وعبد الحكيم جبرى ــ ورائف كمال فضلى ــ وسيد احمد احمد بربش ــ ومحمود ابراهيم عجلان ــ وابراهيم الدنف ــ وعلى الأنكة ــ ومحمود على الفشنى ــ وعبده السيد ــ وجمعة يوسف مراد ــ ومحمد العيوطى ــ وعلى فايد ــ وحسن البربرى .

الباب الثالث

.. اجتماعيات

* ❋ المتحف .
* ❋ المصيف .
* ❋ قناطر ادفينا .
* ❋ رشـــيد البخيلة
* ❋ القاف فى حديث الأهالى .
* ❋ كيف يختار الرجل زوجته .
* ❋ النكتة فى رشيد .
* ❋ بين أهالى أدكو ورشيد .
* ❋ الحـــدائق الضـــائعة .
* ❋ الوهـــــلة .

متحف رشيد

فى يوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٩ وهو يوم احتفال رشـيد بذكرى انتصارها على الحملة الانجليزية عام ١٨٠٧ افتتح الرئيس جمال عبد الناصر (متحف رشيد) الذى أعدت له دار عرب كلى وتعتبر هذه الدار فى ذاتها تحفة أثرية من المعمار الاسلامى وتشمل الهدف من المتحف ، وفى الدور الثانى من الدار وفى المواجهة يفاجئك (الايوان) وترى عليه نموذج لأسرة رشيدية تجلس على (الطبلية) تأكل الأرز مع السمك المشوى كعادة أهل رشيد وترى بجوارهم (القلة) ثم (الطشت والابريق النحاس) ليغسلوا ايديهم بعد الانتهاء من تناول الطعام ، والى جوارهم تجد (كرسى اللمبة) وكذا صندوق خشبى له غطاء من أعلى يضعون فيه متاعهم .

وفى الغرفة اليمنى ترى نموذجا آخر يصور لك حركة قتال الأهالى ضد الغزاة ، فهذا جندى انجليزى يطعن مواطنا رشيديا بالسونكى فيعاجله رشيدى بحجر على أم راسه فيرديه قتيلا — وهذه نساء وفتيات رشيد تصب الماء والزيت المغلى من نوافذ البيوت على رؤوس العساكر الانجليز — وآخر يضرب جنديا ببلطة .

وعلى الحائط قد عرضت أنواع الأسلحة والبنادق والخناجر والبلط التى كانت مستعملة فى القتال وتجد منها (بلطة) مهداة من السيد فؤاد محمود شهاب قد استخدمت فعلا فى المعركة ولا تزال آثار الدماء عليها .

وسترى الأعلام التى كانت تتصدر هذه المعركة التاريخية ومكتوب عليها (لااله الا الله محمد رسول الله) .

أما الحجرة التى تقابلها ، فسوف ترى فيها نماذج لاحدى الطوابى التى كانت تحارب الانجليز ، كذا بعض الخرائط التاريخية وصور فوتوغرافية رائعة لبعض المواقع والمنازل الأثرية فضلا عن نفس الحجرة بما فيها من نوافذ ودواليب وأبواب قد صممت دون ان يستعمل فيها ما يسمى (بالمسامير) .

أما الحجرة الثالثة فسوف تجد فيها نموذج (حجر رشيد) و (صـــورة عقد زواج القائد عبد الله مينو من زبيدة البواب) وأيضا (الدرع التذكارى) الذى أهداه الرئيس جمال عبد النـــاصر لمدينـــة رشـــيد الباسلة قدمه للعقيد محمد فتح الله مأمور مركز رشيد بمناسبة افتتاح المتحف .

كما توجد بهذه الحجرة بعض الكتب التى تتحدث عن معركة رشـــيد منهـــا كتاب :

١ ــ غادة رشـــيد ــ للأستاذ على بك الجارم .
٢ ــ كتاب عصر محمد على وفيه نص الاتفاقية الخاصـــة بجـــلاء القوات الانجليزية عن مصر عام ١٨٠٧ .
٣ ــ القاموس الجغرافى (للتعريف برشيد) .
٤ ــ كتاب عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ــ للجبرتى .
٥ ــ كتاب انجلترا ومصر وفيه نص خطـــاب مرســـل من الجنرال ستيوارت قائد الحملة الثانية على رشيد الى القائد فريزر يعترف فيه بشدة المقاومة ويشير الى فداحة الخسائر التى منيت بها الحملة الانجليزية .

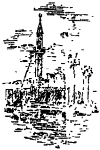

• مصيف رشيد

بعد الحرب العالمية الثانية وفى عام ١٩٤٦ بدأت فكرة الدعوة لمصيف رشيد — فأقام الأهالى بعض الكبائن والعشش كما افتتحوا كازينو ومطعما ولم يكن مصيف رشيد معروفا من قبل كما أن استعداداته وامكاناته لاتفى بمتطلبات المصطافين وخاصة من وسائل المواصلات والترفيه والأمن ، ولم يكن فى حس أبناء رشيد ولا طبقاتها المثقفة التفكير فى الاصطياف حيث أن تقاليدهم الاسلامية تعصمهم من الاختلاط فضلا عن العرى .

لهذا لم تتهيأ لهذا المصيف أية فرصة للنجاح ، وفى عام ١٩٦٩ عادت الفكرة من جديد وتولاها فى هذه المرة وأشرف عليها مجلس مدينة رشيد فأقام على شاطىء البحر ثلاثين عشة مجهزة بدورات مياه وأدوات مطبخ وقام ببناء ٤٤ أربعة وأربعين شاليه من حجرة واحدة وحجرتين على شاطىء البحر وشاطىء النيل مجهزة تجهيزا كاملا — وأقام كازينو على مستوى راق وبه كافتيريا — وفى عام ١٩٧٤ انشأ فندقا سياحيا وأقام حديقة رياضية للأطفال . كما افتتح سوقا تجاريا لتمويل المصطافين بجميع انواع المأكولات والخضار واللحوم والأسماك والحلويات ، وافتتح جمعية تعاونية منزلية بها جميع المستلزمات المنزلية .

وأعدت ادارة المصيف خزانا كبيرا للمياه وزودت المصيف بالاضاءة الكهربائية وأقام المهندس زكى طبيخة مسجدا وصالة ودورة مياه على شاطىء النيل يتسع لعدد كبير من المصلين كما انتظم خط مواصلات دائم فى ايام المصيف ليلا ونهارا .

ويمتاز هذا المصيف عن غيره من المصايف بالهدوء وعدم الازدحام — وبنوعية خاصة من الرواد اذ أن أكثرهم من الاسر والعائلات المحافظة .

واخيرا قام مجلس مدينة رشيد بشراء ٣٣٣ فدان من وزارة استصلاح الاراضى لتوسيع منطقة المصيف وسيقوم بتقسيمها وبيعها للأهالى حسب الشروط التى تيسر للناس الحصول على قطع لبنائها ، والمشكلة التى تهدد المصيف مستقبلا هو خطر تآكل الشاطىء المستمر والخطير كما نوهنا عن ذلك فى غير هذا المكان .

حافظوا على تل "أبو مندور"

منذ عشرات السنين لم يكن أحد من أبناء رشيد يتصور أن هذه التلال والكثبان العالية من الرمال الناعمة التى تمتد من رشيد جنوبا الى مسجد (أبو مندور) وغربا حتى تصل الى طريق رشيد الزراعى — والتى بلغ ارتفاعها عند ساحل النيل أنها غطت مسجد البواب جميعه حتى قمـة المئذنة — لم يكن أحد يتصور أن هذه التلال يمكن ان تزول وتسوى بهـا الأرض ، وأن يوما سوف ياتى يرصف فيه شارع يخترق هذه التلال ليربط بين طرفى المدينة ، فيكون ذلك سببا يتسابق بعده الناس لشراء الأراضى ورفع هذه الرمال وتعمير هذه المنطقة بالمساكن والورش والمصانع ، وقد كشفت ازالة هذه الرمال بالقرب من الساحل عن أرض طينية صالحـة للزراعة ، كما وجدت بعض المبانى التى تدل على أنه كان يوجد عمـران بهذه المنطقة كما أشرنا الى ذلك فى موضع آخر ، هذا وقد بدأ العمران فى رشيد يزحف أيضا على المناطق الرملية شرقا حتى كاد يصل الى حافـة الترعة الرشيدية ولعل من المهم أمام هذا الزحف الذى يلتهم هذه التلال ، أن نبقى ونحرص على التل الكبير الذى يقع خلف مسـجد (أبو مندور) والذى كان يوما قلعة حربية ترقد تحته بعض المدافع العثمانية الثقيلة التى شاركت فى هزيمة الحملة الانجليزية بقيادة فريزر عام ١٨٠٧ ، وهذا التل الذى يربض فوقه خزان مياه رشيد القديم والذى يقصده ويقف فوقـه الزوار والسياح من كل مكان ليشهدوا أروع الصور والمناظر التى صنعها الله تعالى .

وكم يكون جميلا وموفقا للغاية لو أنه تم رصف شـارع يمتـد موازيا لساحل النيل من مسجد العباسى الى مسجد (أبو مندور) حتى يسـهل الوصول الى هذه المنطقة السياحية ، وحتى نضفى على مدينة رشيد بهاء وجمـالا .

رشيد تفوق سويسرا فى مناظرها الطبيعية .

كان الاخ الاستاذ محمود محمد عبد الحليم فى أوائل الثلاثينات طالبا بالمدرسة العباسية الثانوية باسكندرية — قال لى انه كان يدرس له اللغة الفرنسية فى هذه المدرسة أستاذ سويسرى له لحية اسمه المسيو فوشتير — صار بعد ذلك أستاذا بكلية الآداب قسم اللغة الفرنسية .

وفى اجازة نصف السنة زار الأخ محمود فىرشيد زميل لهوصديق حميم هو الدكتور جمال الدين نوح رحمه الله . فصحبه الى رحلة نيلية الى مسجد أبى مندور وبعد أن زارا المسجد والقيا نظرة على ماحوله جلسا فى مدخل المسجد فى مواجهة النيل — فأقترب منهما قارب — تبينا فيه رجلا أجنبيا ذا لحية — فقاما الى الشاطىء وجاء القارب واذا بركابه أستاذهم المسيو فوشتير وأبناؤه ففرح بلقائهما ورحبا بمقدمه .

ولما عرف أننى من ابناء رشيد سر كثيرا وطلب منا أن نصعد معه فوق تل أبى النظر وهو تل رملى له صيت كبير واسع ينتهى سفحه عند شاطىء النهر فلما وقفنا فوق التل امسك بقطعة صغيرة من الحجر وسألنا من منكم يستطيع ان يقذف بها الى الشاطىء الآخر من النهر ؟ فقلنا له اننا نستطيع أن نقذف بها فتصل الى منتصف النهر فضحك فأخذت بالحجرة وقذفت بها بأقصى ما أستطيع من قوة ففوجئت بأنها لم تصل حتى الى شاطىء النيل القريب . فضحك الأستاذ وقال هذا ماكنت أتوقعه لأنكما لم تدخلا فى حسابكما ميل النيل .

وكان مع الأستاذ كاميرا فالتقط بها عدة مناظر من فوق التل للمسجد وشجرة الجميز التى بجانبه وللنيل بكل منحنياته العجيبة فى هذا المكان وللمزارع الخضراء فى البر الشرقى ثم التفت الينا قائلا :

يا أبنائى ان كبراءكم وأثرياءكم مغفلون اذ يأتون الى سويسرا للتصييف وعندهم هذا المنظر الذى لامثيل له فى سويسرا — وبعد انتهاء اجازة نصف السنة واستئناف الدراسة ، طلبنا المسيو فوشتير واطلعنا على مجلة سويسرية نشرت تحقيقا صحفيا على عدة صفحات منها عن مسجد أبى النظر والمناظر الخلابة التى تحيط به وزينت التحقيق بالصور التى التقطها المسيو فوشتير وترجم لنا بعض عبارات من المجلة كانت اشادة بهذا المنظر الرائع المنقطع النظير .

قناطر إدفينا

قناطر ادفينا التى تقع على بعد عشرين كيلو متر جنوبى مدينة رشيد — موقع سياحى رائع وجميل تحيط به الحدائق الفسيحة يقصده الزوار من كل مكان فى ايام الجمع والأعياد والعطلات الرسمية وخاصة رحلات الطلاب — والطريق الى القناطر من رشيد تحفه الأشجار وتحيط به الجناين التى تزرع الموالح فتعطر الطريق بشذى روائح الأزهار المنعشة قبيل شروق الشمس .

وكى نعرف الغرض الأساسى من بناء قناطر ادفينا يجب ان نعطى للقارىء الكريم فكرة عن الأسباب الهادفة لهذا المشروع الكبير — فانه قبل ان يبدأ فيضان نهر النيل الذى عادة مايكون فى شهر أغسطس من كل عام — تسمى الفترة السابقة عن الفيضان « بأيام التحاريق » حيث يهبط مستوى ماء نهر النيل عن مستوى ماء البحر الأبيض المتوسط الذى يبعد عن قناطر ادفينا بحوالى خمسة وثلاثون كيلو حيث يلتقى البحران . وبهذا يطغى ماء البحر المالح على ماء نهر النيل ويطارده حتى يصل به الى قناطر محمد على . وبهذا يفقد الأهالى مصدر الماء الذى يشربون ؛ وتفقد الأرض الزراعية مصدر الخير والحياة .

لهذا عمدت الدولة فيما قبل بناء القناطر الى عملية صعبة وهى اقامة (سد ترابى) فى مجرى النيل يقع فى مواجهة قرية (ديبى) يقوم على اقامته الآلاف من العمال باشراف وزارة الأشغال — يعتمد هذا السد على القاء آلاف الأطنان من التراب بين حواجز خشبية مثبتة فى قاع النهر . وبهذا السد يمكن عمل حاجز بين ماء النيل وماء البحر .

حتى اذا اشتد فيضان النيل فى شهر أغسطس . حددت وزارة الأشغال يوما لحفل افتتاح السد الترابى يحضره آلاف المشاهدين من مدينة رشيد وما حولها ومعهم فرق الموسيقى والمزمار البلدى وفى هذا الحفل تكون قوة اندفاع فيضان ماء النيل قد بلغت ذروتها فتجرف امامها السد الترابى وما فيه من مؤن وأخشاب فتقذف به فى أعماق البحر الأبيض — فيهلل الناس ويفرحون ويوزعون الحلوى والشربات ايذانا بموسم الخير والبركة .

وفى هذه الايام ترى وتسمع الأمواج تتلاطم ويتحول لون الماء من اللون

الأزرق الى اللون البنى القاتم وترى حرس الشواطىء منتشرون على الساحل خوفا من أن يرتفع منسوب الماء فيشق طريقه الى البلاد .

ولما كان من الضرورى اقامة السد الترابى فى كل عام على الدوام فانه ولا شك يكلف الدولة أموالا طائلة تذهب مع ماء الفيضان بلا جدوى ــ لهذا فكرت الدولة فى بناء قناطر ثابتة وراسخة .

فقام ببناء قناطر أدفينا والاشراف الكلى عليها المهندس المصرى « أحمد فهيم » وقام بتنفيذ المبانى شركة (ايجبكو الايطالية) وقام بعمل وتركيب البوابات الحديدية شركة ألمانية . واستعمل فى بناء القناطر حجر الجرانيت الأحمر الذى جهز فى أسوان ، والقناطر بها بوابات كثيرة تتحكم فى منسوب ماء النيل الذى يرتفع خلفها ــ ويوجد فى الجهة الغربية من مبنى القناطر (هويس) ليسمح بمرور المراكب من المنسوب العالى الى المنسوب الواطى وبالعكس بواسطة بوابات ضخمة تتحرك آليا وهذا المشهد رائع يستحوذ على اعجاب المشاهدين .

وتقع فى الجانب الغربى مايسمى بالمستعمرة وهى المبانى والمنشآت المخصصة للقائمين بالاشراف على ادارة القناطر من مديرين ومهندسين وموظفين وعمال ــ وقد أقيمت هذه المبانى على مساحة كبيرة يتوسطها مسجد وملعب وبالمستعمرة كل الامكانات .

وقد بدء فى بناء قناطر أدفينا عام ١٩٤٩ وقام رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة بافتتاحها فى حفل كبير فى يناير ١٩٥١ .

تطور التعليم فى رشيد :

لم تعرف رشيد التعليم أول عهدها عن طريق المدارس ولكنها عرفته كغيرها من البلاد عن طريق « الكتاب » ورشيد كانت عامرة بعشرات من الكتاتيب وأهمها « كتاب خير الله » ومكانه يقع أمام باب مسجد الجندى من الناحية القبلية . وكان آخر كتاب الى عصرنا الحديث . ولقد توفى الشيخ « محمد خير الله » عام ١٩٥٨ عن أكثر من مائة عام وكان رحمه الله من الفقهاء الصالحين وتربى على يديه أكثر المثرئين فى رشيد ، وكان هناك كتاب آخر للشيخ حسوبة رحمه الله ، وكانت مهمة الكتاب فى الأصل هى تحفيظ القرآن الكريم وتجويده ويضاف الى ذلك تعلم اللغة العربية والحساب ــ وكانت الكتابة عادة على لوح من الاردواز ثم استعملت

الألواح الخشبية بعد ذلك وكانت من الصناعات الرائجة عند النجـــارين برشيد .

ثم كانت المساجد هى المصدر الثانى للتعليم فى رشيد وهى كثيرة جدا ، وللمساجد دور كبير فى تثقيف أهالى رشيد من الناحية الدينية والاجتماعية وأكثر الأئمة الذين كانوا يقومون على هذه المساجد الكثيرة لم يتخرجـــوا من الأزهر الشريف بل أكثرهم وعلى راسهم العالم التقى الشيخ محمد قاسم امام مسجد الجندى والشيخ محمد أبو السعود قد تلقوا العلم على أيدى علماء المساجد فى رشيد .

وأهالى رشيد معروفون بالتفقه فى علوم الدين لفرط حرصهم على العلم ومواظبتهم على حضور المساجد ، ولم يكن فى رشيد آنذاك مايحول دون المساجد مثلما وجد اليوم من القهاوى والمنتديات والشواطىء والبلاجات والتلفزيون وكرة القدم .

وقد ذكر أن الخديوى اسماعيل باشا والد الخديوى توفيق قد أنشـــأ فى رشيد مكان مدرسة على الجارم اليوم فى مواجهة النيـــل سراى كبيرة اتخذها مدرسة ابتدائية كان من تلاميذها يؤمئذ الزعيم ســـعد زغلول وفتح الله بركات باشا وفتحى زغلول باشا . فقد جاء فى الوقائع المصرية فى عدد ٢ أبريل عام ١٨٧١ أن مدرسة رشيد الابتدائية قد تم افتتاحها فى ٢٣ مارس عام ١٨٧١م ٤ ربيع الأول ١٢٩٣هـ وكان عدد تلاميذها ٧٠ وناظرها الأستاذ محمود وهبى وكان ممن تعلم فيها أحمد فتحى باشـــا وكيل الحقانية .

ولم يقم بزيارة هذه المدرسة سوى عباس باشا الثانى ، ثم صدر أمر من الانجليز بالغاء هذه المدرسة وابدلوها بمدرسة أولية كان ناظرها بعد ذلك الشيخ محمد البشارى شقيق الشيخ عطية البشارى صاحب المؤلفات الدينية .

هذا ومما يذكر انه كان فى رشيد مدرسة تقوم بتعليم اللغة الفرنسية ويقال ان مكانها كان بجوار مسجد المحلى من الناحية القبلية ، وكان من تلاميذها المرحوم السيد عبد الحميد زقزوق والحاج نصر الطيبانى وتسمى مدرسة صدقى .

والمدارس التى قامت بعد ذلك فى رشيد تكاد تكون معروفة للجيـــل

الحاضر نذكر منها « مدرسة عبد الحليم » وكان مكانها منزل آل عبد الحليم بشارع موردة البصل وهى مدرسة أولية اهلية .

* مدرسة الأساس المتين المؤسسة عام ١٩٠١ وصاحبها الخواجة خليل حنا مليكه استوطن رشيد وكان مرتلا بكنيسة مارى جرجس .

* والمدرسة الأولية التابعة لمجلس مديرية البحيرة آنذاك ومكانها المبنى الذى كان يلاصق جدار قبلة مسجد الشيخ قنديل وكان يطلق عليها مدرسة السحت نسبة الى عائلة السحت صاحبة الدار .

* والمدرسة الابتدائية أو مدرسة « البدل » كما كانت تسمى حينذاك لأنها المدرسة الوحيدة التى كانت تلتزم بلبس البدلة ومكانها يومذاك بحرى مسجد المشيد بالنور وينفصل بينهما زقاق .

وكانت مدرسة رشيد الابتدائية هذه هى أعلى درجة للتعليم فى رشيد وكان الطالب الذى يحصل على الابتدائية ويريد أن يتم تعليمه عليه أن يختار بعد ذلك : اما العباسية الثانوية باسكندرية أو مدرسة محمد على الصناعية باسكندرية أو مدرسة التجارة المتوسطة أو مدرسة المعلمين الأولية باسكندرية ايضا او نفس المدارس بمدينة دمنهور .

وكانت برشيد مدرسة للبنات هى المدرسة الوحيدة ، وكان أولياء أمور الطالبات لايسمحون للفتاة بأن تتجاوز مرحلة التعليم للأولى ثم تعود الى مدرسة البيت ، واذا كان سن الطالبة يتجاوز الرابعة عشر فانها تحتجز فى المنزل ولو لم تتم مرحلة التعليم الأولى .

وفى عام ١٩٣٢ برز فى الدولة المصرية مشروع القرش وهو المشروع الوطنى الشعبى الذى نهض به الشعب يومذاك ، وكان من آثار هذا المشروع المبارك هو انشاء مدرسة المحافظة على القرآن الكريم فى رشيد، اذ نهضت رشيد بشبابها المثقف بالدعوة الى مشروع القرش وانشأت مدرسة تحفيظ القرآن فى عام ١٩٣٢ وبقيت فى مكانها فى منزل الحكيمة حتى انتقلت عام ١٩٦١ الى مبناها الجديد الذى تولت انشائه جمعية البر والاصلاح فى رشيد خلف المدرسة الثانوية الجديدة .

وجدير بالذكر ان التعليم بقى تابعا لمجلس مديرية البحيرة الى أن انضمت المدارس الى وزارة المعارف وبهذا بدأ التعليم يدخل مرحلة جديدة

فانشئت عدة مدارس اخرى أولية مثل مدرسة الجناين ومدرسة النور وغيرها وكذا .

توجد فى رشيد عدة مدارس ثانوية للبنين والبنات كذا مدارس ثانوية فنية وثانوية تجارية ، كما يوجد مبنى للمعهد الدينى الابتدائى والاعدادى.

رشيد مدينة المعمرين :

اذا تصادف وقمت بزيارة لمدينة رشيد وجلست علىاحدى مقاهيها فانه سوف يسترعى انتباهك أمران : الأمر الأول انه يندر ان ترى امرأة تسير فى الشوارع ولا سيما الشوارع الرئيسية المزدحمة بالرجال . والأمر الثانى ما تلاحظه من كثرة الرجال المعمرين الذين يمرون أمامك وكأنهم يهمسون فى اذن الحياة بأسرار الوجود . فهم يمشون فى تؤدة واطمئنان يرفعون الأذى من الطريق لاتزعجهم سيارة أو ينحيهم زحام — يقضون حوائجهم بأنفسهم ويحرصون على الصلاة فى أوقاتها وهم على صلاة الفجر أشد حرصا ولو كان الشتاء منهمرا والبرد شديدا — وحياتهم خالية من القلق بعيدة عن التوتر اذ لاتربط حياتهم مصالح رسمية أو حكومية فان الرجل قد قطع من حياته المائة عاما ولم يحدث أن ذهب الى قسم البوليس ولم يدخل المحكمة مرة واحدة .

ويعزوا كثير من الاحصائيين ارتفاع نسبة المعمرين فىرشيد الى أسباب ترجع الى مناخ رشيد الساحلى — فالجزيرة الخضراء وهى تربة تقع على الضفة الشرقية المقابلة لرشيد فيها نسبة كبيرة من المعمرين أيضا .

وقد يكون لهذا بعض الحقيقة فى اطالة الأعمار — ولكن هذا فى الواقع لا ينطبق الا على نسبة قليلة من الأهالى . ولكن يمكننا ان نضيف الى هذا العامل عدة عوامل أخرى تساعد على ادراك حقيقة هذه الظاهرة .

جدير بالذكر ان لأهالى رشيد السابقين طابعا خاصا فى حياتهم ومعاشهم اهمها انهم كانوا يقضون أعمالهم بعد صلاة الفجر مباشرة وينتهون منها بعد صلاة العصر مباشرة حيث يستمعون الى درس العصر فى المساجد ثم ينفضون الى النزهة على شاطىء النيل أو جلسات على الرمال التى تقع على ساحلها الغربى فى لعب ولهو مع أطفالهم . حتى اذا أذن المغرب هرعوا الى الصلاة فى المساجد ثم ذهبوا الى منازلهم .

كان طعامهم متيسرا واهمه الخضروات الطازجة كذا الأسماك الكثيرة

الطازجة فلم يكن يعوزهم الطعام الوفير من اللحـــوم الطازجـــة والبيض والمسلى واللبن كل هذا كان متوفرا للغاية وبدون مشقة كبيرة لقد كانوا ياكلون من سمك القاروس البطارخ فقط ولم يعرفوا هذه الأنواع مثـــل الجمبرى والكابوريا والسيوف والبسريا وانما كانت هذه تلقى على شاطىء البحر ولا يدخل بها الصيادون رشيد .

كان هؤلاء لايحملون هم المساكن والسكن فقد يأتى أحدهم الى صاحب بيت ويطلب منه ان يبنى له سكنا فوق بيته اى على نفقة الطالب فيأذن له دون مقابل ودون عقد ودون مكاتبة أو شركة ولا تزال هـــذه البيوت موجودة للآن فى رشيد — الى هذه الدرجة من السماحة والأخوة عاش الناس فى رشيد دون قلق ودون خوف من شىء لأن التعاون كان سجية فيهم فلم يبق فيهم فقير ولا محتاج الا اعانوه ولعل هذا هو السر الحقيقى فى كثرة المعمرين فى رشيد .

المكيفـــــات :

رشيد بلد متدين بطبعه واستقامة شبابه فطرة ، والتربية فى رشيد مؤسسة على تنشئة المنزل ورعاية الوالدين ، فالشـــباب على الدوام والفتاة فى كنف العائلة ، وملاحظة العوامل التى تطرأ على سلوك الفتى والفتاة من الأمور التى يسهل اكتشافها فى البيئة فاذا تأخر الطالب عن موعد دراسته يسأل عن سبب تأخره فليس عندنا فى رشـــيد مايسبب التأخـــير مثـــل المواصـــلات ، واذا رؤى أحدهم يصـــادق احدا ليس من بيئته فانه يكون موضع انتقاد شديد ، وهكذا لايستطيع الانسان أن ينحرف حتى تلاحقه الانذارات والانتقادات .

والعادات فى رشيد لاتزال تجعل من الابن مهما بلغ سنه مطيعا لوالديه يوقرهما ولا يستطيع مثلا أن يدخن السيجارة فى رحابهما بل هو كثـــيرا ما يحاول أن يخفى عنهما انه يدخن السيجارة ، ولا أبالغ اذا قلت لك أن اكثر من ٧٠٪ من أهالى رشيد لا يدخنون ، واذا كان الأمر كذلك فان نسبة ضئيلة جدا من أهالى رشيد هم الذين يعرفون الكيوف الخطـــيرة مثـــل الحشيش والأفيون هذه النسبة لا تعدو أن تكون أفرادا ، وليس فى رشيد الآن خمارة بمعنى الخمارة اللهم الا محل واحد لا يزال عارا فى جبين اهل رشيد ، والقلة القليلة التى أشرنا اليها ممن يتعاطون هذه المكيفات يكاد عددهم يكون معروفا لدى الناس جميعا .

ولما كان موقع رشيد على البحر الأبيض والنيل وأن هناك مراكب تدخل الميناء قادمة من بلاد الشام فانه أصبح من الضرورى حماية هذا البوغاز من التهريب ، ولهذا قامت نقطة سواحل رشيد لهذا السبب لمراقبة التهريب ومكافحته وتقوم على كوبرى المعدية الذى يقع بين رشيد والاسكندرية نقطة سواحل اخرى لهذا الغرض نفسه .

واذا اعتبرنا أن الشاى والقهوة من الكيوف فان ٧٠٪ من أهالى رشيد يشربون الشاى وقلة يشربون القهوة وأن اهالى رشيد لم يعرفوا مشروب الشاى الا منذ ثمانين عاما وكان أول مقهى استحضر مشروب الشاى كان يعرضه كمشروب جديد بدون ثمن — ثم أخذ فى الانتشار حتى أصبحت المقاهى لا تعد — وفى هذا يقول على بك الجارم (اذا ذهبت الى رشيد فسوف تجد بين كل قهوة وقهوة قهوة) واهالى رشيد لهم حاسة بالنسبة للشاى فانهم لا يشربون الا الشاى الجيد .

الطب :

رشيد كغيرها من البلاد بعيدة عن مراكز النشاط الذى يجذب اليها كبار الأطباء ولقد ظلت رشيد محرومة من العناية الطبية زمنا طويلا فهى فى ماضيها القريب كانت تعتمد كثيرا على الطب البلدى الذى يعرفه أكثر العامة ، فانه لا يزال الى اليوم يتوجه الى صاحب محل العطارة قوم كثيرون من رشيد ومن ضواحى رشيد يأخذون منه وصفات عن البرد وعن الكحة وعن الروماتزم وعن الأمراض الجلدية وعن كل ما يعن لهم من أمراض ، ولا تزال أسماء هذه الأدوية البلدية متداولة فى هذه الأوساط .

كما لا يزال الزار وأبو الغيط له مجال فى رشيد وان كانت الطبقة المثقفة تغاضت عن هذا الأسلوب فى علاج الأمراض العصبية حين اتجهت الى الطب الحديث .

والى عهد قريب كان (المزين) أو الحلاق هو طبيب الحى الذى يوثق به ولقد كان فى رشيد رجل يدعى « السكرى » وهو حلاق كان هذا الرجل يقوم بعمل عملية الدوالى بواسطة ابرة مفتوحة أو بوصة رفيعة كما كان يقوم بامتصاص الصديد من الأذن المريضة كما كان يقوم أيضا بعملية الختان للذكور وعلاج الجروح والدمامل وغيرها .

ويعرف فى رشيد السيد / مصطفى عابدين وهو عميد هذه الطائفة وكان له نشاط كبير فى علاج كثير من الأمراض وكانت له عيادة خاصة

بمنزله ، وكان يعالج أمراض العيون والأذن واشتهر بالختان وكان الختان فى عصره له اهمية كبيرة فكثيرا ما يتم الختان فى حفلات رائعة وله منـــه دخل كبير وكان ينتقل الى المنازل فى هـــذه المناسبات . ولا تزال عائلة عابدين فى رشيد تحتكر هذه المهنة .

وكان الحاج أحمد الجميل يختص فى علاج مرضى العيون وخلع الأسنان وكان ينتقل الى الأرياف على حماره الخاص . وكان خلع الأسنان بطريقة بدائية مرهقة .

وفى هذه الفترة كان قد وصل الى رشيد بعض الأطباء الأجانب الذين مارسوا مهنة الطب ونزحوا الى رشيد وعلى رأسهم الدكتور جورج ينى ماندراجوس .

ولم يكن فى رشيد فى هذا الوقت صيدلية تمد الأهالى بالأدوية بل كانت رشيد تأخذ مستلزماتها الطبية من اسكندرية كما كانت تتوجه بمرضاها اليها على الدوام .

ولقد قام السيد / درويش عابدين فافتتح مخزنا للأدوية عام ١٩٣٠ وبقى هذا المخزن الوحيد يخدم أهالى رشيد حتى بدأت أول صيدلية كان افتتاحها عام ١٩٤٠ لصاحبها الدكتور أحمد رمسيس وتبعتهـــا صيدلية الدكتور معاذ النجار عام ١٩٥٩ .

وفى اغسطس عام ١٩٣٠ افتتحت المستشفى الأميرى بزيارة اسماعيل صدقى باشا رئيس الحكومة وبها اقسام للجراحـــة والرمد والأســـنان والبلهارسيا ، وكان لافتتاح المستشفى فى رشيد فضـــل كبير فى تطوير العلاج فى منطقة رشيد وتحويل الأفكار الى العلاج الحديث .

واستوطن فى رشيد مجموعة من الأطباء على اثر وجـــود المستشفى فرأينا نخبة طيبة ادت اعظم الخدمات الى اهالى رشيد لا يزال اسمهم راسخا فى قلوب المعاصرين . منهم : الدكتور النابغة امين رويحة والدكاترة الذين انسابت على ايديهم الرحمة الدكتور عيسوى صقر والدكتور محمد علبة والدكتور مصطفى شلبى والدكتور عوض الدحة .

كما قام فى رشيد مستوصف لرعاية الطفل ولقد كانت رشيد تعتمد فى هذه الناحية على مشورة (الداية) ورعايتها وكما هو معروف أن الداية ليس لها دراية وظلت رشيد فترة ـــ ولا تزال ـــ تمتنع عن التعامل مع

المستوصف اعتقادا أنه جاء فقط لرعاية الفقراء ، ولقد بدأ هذا الاحساس يزول حين ادرك الأهالى أن المستوصف له أهميتـه الكبرى بالنسـبة لمستقبل المولود .

كما وجد فى رشيد معزل طبى للأمراض الخطيرة يقوم بعيدا عن رشيد فى طريق رشيد اسكندرية ، ويقوم مكتب الصحة فى رشيد بتطعيم الأطفال ورعاية الصحة العامة والتفتيش على الأغـذية والمـأكولات والميـاه المعدنية .

كما يقوم فى رشيد أيضا مكتب لمكافحة الملاريا وردم البرك والمستنقعات.

وأخيرا انشأت وزارة الصحة مبنى خاصا بمعهـد التمريض ملحقـا بالمستشفى المركزى .

رشـيد البخيلة :

البخل دعاية تواجه أهالى رشيد أينما توجهوا — فـلا يكاد محدثك يعرف أنك رشيدى حتى يسألك عن ثلاث — البخل والنكتة والكلام بالقاف.

جيت امتى ومسافر امتى — تتعشى ولا تنام خفيف — ويقول لك ان الضيف عندما ينزل عند الرشيدى يقول المضيف لابنه خذ عمك الغيط وفى الغيط يشبع من اكل البلح ، ويسترسل فيروى لك قصة الرجل الذى نزل رشيد وطرق باب أحد المنازل وأخرجوا له (شالية لبن) وأكل الرجـل وشرب وحمد الله وشكر لصاحب المنزل كرم أخلاقه ولكن صاحب المنزل قال له والله لولا أنه قد وقع فيها فار ماشربتها فى حياتك .

تلك هى الصورة الراسخة فى أذهان الناس عن بخل أهالى رشـيد والواقع والحقيقة التى يجب أن نقولها فى غير مجاملة أو محاباة هى أن واقع أهل رشيد والمشاهد فى حياة أهلها يختلف عن هذه الصورة تماما ، فان الذى يقال عن رشيد يقال عن غيرها تماما ولقد سمعت نفس هذه القصص عن بلاد غير رشيد تقع فى مصر وفى غيرها .

وأول مايمكن التدليل به على صدق ماأقول : هو نفس الأسـاليب السابقة فانها فى الواقع تحمل نفس روح أهل رشيد أعنى النكتة ، ولكنه طبع مألوف فى أخلاق رشيد لايمكن أن تفارقهم حتى مع ضيوفهم ، واذا لم تكن النكتة مع الضيف فمع من تكون ؟

ويروى أن زائرا هبط رشيد ومر على أحد الجزارين ونظر الى الذبيحة

وكرر النظر ثم مضى دون أن يشترى فلم يعجب ذلك صاحب محل الجزارة فخرج له وقال يا أستاذ فنظر اليه فقال له عندنا لك مخ كويس !!

وأهل رشيد يرحبون بالضيوف ولا يشعرون بأى تكلف فى زيارتهم فان جميع بيوتات رشيد القديمة تحتوى على حجرات ضيافة مجهزة بكل وسائل الراحة ، فضلا عن أن كل هذه المنازل مجهزة بسبيل للمياه ولا يخلو شارع واحد فى رشيد القديمة من هذه الوسائل للضيافة وأنى لأسوق هذه القصة الخالدة التي يرويها تاريخ الكرم فى رشيد لتكون حجة وافية وشافية فى هذا الموضوع ففضلا عن أن متوسطى الحال من أهالى رشـــيد يقومون بهذا الواجب الذى يحتمه عليهم الشرع الحنيف فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) .

أسوق هذه القصة : فقد روى أن الخديوى توفيق جاء رشيد فى الذهبية وهى الباخرة الخديوية ونزل أمام الكشلة وكانت زوجته قد وضعت الأمير (محمد على توفيق) واحتاج الأمير الى كمية من اللبن فى الصباح فحين علم بذلك أحد أعيان رشيد وهو عباس خليل صاحب الأرض الزراعية الممتدة من الكشلة الى البرج أحضر عشرين جاموسة لتقدم اللبن فى الصباح للأمير يوميا ، وعباس خليل ذلك الرجل الذى باع أكثر أرضه بعد ذلك للسيد عثمان طبق عمدة رشيد .

ومما يجعل الكرم فى أخلاق أهل رشيد واجبا ــ ذلك انه لاتوجد فىرشيد أماكن مناسبة للقيام بواجب الضيافة مما يضطر كل صـــاحب ضيف أن يكرمه فى بيته الخاص ، ولا يستطيع أى ضيف أن يستشعر معنى اكرام أهل رشيد الا فى منازلهم لأن طريقة طهى الطعام الرشيدى مثـــل الأرز والسمك والطيور لاتكون الا فى البيوت .

ولا تنسى سمعة « الأرمان » والأرمان شخصية معروفة لجميع زوار رشيد الذين يحبون الكباب الرشيدى ــ فان اسم الأرمان وهو اســـم تقليدى أما اسم الجد الحقيقى لهذه العائلة فهو الحاج عبد الرحمن الخدل .

والأصل فى فكرة الأرمان ــ انك تشترى اللحم الخاص وتعطيه له وهو يقوم بعملية الشواء بطريقة خاصة مع التوابل اللذيذة وكذا تستحضر معك انت السلطات وغيرها .

اذا رغبت فى ذلك ــ وفى هذه الأيام لم يصبح فى رشيد (أرمان) واحد بل كثرت هذه المحلات وزاد روادها .

ومن الملاحظ أن أكثر الموظفين الذين يتم تعيينهم فى المدينة ــ يفضلون البقاء بها حتى ولو انتهت مدة الوظيفة واحيلوا الى المعاش وهذا دليل على حسن معاملة أهالى رشيد لضيوفهم .

القاف فى حديث أهالى رشيد :

لا يزال كثير من الناس يعتقدون ان القاف هى الحرف البارز فى كلام اهل رشيد فهم يحفظون عنهم (الولد وقع من القارب انقلعت عينه) ويقولون عن الرشيدى (رشيدى مقطقط) .

والواقع أننا لانحب أن نتبرأ من هذا الشرف فان الحديث باللغة العربية الصحيحة أسمى مانتمناه للمواطنين جميعا . ولكننا بصدد البحث عن الحقيقة المجردة ، فالذى يعرف أهل رشيد انفسهم الذين يعيشون فى البندر يوقن أن القاف هذه ابعد ماتكون فى حديثهم ، ولكن هناك بعض قرى تجاور رشيد منها برج مغيزل والجزيرة الخضراء على ضفاف النيل فى الجهة الشرقية وبرج رشيد الذى يقع على ساحل البحر الابيض وتقع بحرى رشيد ، تلك القرى هى التى تتكلم بالقاف وبصورة واضحة جدا لدرجة تلفت السمع .

وتعتبر هذه القرى من رشيد بالفعل فان تجارتها وزيارتها لرشيد مستمرة ومتكررة ومع هذا كله فانها تحتفظ وحدها بهذا الأسلوب .

وانا فى الواقع لاادرى الأسباب التاريخية التى فرقت بين حديث هؤلاء رغم ان المسافة لاتعدو الانتقال من البر الشرقى الى البر الغربى من النيل ومع هذا فان كلا الجانبين يحتفظ بطبيعة أسلوبه والذى أستطيع أن أستنبطه بصراحة .

أن القاف كانت الى عهد لايزيد عن مائة عام هى اللهجة السائدة فى هذه المنطقة جميعا أى رشيد البندر وضواحيها على الاطلاق والذى يؤيدنى فى ذلك أن الشيخ الجليل احمد الجارم ومن قبله كانوا يتكلمون بالقاف وأن الشيخ محمد ابو السعود المتوفى عام ١٩٦٠ والذى بلغ من العمر أكثر من مائة عام كان يتكلم بالقاف وقد لاحظت ذلك بنفسى ، والمعروف أن رشيد البندر قد تطورت تطورا كبيرا بالنسبة لقربها من العاصمة الثانية واختلاط

أهلها فى رحلاتهم بجميع البلاد الأخرى ، وأن كثيرا من المصالح فى رشيد مرتبطة بجهات متعددة ، وأن كثيرا من أبنائها قد مارسوا التعليم فى جميع المراحل واختلطوا بأوساط كثيرة ، كل هذه العوامل هى التى ساعدت رشيد على تعديل النطق حتى صارت القاف محصـــورة الآن فى أطراف رشيد البحرية باعتبار أنها منعزلة عن المجتمع العام ، وقد لاتمضى خمسون عاما أخرى حتى تلتئم هذه القرى مع رشيد فى القافية .

وبقى بعدذلك أمر لايقل أهمية عن حديث أهل رشيد بالقاف وذلك هو ما يعرف عن أهل رشيد من أنهم يأكلون الحرف الأخير من الكلمة مثـــل (يا ولد يا محمد) تقال (يا ولـــ يا محمـــ) وتكاد تكون هذه الطريقة فى الكلام واضحة جدا مع نفس الفئة التى ذكرناها سابقا أى فى جهة رشيد البحرية وان كانت ملحوظة أيضا بصـــورة أخف فى رشـــيد نفسها وأنا لاأستطيع أن آت بالأسباب والمبررات الصحيحة التى وصلت بالنطـــق فى أسلوب أهل رشيد الى هذه الصورة .

ولقد سمعت بعض التعليقات من بعض أساتذتى فى رشيد الابتدائية فى المـــاضى أن وجود الفرنسيين فى رشيد فى حملتهم المشهورة من الأسباب التى طورت الحديث الى هذه الصورة ، فالمعروف أن الفرنسيين دائمـــا يأكلون الحرف الأخير من الكلمة .

ولكن هذا التدليل يتبعه أمر منطقى ذلك انه كان يتحتم على أهل رشيد جميعا أن يعرفوا اللغة الفرنسية حتى يتأثروا بها ثم يعود ذلك على لغتهم.

ولكن الذى أعرفه وهو ملائم للمنطق أن بعض كلمات فرنسية بقيت راسخة فى أذهان أهل رشيد مثل قولهم على الحديقة (بياصـــة) وعلى الأستيكة (جومة) ونحو ذلك .

ولعل هذا هو أقرب الأدلة بل أوحدها بالنسبة لهذه الظاهرة فى منطوق أهالى رشيد .

مقـــابر رشـــيد :

ان الذين يؤرخون على المقابر لموتاهم انما يخدمون التاريخ اجل خدمة.

وفى رشيد أمكنة كثيرة تعتبر مدافن منها القديم ومنها الحديث ـــ وتعتبر حارة الجبانة أقدم مدافن رشيد ومكانها الآن سكن أهالى حى (أبو الريش) ـــ هذه المساحة يرقد تحتها جيل من الأموات . وفى الحرب العالمية الثانية

١٩٤٠ حين حفروا أمام باب محطة السكة الحديد فى حدود هذا المدفن عثروا على هياكل جثث أطول وأضخم من اجسام هذا الجيل ولهذا كانت المقبرة طويلة ومناسبة لاحتواء هذه الجثث ولا تزال هناك جثث وهياكل كثيرة مطمورة تحت التراب .

ويوجد غرب بوابة (أبو الريش) بعد السكة الحديد مقبرة محاطة بسور قديم كانت فيما مضى مدفنا لليهود وقد شاهدتها متهدمة وخربة لانقراض طائفة اليهود من رشيد .

وكانت توجد مقبرة أخرى فى المكان الذى يشغله متنزه رشيد المواجه لمسجد العرابى كما كان يوجد فى هذه المقبرة مسجد الغباشى ولا اثر لكل هذا الآن .

وكان يوجد على بعد منها من ناحية الغرب مقبرة أخرى لطائفة الأقباط المستوطنين فى رشيد وعددهم قليل .

وفى جنوب رشيد أمام المدبح وعلى مقربة من مسجد العباسى توجد مقبرة رشيد الجامعة . منها مقابر لمجموعة من حكام رشيد السابقين من الأتراك كان يطلق على هذه المدافن (المدعى) وقد قرأنا على شواهد بعض هذه المدافن أسماء الحاج على أغا المتوفى عام ١١٤٥ هـ والحاج حسين جاويش المتوفى فى ١١٥٠ هـ ونعيمى محمد أغا ١٢٢٣ هـ وحسين الجردلى ١٢٤٨هـ والحاج حسين نعمةالله المتوفى فى١١٤٩ والاسم الأخير منقوش على منبر مسجد على المحلى عام ١١٢٣ هـ ومن التعاريف المنقوشة على هذه الشواهد تقرأ مناقب الفقيد وآثاره فى الحياة .

قف، بالضريح وأرسل العبرات	..	واضرع لمولى العرش بالدعوات
واساله رحمته تدور على الذى	..	كان احتسابا فاعل الخيرات
وقل السلام عليه منا دائما	..	ولك المهيمن ضاعف الحسنات
لما قدمت عليه فزت لعفوه	..	ولديه كنت بأرفع الدرجات
ومن الملائك حسبما قد أرخو	..	نوديت اسماعيل بالجنات

وقرانا على شاهد المرحوم حسين نعمة الله :

قف على ذا القبر واسأل	رحمة الله لجاره
من له احيى وقلنا	يوم تاريخ مزاره
لقى الحاج حسين	نعمة الله بداره

فى تاسع ذى الحجة ١١٤٩ هـ

وهذه الشواهد وتلك المقابر مصنوعة من الرخام الراقى والكتابة بالخط النسخ الجميل والكتابة بارزة على سطح الرخام مما يزيد فى جمالها ودقة صنعها وعلى الوجه الآخر ترى صورة بارزة لنخلة باسقة يتدلى منها البلح وعلى جوانب الشاهد ترى رسما للأزهار البديعة وفى مؤخرة المقبرة تجد شاهدا على شكل المسلة غاية فى الفن والابداع هذا فضلا عن القبر نفسه الذى صنع كله من الرخام المرمر المصقول ولا تزال هذه المقابر مدفونة تحت التراب ويوم تتكشف هذه الرمال يمكن معرفة الباقى من اسماء اصحابها — وانكان اللصوص لم يتركوا من وراء ذلك شيئا فقد سرقوا كل ما تصل اليه أيديهم من الرخام وباعوه بأبخس الأثمان حتى تنبهت مصلحة الآثار فقامت بالاستيلاء على باقى هذه الشواهد وتتسع هذه المقابر حتى تشمل مسجد الشيخ سعد الله الذى لم يبق منه سوى أطلال وفى طريقه الى التجديد — وتصل مساحة أرض المدافن حتى تشمل مسجد (أبو عثمان) الذى لم يبق منه الا آثار .

وتمتاز هذه المدافن بأرضها الجفاف وتربتها الرملية الخالية من الرطوبة وبعدها عن أماكن السكان .

وبقى بعد ذلك مدافن كوم الأفراح بجوار مسجد سيدى (أبو مندور) وفيها يدفن أهالى الجدية والبر الشرقى موتاهم حيث الأرض رملية ويعبرون اليها من البر الشرقى بالمراكب وقد أطلقوا عليها كوم الأفراح كناية وتلطيفا .

ويقال انه قد دفن فى مقابر الأفراح الشهيد الأمير محمود شيخ الدين الذى جاء مع القائد العظيم عبد الله دجنه قائد ثورة السودان فى عهد المهدى الكبير منفيا فى تشلاقات رشيد . وقد حضر من السودان عام ١٩٥٩ السادة خالد شيخ الدين الخليفة عبد الله والست نفيسة محمد صالح رئيسة جمعية نهضة المرأة السودانية ومعهم كريمتهم الآنسة أم سلمة — حضروا لزيارة قبر الشهيد ولكن لم يتبينوه لما أصاب المقابر من تلف وسرقة للشواهد الدالة على القبور .

✡ ✡ ✡

ويطالب أهالى رشيد المسئولين بعمل اضاءة فى ساحة المدافن حفظا للأمن . كما يطالبون بعمل سور حول المدافن للحفاظ عليها وتحديد معالمها

وعدم تعدى السكان للبناء على ارضها كذا يلح الاهالى فى رصف جميع الشوارع المؤدية الى المدافن رحمة بالمشيعين الذين يتعثرون فى الحفر والأوحال فتطبع بذلك الخشية وهيبة وجلال الموت .

كرة الدية :

لم يكن فى رشيد فيما مضى من الزمان نواد رياضية يمارس فيها أهالى رشيد مختلف أنواع الرياضة الحالية — بل كانت أبرز الالعاب عندهم مايمت الى الشجاعة والقوة البدنية ومظاهر الفتوة . فكان لعب العصا له القدح المعلى والجمهور الشغوف والحماس الملتهب وكان يقصد حلبات اللعب فى رشيد كثير من المبرزين فى هذه اللعبة من البلاد المجاورة لرشيد. وكانت هذه اللعبة لاتكون عادة الا فى مناسبات الأفراح ومواكبها التى اعتادت أن تمر بالشارع الرئيسى وهو شارع سيدى على المحلى — وكثيرا ما كانت هذه الأفراح ومواكبها تتحول الى معارك دامية لولا تدخل أولى العزم فى حسم مثل هذه المفاجآت .

واللعبة الثانية فى رشيد هى ركوب الخيل المطهمة والرقص بها على أنغام الموسيقى وهذه اللعبة انقرضت فعلا ولم يبق لها مجال فى رشيد .

وكان فى رشيد عادة التنافس فى تربية الديكة وهى ديوك رومى أو انجليزى وكان الناس يتنافسون فى اقتنائها ويعملون لها حلبات فينزلون الديكة فى الحلبة تتقاتل والذى يغلب له الرهان وهذه العادة ايضا قد انتهت وانقرضت .

وبقيت فى رشيد لعبة واحدة ظلت شائعة وظاهرة الى عام ١٩٥٠ ثم اختفت هى الأخرى لأن الميدان الذى كانت تقوم عليه هذه اللعبة هو منطقة رمال واسعة تسمى « كوم زبله » غرب مسجد العرابى قبل أن تقوم عليها هذه المبانى التى غمرتها — فكان الرجال والشباب والأطفال أيضا يخرجون بعد عصر كل يوم الى هذه الصحراء وكل جماعة تقوم باللعبة المحببة اليها — مثل نط الحبل — أو لعبة الاستغماية — أو لعبة القفز من على بعضهم البعض — أو شد الحبل — وللأطفال عسكر وحرامية وتطيير الطائرات الورق وخلافه ولعبة الميس .

اما لعبة الكبار من الفتوات وارباب القوة فهى لعبة الدية — وهى كرة شراب صغيرة تقوم عليها جماعتين كل جماعة تحاول أن تلتقفها

لجماعتها والجماعة الأخرى تدخل فى الميدان لتلتقط الكرة منها وعند الحصول عليها تمكن منها جماعتها وكل من يقترب ممن فى يده الكرة يضرب بطريقة غير مؤذية ولكنها ضربات قوية كان أقواها ما يسمى بالشلوط .

وحين يؤذن المغرب على مسجد العرابى يهرع الناس جميعا يلبسون ملابسهم ويحملون أحذيتهم ويتوجهون الى المساجد والمنازل بعد قضاء فترة رياضية .

وعرفت كرة القدم فى رشيد حوالى عام ١٩٢٥ وعملت لها نوادى صيفية عند حضور الطلبة من الاجازات وبرز بعض لاعبين مثل الأستاذ عبد السلام القزق والأستاذ حسين نور وأصبح فى رشيد جمهور مغرم بها ولكن النوادى لم تستمر فى رسالتها .

ومن العاب الأطفال فى رشيد لعبة (الكعب) وهى عبارة عن كعب الضأن الموجود فى المفاصل بعد أن تذبح تباع هذه الكعوب للأطفال . وتظهر هذه اللعبة فى موسم (المشمش) اذ أن التنافس فى هذه اللعبة يكون على نوى المشمش فمن يضرب كعب زميله وهو على الأرض عدة مرات متتالية يكون له نصيب أكثر وهكذا .

زى اهالى رشيد :

تعتبر رشيد الى عصرنا هذا موحدة الزى رغم ما طرأ عليها من تجديد فى أزياء أبنائها ولا سيما الجيل الجديد — فان الأغلبية من أبناء رشيد وضواحيها يلبسون الملابس البلدية وهى تختلف أيضا فى شكلها تبعا لكل فئة . فالصيادون لهم ملابس خاصة وفئات المزارعين لهم ملابس خاصة وعموم الصناع لهم ملابسهم .

وتتلخص هذه الملابس عند الجميع فى شكل سروال طويل بحجر واسع أشبه ما يكون بسروال المماليك فى العصر القديم وفوق السروال صديرى أو صديرى وحرملة وتختلف هذه الملابس فى نوع القماش تبعا للمهنة فمثلا المزارع والعامل والصياد يصنعها من القطن أما القهوجى فيصنعها من الحرير أو الصوف المزركش بالحرير والقصب . اما طبقة الأعيان والتجار فانهم يلبسون الجلباب الصوف ومن تحته الجلابية السكروتة . وعلى رأسهم الطربوش ويتمنطقون بالعباءة .

وجميع الطبقات فى رشيد ما عدا القلة وهم الطلبة والموظفون والأعيان وبعض التجار يرتدون الملابس الأفرنجية .. وهناك تطور سريع فى استبدال الملابس البلدية بالملابس الأفرنجية لولا أن نوع المهنة نفسه هو الذى يجبر المواطن على هذا النوع من الملاس البلدية لأنها تساعده على عمله فى الحقل أو فى البحر . وهنا بدات صناعة الخياطة البلدى فى رشيد تتلاشى ببطء وتعتمد على المواطنين من أرياف رشيد ولقد بدأ شباب رشيد الذين يمتهنون الخياطة يتجهون الى امتهان اى مهنة اخرى لها صفة الاستمرار — كما تلاشى من رشيد أيضا الذين كانوا من قبل يمتهنون صناعة الطربوش وجاء عام ١٩٤٢ على رشيد كانت تصنع بواسطة فتياتها خوصة الطربوش حين تعذر أيام الحرب العالمية الثانية استيرادها من الخارج . وكانت هذه الصناعة الدقيقة تقوم على الخوص النقى الأبيض الذى يؤخذ من جمارة النخيل ولقد درت عملية خوص الطرابيش فى هذه الفترة على أبناء رشيد وخصوصا الفتيات دخلا كبيرا ثم انقرضت هذه العملية حين انتهت صناعة الطرابيش وأخذت فى التلاشى .

واصبح غطاء الرأس العام فى رشيد هو الطاقية التى يلف حولها شاشة من الحرير تسمى « لاسة » وتصنع فى ادكو وهذا هو الغطاء الشائع ما عدا الطلبة والموظفين وقليل غيرهم .

وقد حدثنا من قبلنا فقالوا : ان السلف من الأهالى كانوا يلبسون الظعبوط .

أما ملابس نساء رشيد فهى ملابس كلها حشمة ووقار لا تتعدى الملاءة الحرير التى تغطى الرأس الى أخمص القدمين وأما الوجه فانه يغطيه الحجاب المسمى بالبرقع الذى تعلوه قصبة من الذهب وهذا أغلب ملابس نساء رشيد فيما مضى .

أما ما استحدث أخيرا فهى موضات كثيرة متنوعة .

مرض الفيل

كان الأهالى برشيد فيما مضى لا يعرفون الماء المرشح الذى يأتيهم عن طريق مواسير شبكة المياه . لهذا كانوا يعتمدون على ماء النيل مباشرة فى الشرب بواسطة السقا الذى يستعمل القربة أو البرميل ، ويكون ذلك

عادة فى موسم فيضان النيل أو عن طريق الترعة الرشيدية فى موسم التحاريق ، حيث يطغى ماء البحر الأبيض المتوسط على مستوى ماء نهر النيل فيصبح ملحا أجاجا .

لهذا استحدث القدامى من أهالى رشيد ما يسمى بالصهريج الذى يتم بناؤه على شكل حجرة تحت المنازل والمساجد ، وهذا الصهريج أحيانا يبطن بالرخام ويقام على أعمدة وفى أعلاه فتحة دائرية ، وهذا الصهريج يملأ بماء النيل فى أيام الفيضان ويضاف الى الماء بعض نوى المشمش أو مادة الشبة لتساعد على تطهير وترسيب الطين والشوائب ويغلق هذا الصهريج جيدا ولا يفتح الا فى أيام التحاريق ويستعمل ماء الصهريج للشرب فقط ويكون فى الواقع عذبا باردا سائغا للشاربين .

وبجوار هذه الصهاريج قام الأهالى بحفر الآبار على أعماق بعيدة فى الأرض داخل المنازل أو بالقرب منها ، وكانوا يستخدمون ماءها فى عمليات نظافة وغسل الملابس وأوانى الطعام .

وبالقرب من الصهاريج والآبار كان يوجد بالضرورة ما يسمى (كنيف) أو دورة مياه ، وتحت دورة المياه كان لابد من وجود مجرور حيث أنه لا توجد فى مدينة رشيد الى الآن مجارى عمومية ، ومن هنا قد ترتب على هذا الوضع أن تسربت من أرضية المجرور الطينية والرملية رواسب قذرة اختلطت بماء الآبار العميقة والتى تستعمل فى غسل الملابس وأوانى الطعام .

وكان هذا من الأسباب الأساسية والرئيسية مع وجود البرك والمستنقعات فى تولد البعوض الذى يحمل ميكروب مرض الفيل الذى كان منتشرا بين أهالى رشيد قبل الخمسينات حين قررت وزارة الصحة بصورة حازمة هدم الصهاريج والآبار وردم البرك والمستنقعات بعد أن تم تزويد المدينة بالماء الصالح عن طريق شبكة المياه .

وسمى هذا المرض الذى يصيب الرجال والنساء على السواء بمرض الفيل ، حيث أنه يتسبب فى أورام بشعة تصيب القدم والساق حتى تصير فى شكل قدم وساق الفيل بحيث يتعذر على الانسان أن يرفع قدمه الا بصعوبة ، ويستحيل بالطبع أن يلبس حذاء فضلا عن تشويه صورة الانسان .

ونحمد الله تعالى أن قضى على هذا المرض قضاء تاما وعافانا من بلائه.

محكمة الخط

كانت فى رشيد محكمة تسمى محكمة (الخط) يتولى القضاء فيها رجال من الاهالى ذوى الشخصية المهيبة الموثوق بنزاهتها وتقواها — تعقد جلساتها على نفس منصة القضاء فى محكمة رشيد الأهلية .

وكانت هذه المحاكم تفصل فى القضايا ذات الصبغة الأسرية والعائلية وما يتصل بشئون الأفراد من خصومات ومنازعات بسيطة أو ما يرتضى ويرغب من الأهالى أن يحال اليها من قضايا أخرى تدخل فى حدود اختصاصها .

وكان المتقاضون يلتزمون بأحكام هذه المحاكم بكل رضا وارتياح — حيث تؤخذ الأمور فى هذه المحكمة برفق وبحث عن قرب — حيث أن القضاة من نفس البيئة والمجتمع وعلى معرفة بطبيعة وأخلاق وظروف ومشاكل الأهالى .

وشاء الله تعالى أن أحضر أحدى جلسات هذه المحكمة حيث كنت وأنا فى العاشرة اعمل عند أحد الكتبة العموميين (عبد الحميد عرفه) وأذهب الى المحكمة لتسليم بعض الأوراق الخاصة بالقضايا .

ورايت ابراهيم بك العنتبلى والشيخ ابراهيم الجارم يجلسان على منصة قضاء محكمة الخط للفصل فى القضايا المطروحة عليهما .

وقد استمرت هذه المحكمة تؤدى رسالتها حتى انتهت بصدور قوانين جديدة عطلت مهمتها .

الملاهى فى رشيد :

كانت رشيد فى أوائل القرن التاسع عشر تكاد تكون خالية من الملاهى .. وكانت أفراح العرس هى الفرصة الوحيدة التى يجد فيها أهالى رشيد متعتهم وخاصة عند عرض الألعاب المهنية مثل لعبة شبكة الصيادين والرقص البلدى .

واقيمت أول صالة للعرض السينمائى فى رشيد حوالى عام ١٩٢٥ وصاحبها هو المرحوم (محمد اسماعيل) وكانت سينما غير ناطقة وكان محمد اسماعيل يقف ليترجم للناس ملخصا عن الرواية . وكانت الروايات

المشهورة هى روايات البطولة وكان الشجيع (تومكس وبجنس) مشغلة للأولاد فى رشيد فى عملية التقليد . ولازلت أذكر فيلم عن مدمنى المخدرات والكوكايين وكان فيلما مؤثرا للغاية .

كما رأيت فيلما يعرض أول طيار حربى مصرى ينزل مطـــار المـــاظة قادما من انجلترا فى أول رحـــلة ـــ وكان هو المـــلازم طيـــار (اللواء) عبد المنعم الميقاتى أحد أبناء رشيد .

ثم تحولت بعد ذلك السينما الى سينما ناطقة . وكانت فرق التمثيل مثل فرقة على الكسـار وفرقة المسيرى تقوم بعرض مسرحياتها على مسرح سينما رشيد . وفى الموسم التجارى موسم السردين والبـــلح والموالح والأرز وخلافه تهاجر جميع الفرق المسرحية الى رشيد جريا وراء رواج الناس .

كما كان تياترو (حسن الحلو) فى مقدمة الملاهى التى تأتى فى مناسبة هذه المواسم .. وكان من عادة التياترو أن يعمل دعاية بواسطة فرقة موسيقية ويمشى أمامها وتعمل زفة فى رشيد قبل موعد العرض . وكان الناس يتزاحمون على التياترو ومعهم زجاجات المـــاء واللب والحمص والسودانى .

كما كان ينزل أسواق رشيد بعض (الغجر) وأصحاب المزامير والربابة والودع والبخت والوشم .

وكان بعض المشعوذين الذين يضربون علىصدورهم بقطعة من الحجر بعنف ويطلقون شعورهم مرسلة الى ظهورهم لهم صورة مخيفة مرعبـــة لا تزال لاصقة بالأذهان .

كما كانت هناك بعض الصور التى يعشقها الأطفال مثـــل ما يسمى (خيال الضل) وهى شاشة بيضاء يجلس خلفها من يقوم بتحريك بعض الصور مثل (معرض العرايس) والأطفال يقبلون عليها بشغف كبير .

كما كان هناك أيضا ما يسمى (صندوق الدنيا) أو (صندوق العجب) ويجلس أمامه الأطفال على كرسى ويغطون رؤوسهم بقطعة من القماش لبحجب عنهم الضوء ثم ينظرون من خلال عدسات مكبرة ليجدوا مشاهد مصورة مسلسلة تسير امامهم وتحكى قصة مثل قصة (أبو زيد) أو قصة (حسن وعزيزة) .

اما الأغانى : فقد كانت فى رشيد فرقة موسيقية يرأسها رجل مطرب ذاع صيته ويسمى (سيد أحمد) وهـــو يغنى على الأرغول فى حفـــلات الأفراح ويجتمع له خلق كثير ليسمعوه وكان الخديوى عباس يدعوه لاحياء بعض سهراته .

واما أم كلثوم فقد دعيت لاحياء حفلات عرس فى رشيد مرتين عند بعض العائلات ــ وكذا محمد عبد الوهاب ــ وفى حالة حضورهم الى رشيد ياتى خلق كبير من جميع انحاء البلاد المجاورة .

الخبز فى رشـــيد :

كانت رشيد الى نهاية النصف قرن الأخير من عام ١٩٥٠ يعتمـــد فى طعامها على الخبز الذى يصنعونه فى بيوتهم حيث كان من غير المـــألوف لدى الأغنياء والفقراء على السواء استعمال الخبز الذى يصنع فى المخابز العامة . وقليل هؤلاء الذين يستعملونه اللهم الا فئة الموظفين والرحالة . ويعود ذلك الى عدة أسباب أهمها أن الخبز الذى يصنع فى البيوت يختلف فى تكوينه الذى ألفه أهل رشيد عن طبيعة الخبز الذى تصنعه المخـــابز العامة . الأمر الثانى أن كل منزل مجهز بصحارة من الخشب تتسع لكمية من الخبز تكفى العائلة لمدة شهر . الأمر الثالث أن كل منزل مجهز بفرن خاص لهذا الغرض ثم لايخفى على القارىء أن تخزين الخبز فى منـــازل اهل رشيد جزء من تخزين عام لجميع مواد التموين فان كل عائلة لابد لها من حجرة فى كل منزل لتخزين مواد تموينها شهريا والى مدة ستة شهور أحيانا .

والذى يهمنا فى هذا الموضوع هو الوقوف على اهمية صناعة الخبز فى هذه الفترة وما هى العوامل التى تساعد على انتشار هذا النوع من الخبز بالذات .

لا يخفى على القارىء أن رشيد مشهور بمضارب الأرز بها ومعلوم أن مضارب الأرز تخرج الى السوق الأرز السليم أما الارز الذى يتكسر أثناء الصناعة فهذا يسمى أرز كسر أو فى عرف أهل رشيد يسمى (دشيش) وهذا بالطبع لا يمكن عرضه فى السوق قـــد يستطيع المضرب أن يخلط بعضه ولكنه لا يستطيع أن يتخلص منه جميعا ولهذا يباع (الدشيش) للأهالى ليكون عنصرا هاما فى صناعة الخبز الرشيدى . فان نصف الكمية من القمح على نصف الكمية من الدشيش بعد عملية الطحن يصنع منهـــا

عجينا ويتم خبزه ارغفة خفيفة وناشفة وكثيرا ما تبل بالمـــاء لتكون لينـــة فى الطعام وبعد أن تجف فى الشمس تحفظ فى الصحارة الخشبية التى سبق ذكرها وهى محكمة خوفا من الصراصير والفيران .

ويوم يكون فى المنزل خبيز يستفاد بالفرن فى عمل الطواجن ويتبع ذلك عمل ما يسمى كشك وايضا ما يسمى البسيسة بالعسل الأسمر .

ومضت رشيد على هذه الطريقة الى أن قامت صـــناعات جديدة فى الدولة يعتمد على ما يسمى الدشيش كخامة أساسية فى الصناعة واهم هذه الصناعات ما يأتى : صناعة الصابون ــ صناعة النشا ــ صناعة الزيوت ــ وبعد قرار تأميم مضارب الأرز ــ اتجهت أنظار التجار الى استغلال مخلفات مضـــارب الأرز من الدشيش والجرمـــه والرجيعة فى الصناعات المتقدم ذكرها ــ كما اســتعملت بعضــها كعلف للحيـــوان والدواجن ــ وبهذا انقرضت صناعة الخبز الرشيدى واستراحت السيدات من عملية العجين والخبيز .

كيف يختار الرجل زوجته فى رشيد :

تنشأ فتاة رشيد فى حجر أمها وظلها هى قلبها وروحها تتمناها وليـــدة لتكون لها فى مقتبل العمر انيسة تعاونها وتحمل عنها . كما يتمنى الرجل ذلك من ولده ــ والفتاة فى رشيد الى عهد قريب تكاد لا تخرج من بيتهـــا الا لعذر أو زيارة وقبل أن ينتشر التعليم ندر أن ترى فى الشارع فتاة .

والأم تلقن فتاتها دروسا عملية فى التـــدبير المنزلى وتشركهـــا فى الطهى والخبيز والغسيل والكى والحياكة وتربية الدواجن وتعطيها دروسا فى تطبيب الأطفال . فضلا عن ذلك فانهن يحاولن الاشتغال فى وقت الفراغ بصناعة تعود عليهن بربح يساعدهن على الحياة . وتدخر الفتاة فى رشيد من هذا الجهد نصيبا لمستقبل أيامها حين تخطب فتجهز نفسها . والصناعة المتداولة فى أيدى نساء رشيد وفتياتها فى هذا الوقت هى : غزل الصيد ــ وزراير الملابس البلدية ــ والخوص ــ وشغل الابرة .

والاختلاط فى رشيد نادر والناس محافظون ــ وكانت الحرب الأخـــيرة وهجرة كثير من أهالى اسكندرية الى رشيد سببا فى خروج بعض العائلات عن مألوف رشيد ــ ومع هذا فان الحجاب والحشمة والأدب هو الصبغة الغالبة فى رشيد ــ ومن عادات النساء أن يسلكن الطرق البعيـــدة عن

الزحام فى حالة الزيارة كمـــا يكون ذلك عادة من العصر الى المغرب من كل مساء .

والزوجة من اهالى رشيد مثالية وهى تخلص لزوجها الى درجة التضحية فهى تعرف حقه غنيا كان أو فقيرا تقوم على خدمته مريضا كان أو صحيحا لا تطالبه بما يرهقه ولا تكلفه من أمره عسرا ـــ وتدبر له مـــا أمكن حتى لا تعوزه الحاجة ـــ وتدفع من نفسها ومالها ما يعود به عليه راحة وسلامة. وتحفظه فى ماله وعرضه وولده . لا يغرها من الزمن ابتسامة مؤقتة أو فرحة عابرة وانما هى تعمل للمستقبل حسابه وعتابه .

واكثر نساء وفتيات رشيد متدينات فهن يصمن ويصلين ويستمعن الى الدروس والمحاضرات وان الجيل الجديد من فتيات رشيد الآن يتدرجن فى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية وقليل بعد ذلك منهن من يصـــل الى التعليم الجامعى . وقد برز فى مجتمع رشيد كثير منهن فى التدريس والوظائف الحكومية .

اما خطبة الشباب للفتاة فى رشيد فيما قبل ٢٥ خمسة وعشرين عاما فانها ولا تزال فى بعض بيوتات رشيد قائمة على أساس أن أم العريس وخالته وذوى قرباه من النساء يقمن بالخطبة وزيارة البيوتات والتعرف على أسلوب الفتاة فى الحياة . فعلى ضوء المعلومات الســـابقة تخطب الفتاة بعد أن يراها الخطيب ويتعرف على أخلاقها وتصرفاتها فى منزل أهلها وتتعرض أم الخطيب الى مسئولية الاختيار وتبلغ الخطيب بعـــد ذلك عن رأيها وبعد عدة مشاورات بين أهل العروسين يتم الاتفاق بقراءة فاتحة الكتاب ثم يتدرج الأمر الى العقد والدخلة ـــ ويلاحظ أن الخطيب فى هذه الفترة منذ بدأت (الشبكة) الى يوم الزفاف قلما يرى زوجته ولا يتعرف عليها اللهم الا اذا صادفته فى الطريق ـــ ولعل هذه الطريقة قد تغـــيرت فيما بعد حيث تطور التعليم وخرجت الفتاة الى المجتمع فأصبح الشاب هو الذى يختار زوجته بمحض ارادته واختياره وما على والدته وأهله الا أن يكونوا واسطة فى الموضوع .

ونحن فى رشيد لم نقر التطور الأخير على أوسع حدوده فان هذه الطريقة لا تزال جديدة ولا يعمل بها سوى طبقة معينة مع الاقرار بأن الشريعـــة الاسلامية تعطى للخطيب الحق فى أن يرى خطيبته قبل العقـــد عليهـــا بحضور أهلها .

وعلى الزمن وحده وعوامل الحياة من سعادة وشقاء وصحة ومرض وانجاب للأطفال ، على كل هـذه أن تخلق الظروف الرابطة والموطدة للعلاقات المداعبة للعواطف حتى تمضى الأيام والزوجان جنبا الى جنب شريكان فى نعمائها وضرائها وتلك هى سبيل الزواج وفطرة الله التى فطر الناس عليهـا .

من مظاهر شهر رمضان :

كان ـ ولا يزال ـ شهر رمضان المبارك فى رشيد أعظم شهور السنة اجلالا وبركة ـ فيه تلبس رشيد ثوبا من الأفراح والبهجة وتحيا ليالى من السرور والسعادة والنور ويغمر كل بيت فيها شعور من الاشراق والبر والخير . ونسمع فى كل مكان دوى للقرآن كالنحل وصوت للاسلام كالطبل . وتفتح بيوت الأعيان والأغنياء للفقراء تمد فيها الموائد وتعطى فيها العوائد . وتفتح رشيد ابواب تجارتها قبيل الظهر وتمتلىء المساجد على كثرتها فى صلاة العصر ويلقى العلماء والوعاظ الوعظ والارشاد حتى قبيل المغرب والمساجد على كثرتها تملأ بالرواد شيبا وشبانا فى مظهر رائع خالد جليل . وتعج رشيد بعد العصر بالرائح والغادى . كل يعد طعام الافطار ـ وأبرزه فى رشيد الفول المدمس والسمك واللحوم والكنافـة والقطايف ـ حتى اذا رفعت الرايـة على رأس مئذنة مسـجد زغلول كسابق الزمان اذن المؤذنون على جميع المسـاجد وانطلقت صـفارات مضارب الأرز فى كل جهات رشيد بصوتها العالى الذى يسمعه البر الشرقى وانحاء المدينة وما جاورها ايذانا بالافطار .

وفى هذه اللحظات لا تكاد ترى احدا يمشى فى الشوارع أو يجوب الطرقات فان الناس جميعا يكونون قد جلسوا مع عائلاتهم وأولادهم اسـتعدادا للأفطار . وتسهر رشيد ليلها كله فى الزيارات يتبادلونها من بيت الى بيت ومن مجلس علم الى مجلس استماع للقرآن . وكانت هناك بعض التياترات والملاهى الرياضية تعسكر فى رشيد فى شهر رمضان يقضى فيه الشباب سهرة رمضان . والمحلات التجارية كلها ورجال الأعمال والمعمار قـد يعملون بالليل وبالاجماع فان رشيد كلها تبدو قطعة من النور وسرادقا للأفراح .

حتى اذا انتصف الليل صعد المؤذنون على رؤوس المـآذن يطلقون بأصوات جميلة وعبارات مؤمنة أذان الأولة وكانت رشـيد ـ رجالهـا

ونساؤها — يفتحون نوافذ منازلهم ليستمعوا الى الاصـوات الرخيمـة الرحيمة التى تنطلق فى جوف الليل لله تسبح بحمده (فما أعذب التغريد بالتوحيد) فى دنيا لا يكدر صفوها بؤس ولا شقاء وانه لغذاء دونه اشهى الطعام وسعادة دونها ربح الأموال . وحياة هى نشيد القلوب المؤمنة والأرواح الحالمة . ان هذه الأيام المشرقة أعياد صادقة وافراح ناطقـة بما كان يعمر قلوب أهل رشيد من ايمان عميق وحب صادق للتدين واخلاص مخلص للاسلام . لقد كان الاسلام فى رشيد عماد أخلاقهم ولب عقيدتهم وأسلوب معاملاتهم وروح حياتهم وكيف ورشيد نصفها مساجد وفيها انبثق العلماء الأجلاء والقواد العظماء .

وفى شهر رمضان — بينما المؤذنون ينشـدون ويبتهلون — نسـمع فى شوارع رشيد أناشيد أخرى ومواويل يلقيها (المسحراتى) تحت البيوت من اذان (الأولة) الى أذان (الثانية) — ومن أقدم المسحراتية فى رشيد شحاته البياضة وكان يعمل صيادا وشعبان شـعلة وكان حدادا وعلى النحراوى وكان حلوانيا والأخير كان آخر عهد رشيد بالمسحراتى وتوفى عام ١٩٢٤ والذين جاءوا بعد ذلك امتدادا ميت لا روح فيه . وكان المرحوم الشيخ عبد الفتاح الجارم يجمع المسحراتية فى مسجد زغلول فى الليلة المسماة بليلة الميقاتى ويحفظهم قصائد من شعره . أمكننا أن ننقل صورة من احدى هذه القصائد على لسان على بته ابن آخر مسحراتى وهو على النحراوى . قال :

صلاتى وتسليمى على من نطق بكفه الحصى . والضب سـلم وقال أجرنى فجاره خاتم الأنبياء . فى الصخر غاص المصطفى بالنعال . قال جرنى فجاره خاتم الأنبياء . صلاتى وتسليمى عليه كل يوم وفى كل ساعة ماهب ريح — منى عليه السلام طول الدوام . كلما طال الموقف وطال الضجيج وخص المصطفى بالسلام .

وفى ليلة الاسراء جبريل لربه وقال ياكريم الكرام اله السما يا أحمد ببسلم عليك وقد خصك يا مصطفى بالسلام دعاك المهيمن لحضرته يا مليح. وكان النبى نايم من الفرش قام — رأى مع أمين الوحى جبريل براق — تقدم طه المجد وقال توكلت على الحى الذى لا يموت لك الحمد يا رب على كل حال — وقبل أن يركب نبى الهدى على ظهرها منها ظهر له عجب ابت على محمد ثم عادت تقوم وقال له جبريل هذا النبى المنتسب قف يا براق لأحمد ولا تفزعى ولا تنفرى من صفوة الله ذى الجلال .

قلت له يا حبيبى كن غدا شفيعى أنا يا مليح القد والاعتدال . فقال لك يا براق الأمان أنا أضمنك من نار اللهيب وفى وصفها كانت تحير عقل العقول كذا قالوا أصحاب الكلام العجيب لها وجه تفوق البدر قبل المغيب أقدامها هم الحوافر الدرر مثل السندس الأخضر جناحين طوال . مدت بعدها خمسمائة سنة . عن الخيل صغيرة لم يخلق مثلها ركبها ابن عبدالله حبيب القلوب والمعجزات لم تنحصر فضلها من الركن للبيت من الحمـــا للمقام . الى المسجد الاقصى وصح الخبر . وقف جبريل فى القدس وقال امر ربك العالى ومولى الموالى بأنك تصلى يا محمد امام ـــ فصلى وصلى الأنبياء كلهم من وراء من برؤياه تقر القلوب ـــ قال الحجر فى القدس انا مستجير وخايف من النار وانت قلبك صون قال النبى فى الآخرة لاتخاف ولا تخشى فى حضرتى من سؤال ـــ انا غدا فيك بالشفع وأمتى وكل من يتبع طريق الحلال .

وصار ابن عبد الله وجبريل معه بأول سما طرق جبريل بابهـــا قالوا افتحوا لأحمد حبيب القلوب وأسرع لهم بالفتح بوابها طلع محمد يرتقى سمكها على هيئة الدخان وفيها الهلال وسكانها فيها لا قوت لهم سوى عبادة الحى الذى لا ينام .

الهى بسط الأرض على راس ملك على الطور على الصخرة على قحف حوت على المـــاء على القدرة تعس من كفر . قف واستمع فى مدح أحمد بيوت وقامت ملوك أول سما كلهم طاعة لم شدت اليه الرّحال ـــ قالوا له أهلا وسهلا بمن عرفنا اسمه ميم وحاء وميم ودال .

وهكذا يجوب المسحراتية شوارع رشيد يوقظون اهلها على اعذب وأحب الأسماء وأرفع وأسمى المعـــانى حتى يؤذن للســـحور فيعودون للطعام .

ويهرع بعد ذلك المصلون الى المساجد القريبة واكثرهم الى مســـجد المحلى قبل اذان الفجر والامساك فانت ترى أروع مظاهر الاسلام واكرم معان الأخوة وانبل مشاعر الانسان . فهم جلوس فى ورع وانصات الى تلاوة القرآن الكريم ويمر عليهم ساقى المـــاء فى كل آن ـــ حتى اذا اذن مؤذن الفجر اكتمل عندهم بالتمام واقيمت الصلاة . وانصرفوا فى سكون وأمان .

ومما يلفت النظر أن جميع المحلات من تجارية أو مطاعم أو قهـاوى لا تفتح أبوابها الا بعد صلاة الظهر — مما يتعذر على اى زائر ان يجـد بغيته — كما أنه لا يستطيع اى انسان أن يجـاهر بالافطار — والا فان الأطفال يلاحقونه .

يا فاطر رمضان يا خاسر دينك — النار الحمرا تقطع مصارينك .

كما نشاهد بعض المساجد تقدم للفقراء عند الافطار طعاما يبعث به ذوى اليسار كعادتهم فى شهر رمضان المبارك . وكان فى قسم البوليس مدفعا ينطلق عند أذان المغرب ايذانا بالافطار وكذا فى موعد السحور وكذا فى الأعياد فكان له بهجة وفرحة .

البحلوة والقبلوة والبحروة

منذ فترة من الزمن فى أوائل هذا القرن كان الناس فى رشيد يقسمون انفسهم الى ثلاثة أقسام أو ثلاث مناطق .

فالذين يعيشون فى الجهة الغربية من المدينة يطلقون عليهم اســم (البعلوة) نسبة الى انهم يعيشون فى الأرض الزراعية خاصة التى تقوم عليها زراعة النخيل ، وهؤلاء ينزحون الى المدينة للتجارة ثم يعودون منها بعد العصر ، وتختلف اخلاق وعادات البعلوة عن باقى أهالى رشيد فى نمط الحياة الخاصة طبقا للبيئة والمهنة والمناخ واضطرتهم هذه الظروف الى الشعور بالعزلة حتى كادت المصاهرة تقتصر عليهم وحدهم .

أما الذين يعيشون فى الجهة القبلية من رشيد فهؤلاء يطلقون عليهـم (القبلوة) وهم فى الواقع أصل المدينة القديمة التى أمتد العمران منهـا الى بحرى رشيد ولا يفصل جهة قبلى رشيد عن بحريها سوى شـارع دهليز الملك الذى يقسم المدينة الى قسمين ، وتمتاز أهالى منطقة قبلى انهم الطبقة العاملة التى كانت عماد العمل فى مضارب الأرز القديمـة والصيادون الذين كانت تقوم عليهم ثروة رشيد السمكية من السردين ، ومن أهم الملاحظات التى يلمسها الانسان فى سكان هذا الحى هو الألفة والترابط ودوام الصلة .

أما الذين يعيشون فى الجهة البحرية من رشيد فهؤلاء يطلقون عليهم (البحروة) ويمتاز حى بحرى رشيد كما تمتاز الأحياء البحرية عادة فى

كل البلاد الساحلية ــ فهى أحياء جديدة وعندها فرصة للاتساع ــ كما ان جميع المصالح الحكومية مركزة فى حى بحرى مما يضفى على هذا الحى كثيرا من النشاط والاهتمام فضلا عن مظاهر المدنية .

ومع هذه الظواهر التى خلقتها الظروف فى هذا العصر ، فان الأهالى جميعا فى كل هذه المناطق كانوا متحابين متعاونين لاتفرق بينهم هذه الاقسام فى السراء أو الضراء على السواء .

ومن الملاحظ الآن ان هذه التسميات قد بدأت تختفى من مفاهيم الناس ومن عاداتهم حين تغيرت الأوضاع الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التى شملت كل انسان فى كل مكان .

النكتة فى رشيد :

النكتة عند أهل رشيد فطرة أو بداهة ــ لا يصنعونها ولا يتكلفونها ثم لا يخلقون لها الظروف ولا يعقدون لها المجالس لأنها ليست وقفا على جماعة كأهل الفن والتمثيل ولكنها مشاعة للناس جميعا فهى هبة الساعة ونتيجة الحادثة ومتنفس للشعور ــ فهى فى رشيد لاتؤلف تأليفا كما يحدث فى الصحف والمجلات .

ان الناس فى رشيد يلقون بالنكتة كأنها كلام فلا تكون فى نظرهم نكتة الا حين يتنبه لها السامع ومن هنا كان الزائر أكثر الناس ادراكا لهذا النوع الجديد من الكلام . وتعود شهرة رشيد فى النكتة الى ماض بعيد من الزمن ــ يوم كانت رشيد فرحة مرحة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان . فالنيل يعانق البحر على شاطىء رشيد ومن هنا يأتيها التجار من كل فج عميق يحطون الرحال ويروجون الحال والزرع والشجر والنخيل والأثمار رزق ماله من نفاذ ــ حياة هانئة بها ألفة ومحبة تلك المحبة التى تضفى على الحياة أنسا وجمالا . وشاعت النكتة واستبدت بالناس حتى قيل ان حاكم المدينة أعلن أنه من يقول نكتة فانه سيدفع غرامة (ريال) والحت النكتة على رشيدى رأى رجلا يرتدى حذاء أحمر وعمامة خضراء وجلبابا أصفر وارتسمت صورة النكتة فى ذهن الرجل وتصور قيمة الغرامة ولكنه اندفع الى الرجل وقال له (ياعم يابفبغان ابوك السقا مات) ودفع الريال . هذه النكتة تصور لك كيف أن النكتة عندهم سرعة بديهة ودقة فى التصوير وقدرة على التشبيه ــ وليس التشبيه سوى العمق فى معرفة الحياة وكنه ما فيها من مخلوقات وما تتميز به من طباع وأشكال ــ فاذا

قيل فى مقام التنويه عن الدهاء والمكر ان هذا الرجل يعرف الكفت ــ فلابد ان القائل يعرف ما هو الكفت ــ واذا قيل فى وجه الانسان الغافل (الدنيا كم مزيلة) فانما يعنى الرجل الحى الميت الذى لا يدرى يمينه من شماله.

ومن النكت التى حدثت من عهد قريب فى شهر رمضان المبارك ان احد اثرياء رشيد أرسل للفرن بصينية كنافة فاخرة فيها لوز وجوز وما تشتهى الأنفس . وأرسل رجل آخر من متوسطى الحال الى الفرن ذاته بصينية كنافة متواضعة ولكن الفران اخطأ وارسل صينية الثرى الى منزل الرجل الآخر ونظر الرجل الى الصينية فوجدها تفوق صينيته وقبــل أن ياتى وقت الافطار جمع أولاده وجلسوا اليها واكلوها وسرعان ماتنبه الفران فذهب يعدو الى المنزل وطالبهم بها ولكنهم أخبروه بانهم قــد اكلوها .

فقال لهم الفران ولكن كيف أكلتموها ولم يحن وقت الافطار ــ فقالوا : « ان اليوم الذى أفطرناه يمكن تعويضه ــ ولكن هذه الصينية لن تعوض »

وزار رشيد ذات مرة رجل من المسئولين واراد ان يستمع الى نكت أهل رشيد فجىء له برجل ساله الرجل المسئول (ســعر الجلة كام فى بلدكم) والرجل المسئول يقصد بهذا السؤال ان ينزل من مستوى أهالى رشيد . فأجابه الرجل الرشيدى (حضرتك يا سعادة البيه اكيل ولا تاجر) وكان فى هذا الرد الكفاية .. (الجلة هى أقراص تصنع من روث البهائم تستعمل وقودا) .

وفى رشيد جلس ماسح احذية لأحد الزبائن وسرعان مااشمــاز من رائحة كريهة تفوح من قدميه وبعد ان أنهى عملية المســح طــرق على الصندوق ايذانا بالانصراف ولكن الرجل لم يرفع قدميه فأعاد ماســح الأحذية علامة التنبيه ولكن الرجل قال معلهش أصل رجلى نايمة شوية.. ولكن ماسح الأحذية رد عليه قائلا والله دى ميتة بقى لها أسبوع ..

ويعزو بعض الباحثين أصل النكتة فى رشيد الى عوامل سياسية فمن المعروف أن رشيد كانت مقرا للحكام والسلطان وأكثرهم كانوا من الاتراك والشراكسة وكان الطابع الذى يحكمون به هو الظلم والاستبداد وهذا السلوك بالطبع يؤذى أهالى رشيد مما دعاهم الى ابتكار صورة فى نكتة تدل على عقلية هذه الطبقة الحاكمة ــ فقد حدث أن رجلا تركيا جــاء بعدة قلل ملأها بالمــاء ووضعها امامه سبيلا لكل عطشان وكلما جاء أحد ليشرب وأمسك بقلة قال له الرجل التركى اترك هذه وخذ هــذه ... وانما فعل ذلك ليشعر بأنه لازال له سلطانه وجبروته .

وهناك صورة أخرى أن أحد الأتراك الأثرياء ممن كان له مجد وصولجان قد هزمته الأيام وأصبح يسأل الناس ولكنه لايزال مصرا على عنجهيته القديمة فكان يسأل الناس بقوله (حسنة لسيدك اغا) وكانت هذه النكت اللاذعة متنفسا لآلامهم وآمالهم .

كان الشيخ مصطفى الابيارى معروفا بين أهل رشيد بالنكتة ، وكان مغرما بحضور حفلات الزفاف ليستمع الى مقرئى القرآن الكريم ، وكان ممن يقومون بتشجيع القراء فى الحفلات وفى احدى هذه الحفلات لم ينسجم الشيخ مصطفى من القارىء ، ففكر فى أن يعكر عليه هذه السهرة ،فأخرج من جيبه (علبة نشوق) ومر بها على الحاضرين يعطى لكل واحد منهم (تنشيئة) ، وبعد لحظة كان الحاضرون جميعا يعطسون بصورة تعذر معها الاستماع الى القارىء ، فاعتذر القارىء عن التلاوة وانصرف .

كان فى رشيد رجل طيب قارىء للقرآن الكريم ، وحين بلغ من العمر عتيا كان يمر على بعض أعيان رشيد فى أدب واستحياء فيقدمون له بعض المساعدات ، وذات يوم مر على احدهم ذهابا وايابا عدة مرات عساه يقوم بالواجب ، ولكنه فاجأه بقوله أنت عاوز ايه ياشيخ محمد فقال الشيخ محمد وهو منفعل (عاوز الأرض تغور بى وبيك) .

وكان فى رشيد قاضى شرعى اسمه الشيخ أبو النجا جاء من القاهرة مغضوبا عليه وكان كثير الحكم بالجلد ، فاذا تصادف وجاءت أمامه قضية فان أكثر المتخاصمين يسرعون الى التصالح بعضهم مع بعض خوفا من الجلد .

قام رجل اسمه الشيخ بدوى ندا بكتابة شكوى ضد جهة معينة — وطلب من الحاج مرسى أن يوقع معه على هذه الشكوى ، فوقع الحاج مرسى مستجيبا لدعوته — فقال له الشيخ بدوى جوزيت خيرا ، وبعد أن عرضت الشكوى على جهة الاختصاص تبين أن الشكوى مزورة — فاستدعى الشيخ بدوى ندا والحاج مرسى عبد المطلب للتحقيق ، وقضى القاضى الشرعى بجلد كل من الاثنين ، ولما سئل الحاج مرسى عن سبب توقيعه قال والله أن الشيخ بدوى قابلنى وطلب منى التوقيع ، ولما كنت أعرف أنه رجل فقيه ورجل طيب فأنا لم اتأخر وبعد أن وقعت قال لى ياحاج مرسى جوزيت خيرا ، ولكن ياحضرة القاضى جوزيت (بالزقمة) يقصد الجلدة .

بسيونى عطا — حمال متخصص فى تحميل وتعتيق السيارات اللورى منذ دخلت أول سيارة نقل رشيد عام ١٩٢٧ تقريبا ، طويل يلبس سروالا بحجر يتدلى بين فخـذيه عامى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، اشترك فى ثورة ١٩١٩ يعرفه أهالى رشيد فكها مرحـا ذا نكتة ، شـاعر بلدى بالبديهة يقول الموال حسب مقتضى الحال بغـير تلعثم ولا تردد له مع معارفه قصص كثيرة ومثيرة .

وكما أن النكتة طابع اصيل فى أخلاق شباب ورجال رشيد فان هناك شيئا آخر تتميز به سيدات رشيد وخاصة العجائز منهن — ذلك هو المثل العامى الذى يعتبر فى أحاديثهن وكأنه تفسير يأتى آخر الكلام وهو أمر عادى وغير مستغرب منهن وهو اكثر وضوحا وأعم تناولا — وليست هذه الأمثلة سوى أعمق ماوصل اليه الناس فى المـاضى من تجارب حاسمة فى حياة البشر ومعاملات الناس — وان هذه الأمثلة هى تجارب واقعيـة من خلاصات الأفكار والحقائق الصادقة — والأمثلة المتداولة على ألسنة نساء رشيد ليست جديدة ولا فريدة ولكنها حاضرة على أفواههن وتاتى فى مكانها ووقتها وموقعها المعبر السليم .

ومن الأمثال المتداولة نقص عليك بعضها ، أما تفسيرها فهو مقرون بوقائعها :

١ — الدخان القريب يعمى .
٢ — حسدوا الفجر على ظل الشجر .
٣ — الكحكة فى ايد اليتم عجبة .
٤ — جوزوهالو مالها الالو .
٥ — زوقوا البوصة تبقى عروسة .
٦ — ناس تأكل البلح وناس تنضرب بالشماريخ .
٧ — الاسم لطوبة والفعل لمشير .
٨ — مشى سنة ولا تخطى قنا .
٩ — فى الوش مراية وفى القفى سلاية .
١٠ — تقولى أصدقك أشوف أمورك استعجب .
١١ — زى فار الشششمة فليض وأعمى .
١٢ — علشان الورد يسقى العلق .
١٣ — الحجر الداير لابد من لدله .
١٤ — القط الدنى يموت قتيل المغارف .

١٥ ـ روح لوهاب العقول زى مايقول على الناس عليك يقول .
١٦ ـ الجمل خطوة قدام وخطوة لورى يجيب مشايل الناس ومشايله متاخرة .
١٧ ـ بابا قوم شرفنى ـ قال لما يموت اللى يعرفنى .
١٨ ـ بابا هات لى زمارة ـ لما يموت قدمات الحارة .
١٩ ـ اللى مايعرفش الصقر ياكله .
٢٠ ـ تشتم الأحبة تتهيك وتقول اللى فيها فيك .
٢١ ـ الرجل يبقى كبير ومتعمم ويحتاج لوالده فى المجالس يتكلم .
٢٢ ـ من حبنى لاجل شىء كرهنى عند انقطاعه .
٢٣ ـ اصبر على جار السو يرحل أو تجى له داهية .
٢٤ ـ اعمى ويجرى بين النخل .
٢٥ ـ شم الورد بعد القطف عادة ، البيت الشح تتلفه الزيادة .
٢٦ ـ العروسة للعريس ، والجرى للمتاعيس .
٢٧ ـ جات الحزينة تفرح ، مالقتلهاش مطرح .

تلك بعض الأمثلة الشائعة فى رشيد وهى قليل من كثير يحتاج الى صفحات كثيرة .

أما أطفال رشيد فهم مولعون بالحركة والنشاط ولهم مجال آخر غير مجال الكبار فقد تعودوا أن يختلقوا لأنفسهم شيئا يتلمسون فيه تسلية فاذا لم يجدوا فانهم يلتقطون شخصية من أهالى رشيد تكون هزلية ومرحة ويتبعونها بالنكت ويقذفونها بالحجارة أحيانا وينتهى أمر هذه الشخصية الى الجنون وهم من وراء ذلك يضحكون ويمرحون . واعتبر أن هذه من العيوب الشائعة فى رشيد ـ حيث يمكن أن ينهى الناس أولادهم عن هذا المسلك الذى يؤدى بالناس الى الجنون وكثيرا مايختار الأطفال لاى انسان اسما خاصا مثل أبو الكشاكش أو النتاش وكلما وجدوا صاحبه فى مكان اتبعوه حتى يتخلص منهم بالحجارة ثم يتبادلونها كأنهم فى معركة.

الأفراح والموالد فى رشيد :

يكاد من يعيش فى رشيد يظن أن أيامها كلها أفراح وهذا لايخالف الواقع كثيرا حيث أن كل زواج يتم فى رشيد يعلمه أكثر الناس ولا تزال العادة المتبعة فى مثل هذه المناسبات قائمة الى الآن مع تغييرات طارئة بالنسبة لتقدم الحضارة .

فان العريس فيما مضى كان يتم عقده الشرعى على عروسه فى المسجد بحضور العائلتين والأصدقاء . أما اليوم فانه يتم فى منزل العروس . وكان الأثاث متواضعا للغاية أما اليوم فقد تباهى وتناهى فى التبذير وكان العريس يسكن فى مسكن والديه أما اليوم فهو فى واد وهم فى واد آخر . وكانت المهور مناسبة وكانت الانساب والأحساب هى أكرم المهور . أما اليوم فقد اختلفت المقاييس وتغيرت الأفهام وتبدلت الأقوام غير الاقوام . وصار الاحساب والأنساب هو الجاه والمـــال والسلطان .

ونعود الى أفراح رشيد فى صورتها القديمة التى عرفتها طوال حياتها المـــاضية ـــ كان العريس حين يتم عقده يبدأ استعداده للدخلة اى يوم الزفاف وما بين هذه الفترة فهو يجامل كل من يتزوج ـــ يجامله بالهدايا التى تقدم للعريس فى حفل الزفاف ـــ وحين يأتى يوم زفافه ترد له هـــذه الهدايا . ولقد كان يقدم لأكثر الذين يمرون فى موكب العرس هدايا كثيرة من الحلويات وذلك غير النقطة التى تنزل فى الحفلة .

والعريس فيما مضى كان يصلى العشاء بالمسجد ثم يخرج فى زفة تمر بشارع السوق وتنتهى به الى منزله حيث تكون فى انتظاره العروس فى زفة مع السيدات وقبل أن تعرف رشيد الكلوبات التى تضاء بالجـــاز كانوا يستعملون المشاعل أو « الجلة » وأمام العريس تكون الموسيقى ويكون الرقص وخلافه من مظاهر الأفراح حتى يصل العريس الى منزله وهناك يكون سرادقا يتلى فيه القرآن . وقبل أن يتم حفل الزفاف اى فى نهار هذا اليوم يكون هناك ما يسمى بالتعليقة وذلك انه يحمل بعض الأولاد شمعدانات كبيرة من الورد الصناعى وتسير معهم الموسيقى وفى شـــارع السوق يقوم مهرجان رائع من الألعاب الرياضية البطوليـــة او الرقص البلدى أو لعب العصا . وكلما كان العريس ممن لهم عصبية فان الحفل يكون كبيرا وأنا هنا سوف أفرد لكل ناحية من النواحى التى تعرض فى هذه الأحفال كلمة خاصة .

الرقص البلدى ـــ أهم ما كان يرى من الرقص فى هذا الوقت هو رقص الفتوة فان الرجل يدخل حلبة الرقص وبعد أن تأخذه النشوة فانه يتقدم الى دكة خشب كبيرة يبلغ وزنها حوالى ٥٠ كيلو يأخذها ويرفعها فوق جبهته أو على أسنان الفك الأسفل أو على كتفه ويرقص بها عدة دقائق فى براعة فائقة تثير الاعجاب وكان اضعف الراقصين يلعب بعدة كراسى ثقيلة فى براعة ودقة .

أما فى حفلات الصيادين اذا كان المتزوج صيادا — فان هناك أسلوبا آخر فى غاية الجمال ذلك أن الصيادين يأتون بشبكة كبيرة ومتينة جدا معدة لهذه الغاية . هذه الشبكة يمسك بها من أطرافها مجموعة كبيرة من اللاعبين حتى تكون مشدودة تماما ثم يصعد فى منتصفها شاب ويقوم الجميع بارخاء الشبكة ثم يشدونها ويرخونها ويشدونها آخر مرة بقوة فاذا بالشاب يرتفع الى أعلى حوالى ١٠ أمتار ثم يهبط فى الشبكة نفسها وتتكرر هذه العملية فى حذر وبراعة .

أما فى حفلات زواج المزارعين ويسميهم أهالى رشيد (البعالوة) فان افراحهم يعرض فيها أسلوب آخر وميدان آخر ذلك هو (لعب العصا) ولهذه اللعبة أبطال ورجال كانوا يحضرون لها من جميع ضواحى رشيد وفيها منافسات كبيرة ومن ابطالها المشهورين أحمد الدائراوى والحاج محمد البروة ومصطفى الشربينى وغيرهم — وكانت هذه اللعبة لها جمهور كبير من الهواة والمحترفين .

أما الآن فقد يتسبب عن هذه اللعبة حوادث مؤسفة . ذلك لأن بعض الخصومات القديمة وبعض الأحقاد تدخل ميدان اللعبة فما أن يقف غريم أمام غريمه حتى تتحرك هذه الضغائن وتتجدد الأحقاد . وحين يكشف أحد اللاعبين الآخر سواء كان كشفا فنيا أو فيه تعمد تنقلب العصى الى أسلحة قاتلة لولا أن يتدخل بعض كبار الموجودين ويفضوا المعركة ويتحرك ركب العريس الى منزله بسرعة خوفا على أن ينقلب الفرح الى ترح .

ومن هنا فقدت اللعبة روحها واضمحل شأنها وتلاشى الحماس لها ومع الأيام مات رجالها وارباب فنها .

أما العروسة فى رشيد فانها كانت فيما مضى قبل أن تعرف السيارات فانها تخرج من بيت أهلها ماشية على قدميها فى أجمل صورة لها وأحدث وأجمل زى تحيط بها الفتيات والسيدات من كل جانب وعليها غطاء أبيض والموكب يسير يقدمه رجلان يفسحان الطريق والنساء يزغردن حتى يصلن الى منزل العريس وهناك تستقبل من أهل العريس بأجمل تحية وأروع استقبال .

ويهمنى أن أنوه هنا عن نوع الأطعمة التى كانت تقدم فى الأفراح . فهناك ثلاثة أنواع أما الطبقة الكبيرة فقد كانت تقوم بعمل غذاء يقدم فيه أشهى أنواع الأطعمة واللحوم . وأما الطبقة المتوسطة فكانت تقدم ما يسمى

(العيش على لحم) وهو عبارة عن رغيف يدخل الفرن وعلى وجهه طبقة من اللحم المفروم مع البصل وكان هذا الرغيف يؤكل بالسمن البلدى .

أما الطبقة الثالثة فكانت تقدم ما يسمى (بالمصبوبة) وهى عبارة عن صورة من القطايف تؤكل بالعسل الأبيض .

والعيش على لحم والمصبوبة ترسل هدايا لمنـــازل أقـــرباء العريس والعروسة .

اما الموالد فى رشيد ـــ فقد كان لها فيما مضى شأن كبير وكان فى رشيد اتباع كثيرون للطرق الصوفية والشاذلية والخليلية والخلوتية ـــ وكان لهم جلسات دورية فى المنازل والمساجد وكانت لهم أعلام فوانيس وشارات ـــ ولديهم طقوس وطبول ومزامير . كانت رشيد زاخرة بأصحاب الأبسطة وارباب العكاكيز .

كان موكب سيدى السيد البدوى ومولد سيدى ابراهيم الدسوقى من اعظم الموالد شأنا فى رشيد ومن توافق الظروف أن هـــذه الموالد تأتى فى أعظم المواسم رواجا ولهذا يدخر لها مالذ وطاب .

ولمـــا كانت المواصلات لا تزال تعتمـــد على المراكب قبـــل انتشـــار السيارات فقد كانت هناك مراكب شراعية كبيرة تسمى بأســـماء الطرق الصوفية هذه المراكب تتزين وتستعد للسفر محملة بخلق كثـــير ومزودة بطعام يكفى أهل الطريق ويوم تقوم هذه المراكب يكون يوم عيد فى رشيد فالبلد كلها تستعد لما يسمى عندنا (بالاشاير) والاشاير هذه هى مراكب أهل الطرق الصوفية الذين يحتفلون بالمولد ويتاهبون للسفر الى طنطـــا أو دسوق وان أعظم مظاهر الفرح والابتهاج انما يكون مساء يوم رؤية هلال شهر رمضان وفى هذا اليوم تتأهب رشيد رجالا وأطفالا ليشاهدوا أكبر مهرجان يمثل فى العصر الحديث « يوم الزهور » ـــ اذ يقوم كل اهل حرفة بالاستعداد للظهور بحرفتهم أمام الجماهير فهذا موكب الحدادين وأمامهم الكور ـــ وهذا موكب الخبازين يخبزون الرغيف ويلقون به على الجماهير ـــ وهذه مركب فيها ماء محملة على عربة واحد الصيادين يعوم فيها وهـــذا بناء يبنى مئذنة ـــ وهكذا من مناظر لآكلى الصبار والثعابين حتى ينتهى الموكب بالخليفة يحيط به خلق كثير كل يريد ان يتبرك به أو يلمسه وهـــذا يرسل منديلا وذلك يلقى بالورد وهكذا يقضى الناس من العشاء الى

قبيل الفجر فى هذه المهرجانات المختلفة وقد اختفت هذه المظاهر وهـذه العادات من حياة اهالى رشيد اللهم الا التصرفات الفردية .

الكنـائس :

لايوجد فى رشيد اقباط من اهلها الا عددا قليلا وما يوجد فى رشـيد من مسيحيين انما جاؤوها عن طريق الوظائف الحكوميـة . والعـائلة الوحيدة التى استوطنت رشيد أخيرا هى عائلة المرحوم المعلم خليل حنا مليكة الذى هاجر من بلدته شباس الشهداء وكان مرتلا فى كنيسة مارى مرقص برشيد — ثم افتتح مدرسة أولية عام ١٩٠١ وسميت مدرسـة الأساس المتين وتوفى حوالى عام ١٩٣٦ وكان رجلا عصاميا يجيد الكتابة والقراءة على طريقة برايل حيث كان كفيفا وكان يجيد اللغات العربيـة والعبرية والانجليزية والفرنسية .

وتوجد فى رشيد حاليا كنيستان :

الأولى كنيسة الأقباط الارثوذكس وهى الكنيسة الكبرى فى رشيد وتقع فى شارع الجيش وهى كنيسة قديمة جدا أسست من حوالى ٤٠٠ أربعمائة عام تقريبا وكان بالكنيسة بعض التحف القديمة ذات الأثر التاريخى وكانت موجودة بحجاب الهيكل وقد اخذها المرحوم مرقص باشا سميكة ووضعها بالمتحف القبطى بالقاهرة . ولا تزال هذه الكنيسة تؤدى رسالتها الدينية وقد زارها اخيرا فى عام ١٩٦٠ نيافة الأنبا كيرلس وأقيمت له حفلة كبيرة.

اما الكنيسة اليونانية ومكانها بجوار مسجد سيدى على المحلى فهى قديمة جدا ويرجع تاريخها الى ٣٠٠ ثلاثمائة عام على وجـه التقريب . وكانت على وشك السقوط ، لولا بعض الشخصيات اليونانية باسكندرية حين حضرت لزيارة الكنيسة وشاهدتها فقاموا بتجديدها — وبالكنيسة بعض التحف الأثرية والمخطوطات القديمة وبها قسيس دائم ولها نظام العبادات ويؤمها سواح من كل البلاد وخصوصا يوم الأحد من كل أسبوع. وتكاد تكون هذه الكنيسة مجهولة لأهالى رشيد لا يحسون بها لأنها تكاد تكون عادية فلا يوجد مايميزها عن باقى المبانى المحيطة بها فليس لهـا برج وهيكل ولا مظاهر الكنائس الأخرى . أما كنيسة الأقباط الارثوذكس فانها واضحة ظاهرة بشكلها الذى يرمز اليها وبها جرس ولها برج عال.

ولقد كان فى رشيد كنيسة اخرى تسمى بكنيسة الأروام الأرثوذكس وآخر قسيس لها كان اسمه الخواجه شكرى ومكان هذه الكنيسة شارع

وكالة القنصل ولا يزال مبنى المدرسة الاعدادية القديمة من املاك هــذه الكنيسة وكانت لها حديقة كبيرة وتمر من تحتها ترعة تسمى الهورى تصل النيل بمزارع الأرض المجاورة للسكة الحديد . وكان بهذه الكنيسة تحف وقناديل وكتب قديمة وبعض الصور الأثرية وكان بها صالة كبيرة مجهزة بالمقاعد ــ وكانت هذه الكنيسة الى عام ١٩٤٠ قائمة تؤدى رسالتها ثم حضرت لجنة من البطرياركية وتولت استلام كل محتويات الكنيسة واخيرا باعت الأرض التى كانت تقوم عليها الكنيسة .

بين اهالى ادكو ورشيد :

حاولت باخلاص أن أعرف سر الشعور الذى يفصل بين عواطف اهالى رشيد وادكو حاولت أن استنبط الأسباب التى خلفت هذه الغشاوة وحالت دون الانسجام النفسى بين البلدين ، أن هناك ولا شك عوامــل نفسية دفينة لأسباب غير معلومة لنا على وجه التحديد ، وأن كانت هناك قصصا وروايات يتناقلها الأبناء عن الآباء أن دلت على شىء فانمــا تدل على أن هناك تعصب اقليمى بين البلدين .

وأعتقد أن هذه ليست السر الذى نستقصيه ونبحث عنه ، فان الباحث المنصف لاينبغى له ان يقف عند هــذه النقطة ويعتبر أن الأمر قد أنتهى ويبقى هذا الشعور وتلك الأزمة كامنة فى نفوس الناس فى رشيد وادكو مدى الأجيال ، الواجب يدعونا أن نبحث عن الأسباب الحقيقية التى صدر عنها هذا الشعور حتى يمكن بعد ذلك ان نصل الى علاج يتلاشى معه هذا الضباب .

يقول الأستاذ محمد محمود زيتون فى كتابه (ادكو) عام ١٩٣٦ فى القسم الثانى عن حاضر ادكو مايلى : قسمنا تاريخ ادكو الى ثلاثة عصــور متميزة ثالثهما عن عصر محمد على الى اليوم ، وقد اعتبرنا هذه الحقبــة حاضر ادكو ... واذا استشرفنا تقلبات الأيام وتعرفنا دخائلها ، وجب علينا اقرار الحق ، واثبات الحكم .

نقول ان ادكو أخذت بأسباب الرقى المطرد ، وان كان بطيئا ، وأفاق أهلها من اغفاءة أصابتهم على اثر حوادث الدهر فما استكانوا ، وما ان طلعت عليهم شمس الاصلاح العلوى وهم فى كهفهم حتى نفضــوا عن عيونهم غشاوة الجهل الكثيف ، فتبينوا على البعد ماحولهم فراوا عجبا .

نظروا الى الشرق فوجدوا حدائق البوصيلى فتهامسوا : أما كانت فيافى تعوى بها الذئاب ؟

هذا بعض ماجاء فى كتاب ادكو على لسان الأستاذ محمد محمود زيتون عام ١٩٣٦ وليست اقصد من وراء هذا التعريف سوى أن اقدم للقارىء صورة للحالة التى كانت تعيش فيها ادكو الى مابعد هذا التاريخ بقليل . ان ادكو ولا شك كانت تعيش فى عزلة تامة وفى بعد بعيد عن تيارات الحضارة والمدنية المتفاعلة مع الناس كافة ولقد ذكر هذا المعنى نفس المصدر فى نفس الموضوع حين قال :

وفيما عدا ذلك فان مرافق الحياة الجديدة بادكو تفرض على الأهل مجاراة البيئات المجاورة فى تقدمها المادى والمعنوى معا ولا شك أن حامل لواء هذه النهضة لفيف من الشباب المستنير الناهض .

هذا هو الواقع الذى فصل بين ادكو ورشيد ، الواقع التاريخى الذى هو الحقيقة الثابتة . فان ادكو بقيت ردحا من الزمان متخلفة عن روح الحضارة والحياة الاجتماعية من مسايرة البيئة المجاورة لها ، ففى الوقت الذى كانت فيه رشيد زاهرة بالمدنية زاخرة بالعلوم والمدارس والمنتديات والنهضة كانت ادكو لاتشعر بهذا الوجود . وفى الوقت الذى كانت طبيعة الرشيدى المرح والنكتة ومن عاداته الأصيلة التريض والنزهة فان أهالى ادكو على العكس من ذلك كان طبعهم الجد والصرامة والنشاط فى العمل بالليل والنهار جهادا فى سبيل الرزق مما لايدع لهم سبيلا للنزهة والتعرف على المجتمع . فعاشوا فى عزلة عن التطور .

ولا شك ان هذه الطبيعة أوحت الى أهالى رشيد بكثير من الانتقادات اللاذعة التى تحولت فيما بعد الى نكت قارعة ثم الى عقد نفسية فى الوقت الذى يصاهر كثير من أهالى ادكو عائلات كثيرة من رشيد .

وتدور الأيام دورتها ويحقق شباب ادكو الناهض الأمل فيه فتفيق ادكو وتنهض نهضة مباركة فتشق طريقها نحو المجد بصورة رائعة وذلك بفضل تضامن اهلها وفهم شبابها لقيمة العمل والتعليم والجهاد فى سبيل تطوير ادكو ، ويحدثنى اساتذة رشيد الثانوية وغيرها أن الطلاب الأدكاويين هم أبرز الطلاب فى مدرسة رشيد الثانوية أبرزهم فى التعليم وأفهمهم للواجب واقدرهم على تحقيق كل مايطلب منهم . وان هذه الشهادة مما تجعلنا نعتز بهذه الروح العالية متمنين لهم التوفيق الدائم فان كل نجاح لأبناء

ادكو هو فى الحقيقة نجاح لأبناء رشيد ومركز رشيد جميعا . ونامل على الدوام أن لاتكون للأحداث الطارئة مثل معارك انتخابات مجلس الشعب او غيرها أثر فى تعكير صفو العلاقات الأخوية والودية بين البلدين فلا عصبية ولا قومية ولكن أخوة اسلامية .

تشييع الجنازات :

درج أهالى رشيد منذ زمن بعيد على تقاليد وعادات خاصة فى تشييع موتاهم — فمن أبرز هذه العادات أن تؤدى صلاة الجنازة على الميت فى مسجد المحلى وهو المسجد الجامع فى رشيد — سواء اكان الميت قريبا من المسجد أو بعيدا عنه فقد يكون الميت بجوار المقابر ويؤتى به الى هذا المسجد ثم يعودون به الى المقابر .

وترجع هذه العادة الى عدة أسباب فهى من الناحية الشرعية لاسند لها من الصحة — وانما هى عادة اجتماعية نشأت على أساس من التواد والتراحم والمجاملات . فان الميت اذا توفى وخرج من بيته الى المقابر رأسا على أن يصلى عليه حتى فى أقرب مسجد من المنزل .. أن هذا الانسان المتوفى سوف لايعرف الناس أنه توفى ومن ثم لايقومون بواجب العزاء الشرعى الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (من عزى مصابا فله مثل أجره) وقال صلوات الله وسلامه عليه (مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيام) والأخوة التى تربط المؤمنين بعضهم ببعض تستلزم أن يتعانوا فى السراء والضراء ويقول الفقهاء أن المقصود بالتعزية تسلية أهل المصيبة وقضاء حوائجهم والتقرب اليهم والحاجة اليها بعد الدفن كالحاجة اليها قبلة ولذلك تكون التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده .

ومن هنا حرص اهالى رشيد عن الاعلان عن الوفاة ولا سبيل الى ذلك الا بالصلاة عليه فى المسجد الجامع المحلى وهو يتوسط رشيد تماما والذى تتركز حوله الحركة التجارية والعمرانية فان جمهور المصلين سوف يشتركون فى صلاة الجنازة ثم يتبعونها مع جمهور المنتظرين على طول الطريق من المسجد الى المقابر التى تقع قبلى رشيد .

ومن العادات الباقية فى رشيد أن يتقدم الجنازة مجموعة من أرباب المكاكيز كما يسمون فى مذكرات الجبرتى .. وهؤلاء ينشدون بعض التواشيح المبهمة وهؤلاء يشاركون فى الجنازات على هيئة تشريفة فقط

او مقدمة للجنازة — وهم لايمثلون فى الواقع روح الموقف الرهيب الذى يستشعره المشيعون فضلا عن أهل الميت — فهم كثــيرا ما يتغامزون وكثيرا مايتسـامرون بل كثيرا ماتراهم فى حالة انسجام وضحك مما يؤذى أهل الميت فى شعورهم وقد حاول كثير من العقلاء القضاء على هذه العادة ولكن أرباب العكاكيز أو المنتفعين قاوموه بشدة . ولعل الزمن هو الذى يحدد مصيرهم .

ومن مظاهر المشاركة فى وقت الشدة مايذهب اليه أهل رشيد فىتشييع موتاهم فان حالات خاصة مثل الميت الغريب أو الشـاب المـأمول أو الفتاة بعد الولادة فان رشيد على بكرة أبيها تشارك فى المصاب ويكون مشـــهد الجنازة رهيبا مؤثرا فقد تغلق المتاجر على طول الطريق مشاركة ويكون هذا الشعور الصادق ولا شك تعزية لاتدع أهل الميت فريسة للأحزان والآلام . واننى لأقرر بشعور صادق أن تشييع الجنازات فى رشيد هو أروع مظاهر الأخوة بين الناس فى رشيد وانه البقيـــة الباقية من روح السماحة والحب الذى كان شعارا لهــذا البلد الطيب وان كثـــيرا من الخصومات والحزازات قد انفضت على اثر هذه الســـنة الحميدة حين ماأدركته أذواق المؤمنين من تعاطف ومجاملات .

واننى لأقرر أيضا أنه لولا كثرة تشييع الجنازات فى رشيد وتذكر الموت وجلاله والعبرة المعبرة عند توديع الميت الوداع الأخير لمـــا بقى فى رشيد تعارف ولا تآلف بعد أن أصبحت المـــادة هى شعار هذا العصر — ولقد بلغ من مكارم أخلاق أهالى رشيد انه اذا توفى جار فى الشـارع ان يؤجل الناس أفراحهم حتى ينتهى الأربعين واذا صار عرس فيه طبل وزمر ولم يمكنه تحاشى المرور من هذا الشارع فانه يمر فى الشـارع بحالة صامتة فيها صورة الاكبار والاجلال لشعور أهل الميت — ولقد حدث فى القريب أن أعلن عن حفلة عقد قران ونصبت لذلك الأعلام وقبل أن يبدأ الحفــل توفيت فى نفس الشـارع سيدة جليلة فأخفى أهل الميت خبر مصيبتهم حتى انتهى عقد القران ثم أعلنوا عن وفاة سيدتهم . وهـــذا فى رأيى أجمــل ما أدركته أذواق المؤمنين من تعاطف ومجاملات .

ولقد كان من مظاهر المشاركة فى وقت الشدة أن يقوم جيران أهــل الميت باعداد طعام لهم يشبعهم يومهم وليلتهم لقوله عليه الصلاة والسلام (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم) ولكن هذه السنة بقيت فى أضيق الحدود وارجع ذلك لأسباب اقتصادية بحتة . فقد كانت تقام

للتعزية ثلاث ليال متتالية ولكنها اليوم أيضا قد اقتصرت على ليلة واحدة وارجع ذلك ايضا الى الناحية الاقتصادية .

أما الجلوس لتقبل العزاء بعد الدفن فان يقام عند بيت أهل المتوفى سرادق يؤمه المعزون من بعد صلاة العشاء يستمعون الى تلاوة القرآن والمعزون فى رشـــيد لايدخنون فى حالة الاستماع الى القرآن كما أن أهل الميت لا يقدمون السجاير للمعزين كما نرى فى البلاد الأخرى .

وفى رشيد لا تشترك النساء فى تشييع الجنازات وقد منعن من الخروج فى مظاهرة لاستقبال الميت عند القبر بفضل جهاد العالم الجليل الشيخ محمد مخلوف ولكن خروج النساء الى المقابر لايزال موجودا وخصوصا فى المواسم والأعياد . ولقد استحدثت فى رشيد فكرة تلاوة القرآن الكريم فى مجمع النساء عند التعزية فى المنازل والقاء المواعظ والدروس حتى لايتسنى لأهل الميت فرصة للبكاء والندب والعويل .

كما أن من عادة الرجال والشباب الخروج لزيارة الأموات عصر كل يوم جمعة للعبرة والعظة .

الخوف من الشهادة

من الظواهر الملحوظة فى كثير من أهل رشيد انهم يمتنعـــون عن أداء الشهادة أمام النيابة العامة أو القضاء فى حوادث القتل بالذات ويرجع ذلك الى أسباب واقعية متكررة ، حيث يرون أن المتهم فى جريمة قتل عمدا مع سبق الاصرار والترصد والقبض عليه حال وقوع الجريمة ، لايلبث أن يفرج عنه بكفالة مالية ، بل ان بعض القضايا يحكم فيها ببراءة المتهم . والناس بطبيعة الحال لا يعرفون شيئا عن حيثيات الحكم .

فيعود هذا المتهم الى ممارسة عملية الضغط والارهاب على ســـائر القطاعات من أهلية وحكومية بل الأعجب من هذا أن يرى الناس رجالا مسئولين يستقبلونهم ويرحبون بهم ويتعاملون معهم كأصدقاء ويتبادلون معهم الزيارات والسهرات ، وينفذون لهم طلباتهم ورغباتهم التى لاتخفى على أحد حيث انها أوضح من الشمس وأبين من غرة النهار .

وأمام هذا الشذوذ فى ميزان الحق والعدل وجد الناس فى رشيد أنفسهم فى حيرة شديدة أوصلتهم الى السلبية المطلقة فانطوت الشخصيات التى كان يرجى منها خير وخاصة الفئة المثقفة تجتر احزانها وآلامها رغم سقوط القتلى واحدا بعد الآخر فى فترات متقاربة .

انتخابات مجلس الشعب

وتمشيا مع روح أهالى رشيد وجنوحهم الى السلبية المطلقة احتجاجا منهم على تجاهل المسئولين لنواحى الاصلاح وانشغالهم بالمصالح الخاصة والمظاهر الشكلية — فان الأغلبية من أهالى رشيد لايذهبون الى صناديق الانتخابات ولا يتحمسون لذلك حتى بات هذا الأمر معروفا ومألوفا ويوضع فى حساب كل المرشحين فى دائرة رشيد التى تمتد من مصانع البيضاء فى كفر الدوار الى ادفينا وفزارة قبلى مدينة رشيد وهى مساحة كبيرة غير متعارفة ولا متناسقة جغرافيا مما يخلق جوا من العصبية الاقليمية ولا تساعد على الوحدة والترابط التى هى الأصل والغاية فى هذه الحياة .

الحدائق الضائعة

المدن فى جميع أنحاء العالم تحرص فى تخطيطها على المزيد من الحدائق والمتنزهات التى تقوم فى المدينة مقام الرئة فى جسم الانسان — فضلا عن كونها متنفسا لقضاء وقت الراحة وتهدئة الأعصاب ، بما تتركه فى النفس من بهجة وانشراح .

ولقد عرفت المجالس المحلية فى رشيد منذ عشرات السنين فضل الحدائق وأهميتها فى تجميل المدينة فأعطتها العناية والاهتمام ، حتى صارت حدائق رشيد تحفة فنية رائعة بما حوت من أنواع الزهور ذات الألوان الجميلة والرائحة العطرة الجذابة .

فكانت الحديقة الرئيسية الموجودة الآن أمام مبنى الشرطة غاية فى فى التنسيق والجمال حتى أنه كان يأتيها يوم الأحد من كل أسبوع من الزوار الأجانب الخواجات من الاسكندرية ودمنهور وغيرها ، تتوسطها فسقية ونافورة حولها بعض الكراسى تحفها الزهور والأعشاب والأشجار.

وفى موضع النصب التذكارى لشهداء رشيد فى معركة الانجليز عام ١٨٠٧ كانت هناك حديقة صغيرة فى غاية الابداع تتوسطها فسقية تسبح فيها أنواع من سمك الزينة بألوانه الجميلة التى يتجمع حولها الأطفال .

وفى مكان التقاء شارع المشيد بالنور مع شارع القنصل وفى هذا الميدان صغير الذى أصبح الآن مأوى للسيارات ــ كانت هناك حديقة مسورة تضفى على هذا الميدان روعة وجمالا .

أما الحديقة التى تحتل المساحة الكبيرة من الأرض فهى التى يقوم عليها الآن خزان مياه رشيد ومكان موقف سيارات الاتوبيس المجاور لمسجد العرابى ــ وهذه الحديقة قد حفت بأشجار عالية وكثيفة كى تحمى المدينة من عواصف الرمال والتراب ، فضلا عن اتساعها وجمال تنسيقها وهدوء المنطقة التى تقع فيها ــ لقد كانت العناية بهذه الحدائق فائقة ، فلم تكن متروكة حتى تصبح صفصفا تتحول الى شوارع وأرصـــفة ، بل كانت فاخرة زاهرة تسر الناظرين ترعاها النظافة التامة والنظام الدقيق ، حيث كانت لها أبواب تفتح وتغلق بمواعيد ، ومن الوفاء فى هذا المقام ان نذكر بالتقدير هذا الرجل الأسمر الشهير (بعم محمد يوسف الجناينى) الذى كان يشرف بنفسه وفنه واخلاصه على جناين وحدائق رشيد .

نظافــة الشــوارع :

كما قامت فى رشيد من قبل جهود مشكورة للعناية بنظافة الشوارع مبكرا ، حتى اذا استيقظ الناس فى الصباح وجدوها نظيفة ، وشاهدوا العديد من عربات الكارو تحمل القمامة الى الأراضى الزراعية فى ضواحى المدينة لاستعمالها كسماد ، فضلا عن عربات المجلس المخصصة لذلك .

ومن المفيد أن نذكر أن مجلس محلى رشيد فى القديم هو أول من فكر فى بيع القمامة فى مزاد على متعهد ، فحل بذلك الاجراء مشكلة كبيرة لاتزال بعض المدن الكبيرة تعانى منها وتتعثر فى حلها .

ولم يتوقف الأمر على نظافة الشوارع التى كان أكثرها ترابية ، بـــل لقد كانت هناك عربات تجرها البغال مجهزة بخزانات أو فناطيس كبيرة للمياه تقوم على الدوام وفى انتظام برش الشوارع بالمـــاء .

ويتابع حركة عمال النظافة ملاحظون أكفاء يراقبونهم ويوقعون لهم على سركى فى ساعة مفاجئة ، قلما تسمع أن احد عمال النظافة يعمل مراسلة عند احد الموظفين الكبار ، فى الوقت الذى يجب أن يتضاعف عدد عمال النظافة تبعا لهذا الاتســاع الكبير فى الاسكان .

ومع كل هذا الاهتمام بشئون النظافة ــ كان أصحاب المحلات يقومون

بوازع من دينهم بعمل نظافة ورش المياه امام محلاتهم — بل نرى النـــاس وهم يسيرون فى الطرقات يرفعون الحجارة وقطع الزجاجوالعظم والشوك ويضعونها على الرصيف حماية لاخوانهم ، عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اماطة الأذى عن الطريق لك صدقة) .

الوهلة

الوهلة — هى حديث أهالى رشـــيد الذى يتوراثونه أبا عن جـد

والوهلة — تعريف بشع يصور حالة الجماهير النفسية — لمـــا يسمى الآن(بالكوليرا) ذلك الوباء الذى يفزع له الناس جميعا بلا تمييز بين الطبقات فهو لايبقى ولا يذر .

والوهلة التى اجتاحت رشيد وفتكت بأهلهـــا وتركتهـــا خاوية على عروشها يرجع تاريخها الي حوالى عام ١٨٠٠ ميلادية كما يحدثنا بذلك اجدادنا .

ولكن بالرجوع الى تاريخ الجبرتى نراه قد ذكر مايشبه ذلك فى مذكراته فى ١١٠٧ هـ الموافق ٢٦ أغسطس ١٦٩٥ ميلادية — حيث قال — اجتمع الفقراء والشحاذون رجالا ونساء وصبيانا وطلعوا الى القلعة ووقفـــوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع فلم يجبهم أحد — فرجموا بالأحجار فركب الوالى وطردهم — فنزلوا الى الرميلة ونهبوا حواصل الغلة التى بها وكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآن بالشعير والفول ... وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها — وحضر أهالى القرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة — واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف — ومات الكثير من الجوع — وخلت القرى من أهلها وخطف الفقراء الخبز من الأسـواق ومن الأفران ومن على رؤوس الخبازين — ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه بالفـــرن ثم يعودون به .

ويقول الجبرتى أيضا — تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع القلعة بالموكب على العادة — ورأى مافيه الناس من الكرب والغلاء ، فأمر بجمع الفقراء والشحاذين (بقرة ميدان) فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم

على الأمراء والأعيان — كل انسان على قدر حاله وقدرته — وعين لهم مايكفيهم من الخبز والطعام صباحا ومساء الىان انقضى الغلاء — واعقب ذلك وباء عظيم — فأمر الباشا بيت المال ان يكفى الفقراء والغرباء فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل المؤمنين الى ان انقضى الوباء .

ولا نستطيع أن نقرر ما اذا كان هذا الوباء الذى تحدثنا عنه سابقا هو نفس الوباء الذى حل بمدينة رشيد — أم أنه وباء آخر جاء بعد هذا التاريخ — فالملاحظ أن الوباء الذى جاء فى مذكرات الجبرتى ربما جاء عقب ازمة اقتصادية طاحنة ولكن من استقصاء طبيعة أحوال اهالى رشيد فى هذا العصر نراها أغنى بلاد القطر لكثرة ماكان فيها من غاة التجار ومتاع السواح وحاجة البلاد من تصدير واستيراد حيث كانت رشيد هى الميناء الرئيسى للبلاد .

ولكن من الممكن أن نقول انه باعتبار مدينة رشيد ميناء يهبط فيه التجار الذين يوفدون من جميع انحاء العالم — فانه لايستبعد وصول عدوى وباء الكوليرا عن طريق التجار .

ويحدثنا اهلونا عن كارثة الوهلة فى رشيد — قد قضت على نصف عدد أهالى المدينة — بحيث يقول المرحوم الشيخ عبد السلام طيبة للمرحوم الشيخ محمد أبو السعود انه كان أحيانا يصلى الجنازة على أكثر من ٤٠٠ جثة ، وبعد أن زاد عدد الموتى واشتد الوباء صاروا يدفنون الموتى بدون غسل أو صلاة — وكان المشيعون حين يذهبون لدفن الميت لايعود نصفهم — كما أن الحكومة قد اشترت ربع فدان من املاك العمدة السيد على طبق لتدفن فيه الموتى — وكثير قد دفن فى حفر بعضهم فوق بعض .

ويقول الجبرتى : وفى أواخر يناير ١٨١٣ — زاد الارجاف بحصول الطاعون وواقع الموت فى الاسكندرية — فأمر الباشا — يقصد محمد على باشا — بعمل كرنتينة بثغر رشيد ودمياط والبرلس وشبرا ويرسل الكاشف الذى بالبحيرة يمنع المسافرين المارين بالبر .

واكثر المساكن التى أصيب اهلها بالوهلة كانت غرب مسجد الادفينى ووسط المدينة وفى المكان الذى يسمى (الكسارة) والذى تقوم مكانه الآن محطة الكهرباء ومسجد الغباشى ومسجد الجردى وقد هدمت هذه الأحياء وما فيها ولا تزال هناك تحت الأرض بقاياها .

ومن الملاحظ بعد هذه الوهلة انه حين القيام بهدم بعض المنازل القديمة يتم العثور على مايسمى (اللقية) وهى محلبة أو وعاء توجد به بعض النقود الذهبية او الفضية مدفونة فى احدى جدر هذه المنازل — ويظن ان اصحابها قد ماتوا فى الوهلة دون أن يتمكنوا من التصرف فيها — أو أن بعضهم قد خبأها حذرا من العثور عليها فمات فجأة — ولهذا يحرص الهدادون على التدقيق فى مخلفات المبانى حرصا على العثور على مثل هذه العاديات .

وبعد الكوليرا أصبحت هذه المنازل خالية من سكانها فانتهز التجار الوافدون من البلاد العربية هذه الفرصة فاحتلوها وسكنوها واصبحت ملكا لهم بوضع اليد .

ولما طالبتهم مصلحة الآثار بعد ذلك لاثبات الملكية لم يستطيعوا أن يقدموا دليل الملكية .

الكوليرا فى رشيد عام ١٩٤٧

فوجئت مصر بأجمعها بكارثة الكوليرا تبدأ من قرية « القرين » بالشرقية وسرعان ماانذلعت فى طول البلاد وعرضها وستدل الناس صرعى هذا الوباء الخطير وفزع الناس فزعا شديدا فى الطرقات والمواصلات لمجرد أن يروا انسانا يصاب بالقىء فيفرون منه مذعورين .

ووصل الوباء الى مدينة رشيد وسقط بعض الموتى وعاش الناس فى كرب شديد وأتلفت وزارة الصحة كثير من الخضروات التى يخشى أن تحمل الميكروب — وقد صادف الوباء موسم البلح ففقدت رشيد أعظم موارد رزقها — وبلغ خوف الناس انهم كانوا يتبادلون العملة الورقية بحذر وبعضهم كان يقوم بتطهيرها — وبلغ ثمن الليمونة البنزهير الواحدة باعتبارها ترياق ضد هذا الوباء خمسة قروش صاغ فى هذا الوقت — وكان الناس يخافون من تشييع الجنازات خوف العدوى ، وكانوا يودعون الذى يموت بلا بكاء ولا عويل .

وجند شباب جماعة الاخوان المسلمين فى جميع بلاد مصر انفسهم لحماية المجتمع من هذا الوباء بالمساعدة فى التطعيم والانقاذ والعزل ، وفى رشيد بالذات قام الاخوان بهذا الواجب وأوقفوا الاتصال بين الأهالى وتنقلاتهم عن طريق النيل من البر الشرقى الى البر الغربى خوفا من انتشار العدوى .

ومن القصائد التى وردت فى تصوير وباء الكوليرا أو المرض الأصفر الذى اجتاح مصر عام ١٩٠٢ م قصيدة الكاشف مصورا فتك الكولير للناس وتفشيه نتيجة للجهل والاستسلام وانتشار الخرافات وسوء فهم الناس للدين (١) .

وكم ليل قضيت حليف وجد	وسهد فى الضراعة والصلاة
فان أغضيت فبهن مخيفا	صياح الثاكلات الباكيات
فمن أم مضى عنها بنوها	وس ام أصبيت فى البنات
وهذا كان لى جارا وفيا	وكانت تلك احدى التابعات
فأحسب أننى فى الظهر ميت	اذا أبصرت ميتا فى الغداة
وذوى هوس يقول لقيت ليلا	شياطين المنايا الدائرات
بأيديها سيوف لامعات	كلمع عيونها المتوقدات
وما حيل الحكومة فى مغير	به وجد البلاد مرحبات
اذا ما طاردونه فى مكان	رسى منه مراسى الراسخات
وكان له من الأهلين عون	علينا فهو موفور الثبات
ساوى عندهم نفع وضر	فما عرفوا الحماة من العداة
اذا لاقوا الأطباء استعاذوا	وخاضوا فى الظنون السيئات
وأبدوا للعقاقير احتقارا	فظنوها سموما مهلكات
وقالوا فى منازلنا دعونا	فان الموت فى المستشفيات
وان لنا فى الدايات عنكم	غنى لعلاجنا ومن الرقاة
ولولا غفلة العلماء عنهم	لما تركوا الوساوس غالبات
اذا استهدوهم قالوا استعينوا	بصبر واخضعوا للكارثات
نرى أن لا فرار من المنايا	فنهزأ بالدواء وبالأساة
وما العدوى- وان نقموا-علينا	سوى وهم النفوس الحائرات
وان تك فقد احتمينا	بأسرار البخارى الشافعات
وان لنا على الله اعتمادا	وأسبابا اليه واصلات

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر للدكتور / محمد محمد حسين الأستاذ للأدب العربى الحديث ـ بجامعة الاسكندرية ص ٢٣٨ الجزء الأول .

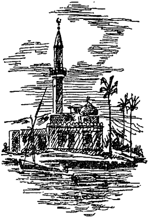

الباب الرابع

... الاقتصاديات

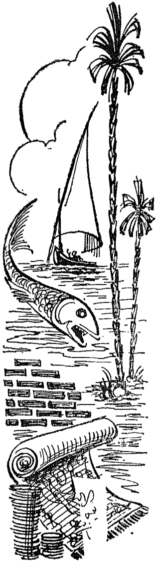

* صناعة السفن
* السردين
* المصـــابغ
* النخيل والبلح
* صناعة الأقفاص
* مضارب الأرز
* مصانع الدوبارة
* صناعة الطوب
* صناعة الزيوت
* صناعة السجاد

اقتصاديات رشـــيد :

فى كل بلد من بلادنا عادات حسنة وأخرى سيئة وكثيرا ماننذكر الحسنات وتنسى السيئات أو تتجاهل، ومن العادات السيئة فى رشيد الغيرة والحسد وقد نشأت هذه العوامل متأخرة فى النصف الثانى من القرن العشرين — فقد كان أسلافنا السابقون أكثر الناس تعاونا فيما بينهم والروايات كثيرة فى أن التاجر الذى يلاحظ ركودا عند جاره فانه يمتنع عن البيع ويرشـــد زبائنه للتعامل مع جاره هذا . غير أننا فى هذا الوقت نرى أخلاق أهالى رشيد قد تغيرت كثيرا وتبدلت بصورة واضحة ، فانهم لا يعرفون قيمـــة التعاون ولا يشجعون المشروعات التعاونية ولا المشروعات الاجتماعية النافعة حرصا على أموالهم ، اللهم الا قليلا منهم ، وأنت لاترى لافتة عن شركة تجارية أو مؤسسة اقتصادية يساهم فيها الأهالى .

فقديما أحجم كبار التجار عن فتح أبواب مصانع كبيرة أو المساهمة فيها خوفا من ضياع العامل الذى كثيرا مااستغلوه بأبخس الأثمان — فهـــم يخشون أن تتفتح عيناه على أجر كبير فيرفض أن يعـــود الى مصـــنعه الأول — وكثيرا مااتهم أصحاب المصانع وخصوصا مضارب الأرز العامل بالتمرد ، وأنه اذا امتلأ امتنع عن العمل وآثر الركـــود والجلوس على المقاهى وهو دائما يستغنى اذا شبع ويعود الى العمل حين يجوع .

وبقيت رشيد فى تأخر اقتصادى مستمر نظرا للعلاقة السيئة بين العامل وصاحب العمل وتولد فى نفوس أهالى رشيد شعور بالنعرة الشخصية فكل مواطن يعتبر نفسه شخصية متميزة عن غيره . وبهذا توقف نمـــو المشروعات الصغيرة فى رشيد تبعا لهذا العقوق ، ولا يزال الأبونيه يحمل من الاسكندرية أكثر الاشياء الموجودة فى رشيد فأدوات الكهرباء وأدوات المعمار والأدوية وأدوات المنازل والموبيليات وغير ذلك كثير ، كل هذه موجودة فى رشيد ومع هذا تستحضر من اسكندرية . ويبرر أهالى رشيد هذه العادة السيئة بأن التجار فى رشيد يأخذون فى هذه السلع أرباحـــا كثيرة افوق المعقول ولهذا فهم يؤثرون شراءها من اسكندرية .

ولولا أن المشروعات الاقتصادية الحديثة والقائمة فى رشيد تعتمد فى تجارتها على التوزيع خارج رشيد لمـــا قامت لها قائمة فمصـــانع الأرز والطوب ومصانع الدوبارة والجبنة والموبيليات وغيرها انما تصدر خارج رشيد فضلا عن الأسماك والبلح والموالح التى تملأ بلاد القطر .

صناعة السفن والمراكب فى رشيد :

فى القرن التاسع عشر ازدهرت الصناعات فى رشيد فأنشئت بها مصانع للغزل وللحدادة والى عهد قريب كان فى قبلى رشيد مكان عمارة خطاب سوقا وللحدادين به أكثر من عشرين دكانا الحدادة وأثرت فى رشيد جميع الصناعات التى تلزم صناعة السفن مثل صناعة النشارين وهم الذين كانوا يقومون بنشر الكتل الخشبية الكبيرة والثقيلة الى الواح ، وقد استعيض اليوم بورش النجارة الميكانيكية . كما كان يوجد فى رشيد مصانع لعمل قلوع المراكب أنشئت فى عهد محمد على — كما كان يوجد مصانع للرخام والورق والجلود وكذا للآلات الموسيقية كما هو معروف من وجود ايوانات فى جميع منازل رشيد الأثرية تقام فيها حفلات الموسيقى والسمر .

ويقال انه كان فى رشيد مصنعا للحديد لأن خام الحديد موجود فى رمل المنطقة حول البوغاز وفى تلال أبى مندور .

ولما كانت رشيد من أقدم الثغور الاسلامية ، والسفن هى الوسيلة الأصلية فى الاتصال بينها وبين الشام وتركيا بوجه خاص وبينها وبين الدول الأوربية بوجه عام فقد اهتمت رشيد بصناعة السفن وعمارتها وترميمها — وقد أقامت كل المصانع الفرعية من حدادة ونجارة وغيرها لتمدها بوسائل التصنيع ، وبرعت رشيد فى ذلك حتى انه كان يوجد من اللوحات الفنية المصنوعة من القيشانى لصور السفن الشراعية حتى مراحلها فى البحر فى الطوارىء الجوية المختلفة . ولقد قامت هذه الصناعة على أوسع صورة قبل أن تتحول الملاحة من رشيد الى الاسكندرية على أيدى صناع مهرة ، وقد أخذت هذه الصناعة بسورتها الواسعة تتلاشى من رشيد فى الوقت الذى هاجر أربابها الى الاسكندرية وموانى أخرى لمباشرتها هناك — ولم يبق الآن سوى عائلة واحدة تقريبا تمارس هذه الصناعة وهى عائلة (جاد الله) واستعيض الآن بصناعة مراكب الصيد التى هى من أبرز الصناعات الفنية الآن فى رشيد . وفى السنين الأخيرة بدات هذه الصناعة تتجدد فى صورة بناء مايسمى (صندل) وتصنع من الصاج السميك ، وهى خاصة بشحن البضائع عن طريق مجرى النيل فقط .

السمك فى رشيد :

يكاد يكون السمك والارز هو الغذاء المفضل عند غالبية أهالى رشيد فلا يكاد يمضى اسبوع حتى يتكرر الغذاء من السمك عدة مرات ولهم فى طهيه عدة طرق واساليب ، وتمتاز رشيد ان بهــا افرانا تختص بشى السمك بطريقة الشى ببطء .

والبيئة فى رشيد قد كيفت حياتها فى المعيشة على هذا الأسلوب فهم يعرفون انواع السمك ويعرفون مواسمها ويعرفون أمــاكن صيدها ، فالسمك البورى والبلطى هو أكثر انواع السمك تناولا للطعام والقاروض فيما مضى من الزمان كان اكثر انواع السمك حتى انه كان يشترى ليؤخذ منــه البطارخ فقط وكانت القاروضة الواحــدة لايزيد ثمنهــا عن أربعة قروش صاغ .

ولمــا كانت رشيد تقع على ساحل البحر الأبيض وضفاف النيــل وقريبا منبحيرة ادكو والمعدية وقنال برمبال فانها تستفيد بمواسم الأسماك جميعا اذ انه من النيل يأتيها سمك قبلى السد وهو نوع ممتاز ويأتيهــا الطوبار وسمك البورى وغيره من البحر الأبيض يأتيها ســمك الوقــار والبربون والوحش والترسة والمحراث ومن البحيرة والقنــال والبركة والمعدية يأتيها سمك له طعم لذيذ يعرفه أهل رشيد فى المواسم من كل عام ويسمى سمك (البركة) .

ويعتبر السمك فى رشيد اغلى منه فى اى بلد آخر غير أن اهل رشيد ياكلونه طازجا وهذا هو الفارق الوحيد بينهم وبين غيرهم ، والسر فى ارتفاع ثمن السمك فى رشيد أن الكمية الكبيرة منه تصدر الى الاسكندرية والقاهرة والأقاليم والبقية الصغيرة هى التى تعرض فى السوق ولهذا يكثر عليها الطلب . حتى بلغ الأمر بكثير من الأهــالى الى أن يشتروا الأسماك من الاسكندرية .

ام الخلول :

من أبرز اطعمة رشيد ومحاصيلها البحرية (أم الخلول) وهى حيوان صدفى صغير يتكون من صدفتين مغلقتين تحتويان على لسان لحمى صغير له طعم لذيذ ــ وتكون ام الخلول تحت رمال شاطىء البحر الأبيض وعلى

مسافة قصيرة تحت سطح الرمال ويمكن صيدها بواسطة جرفها بآلة معدة لذلك . والمعروف لدى العامة فى رشيد أن أم الخلول لا يمكن صيدها الا بالطبل والمزمار .

وأم الخلول وهى طازجة يكون من الصعب على الآكل فتحها بسهولة ولكن بمجرد وضع كمية من الملح عليها فانها تتفتح بسهولة . ولا تؤكل الا مملحة فى العادة — ولها لدى المدن الساحلية مثل اسكندرية ورشيد اعتبار وأهمية كبيرة فهم يجهزون لها خليط من الطحينة والتوابل يسمونه « حباش » يغمسونها فيه ثم يأكلونها .

وام الخلول التى تستخرج من شواطىء ادكو تعتبر أجـود الأنواع ولهذا ينادى عليها (أم الخلول الادكاوى) .

الفسيخ :

تشتهر رشيد بتمليح الفسيخ ولها فىتمليحه طريقة متوارثة واهم انواع الاسماك التى تدخل فى هذه المهنة السمك البورى وهذا السمك يتواجد فى يونيو ويوليو وأغسطس والفسيخ فىهذه عادة لايمكث كثيرا فى التخزين مثل السردين فانه يباع قبل أن تزداد درجة الملوحة فيه .

وللفسيخ مواسم مثل الأعياد وأكبرها توزيعا فى شم النسيم واحيانا يأتى يوم شم النسيم فى شهر رمضان فيضعف من قيمة التوزيع . ولا تزال طريقة التمليح فى رشيد واحدة وكذا طريقة عرض الفسيخ وتوزيعه .

موسم السردين الذى فقدناه :

اذا كان موسم القطن عند الفلاحين أعظم مواسم السنة وعلى قيمـة محصول القطن تتوقف رفاهية الفلاح .. كذلك فان موسم السردين فى رشيد من ابرز مواسم الصيادين واعظمها خطرا فى حيـاتهم — فان له نفس الأهمية التى يتوقف عليها حياة كل فئات المجتمـع . فاذا تخلف السردين عن عادته عاما فانه يترك نكسة كبيرة فى اقتصاد أهل رشيد عامة . فان الصياد يعمد الى شراء كساء أهله وسداد ديونه فى هـذا الموسم ، بل ان جميع حفلات الزواج انما تتم على اوسع صورة واكمل نفقة فى هذا الموسم — وليس الصياد وحده هو الذى ينعم بهذا الخير فان مجموعة كبيرة جدا من اصحاب المهن تعلق اهميةكبيرة على نجاح الموسم — فان عمال (القفف) التى يوضع فيها السردين ينشطون وان مصانع الثلج

تعمل بالليل والنهار وأن أصحاب عربات الخيل تنقل السردين من المراكب الى أماكن التخزين وأن البترجى وهو صانع البرميل يجد مجاله ونشاطه وان تجار الملح يملأون مخازنهم ثمبعد ذلك كله فان فريقا كبيرا من الشباب العاطل فى رشيد يمتهن بيع السردين والمساعدة فى النقل والتسويق . ولا تنسى قبل كل ذلك أن هناك مهنة منفصلة بذاتها تتبع صيادى السردين تلك المهنة هى صناعة المراكب وتجهيزها . كما لاتنسى أن هناك مهنــة اخرى تتبع صيادى الأسماك ولازمة من لوازم هذه الصناعة هى صناعة (الغزل الصيادى) ذلك الغزل الذى يختص بصيد السردين بالذات — وتقوم بهذه الصناعة نساء وفتيات رشيد . ومن هنا كانت النساء والفتيات ينتظرون بفارغ الصبر هذا الموسم العظيم لتشترىكل واحدة منهن ملابسها وحليهــا .

والسردين فى رشيد هو الموسم الذى يعم بخيره عامة أهالى رشيد لما ذكرنا آنفا فان موسم الأرز والبلح والموالح فانها تمس من قريب فئــات محددة من التجار أما السردين فانه يعم الناس جميعا بخيره وبره .

والسردين نوعان — نوع مبروم وهى السردينة الكبيرة التى بداخلها عامود من الدهن وأخرى مفطرة وهى السردينة المبططة الصغيرة وأحيانا تكون سمينة — وطريقة تمليح السردين كما هى فى رشيد أن يوضع السردين مخلوطا بالملح الخشن المجروش فى برميلات أو بتاتى وتغطى بعد ذلك بثقالات من الطوب وتترك حتى تباع .

وقد جاء حوالى عام ١٩٣٠ وقت تعب فيه الصيادون من كثرة السردين فتركوه . وضاقت المخازن وتعذرت العبوات فلجأ التجار الى مخــازن مفتوحة يلقون السردين مخلوطا بالملح على الأرض بدون فوارغ — ومثل هذا العام لم تره رشيد الى اليوم .

ويهبط الى رشيد جمهور كبير من تجار السردين والفســيخ من شتى انحاء البلاد يشترونه ويذهبون به الى بلادهم والى المواسم الكبيرة كموسم سيدى أحمد البدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى .

وجدير بالاثبات أن المراكب التى كانت تقوم بصيد السردين فى النصف قرن الأخير مراكب شراعية تستخدم المقاديف عند الحاجة وتشد اللبان عند اللزوم وهى صغيرة الحجم بالنسبة للمراكب الجديدة التى زودت بماكينة ديزل ومساحة اكبر تتسع لجهد ونشاط كبير ويتراوح ثمن المركب

مابين ثلاثـــة آلاف الى أربعد آلاف جنيهـــا وتســـتخدم حوالى عشرة من الملاحين وبعد بناء السد العالى توقف الفيضان وعليه لم تعرف رشيد السردين بعد عام ١٩٧٠ الى الآن .

العطـــور :

منذ مائة سنة قامت فى رشيد صناعة اشتهرت بها رشيد وهى صناعة العطور — وقد بدأت هذه الصناعة فى رشيد سيدة تسمى الحاجة أمينة الشنية ثم ورثها فى هذه الصناعة الحاج محمد اليسى المنوفى .

وتتلخص صناعة العطور فى الاستفادة من ورق الررنج فى استخراج عطر الزهر — وفى استخراج العطر من زهر العتر والنعناع من النعناع وايضا الفلية وتستحضر من الفيوم .

وتمتاز هذه الصناعة بأنها تقوم على عملية تقطير ولا يدخل فيها عملية غش تجارى من نوع استعمال دهن الزهر مع المـــاء الساخن ويكون ذلك زهرا ولكن العملية بقيت من أول أمرها الى نهايته يعتمد على التقطـــير فقط مما أكسبها شهرة فى جميع البلاد ومما جعل لها سوقا رائجة بـــين الأعيان والوجهاء فى كل بلاد مصر والخارج — فلم تكن الروائح العطرية قد بدأت تظهر فى الأسواق بالصورة الحديثة كما هو معروف عن روائح الشبراويشى مثلا وكان الزهر والعتر والورد والفلية هى الأنواع الشعبية المعروفة لدى الناس ولا سيما أن هذه الأصناف تستعمل بكثرة فى الحفلات والأفراح حينما يضاف الزهر مثلا الى المـــاء المثلج وحينما يضاف الورد الى الحلويات فيكون لها طعما ورائحة .

وفى الموالد يكثر انتشار هذه العطور بأعتبار ان كل المشاهدين ينثرون على الناس فى الطريق وحين مرور مواكب الموالد ينثرون هذه العطور بصفة تحية من زجاجات لها سدادات مفتوحة ، فيكون لهذه الروائح اثر كبير فى نفوس الناس ويكون لها بهجة وفرحة فى نفوس الأطفال الذين يستعملون هذه الزجاجات .

كما استطاع القائمون على صناعة العطور . من اســـتخراج زيت (حبة البركة) وزيت « الكمون » وزيت « السـوداني » الذى كانـــوا يستعملونه فى علاج مرض السكر .

كما يكون من المفيد لرشيد لو عملت على تجديد هذه الصناعات بصورة أرقى وأوسع وان يعمل على انتشارها فى الأسواق لتأخذ سبيلها الى التركيز والاستمرار وليكون لها مركزا ثابتا يعتمد عليه وتستخدم فيـــه بعض الأيدى العاملة .

اللحـــــوم :

تعود أهل رشيد أن يكون طعامهم على الدوام طازجا فهم لايستعملون الأطعمة المحفوظة الا نادرا مثل اللحم المجفف والأسماك المعبأة حتى انهم كذلك لا يستعملون البقول الجافة مثل الفاصوليا واللوبيا ذلك لأن جميع اللحوم والأسماك والخضروات موجودة فى رشيد طازجـــة وباستمرار وبالطبع فهى أرخص من المـــأكولات المحفوظة .

لهذا عنى أهالى رشيد عناية خاصة بأنواع طعامهم ومن هنا أيضا يهتم التجار فى رشيد بتقديم أجود وأنظف أنواع المـــأكولات ، فان الرشيدى لن يتقدم الى أى تاجر لايعتنى بهذه الناحية .

وأول مايلفت النظر فى رشيد هى محلات الجزارة ، فانه سيلفت نظرك أنواع اللحوم المعروضة فى محلاتهم وقد يلجأ احـــدهم الى عرض نوع الذبيحة فى الشوارع قبل ذبحها ليلفت النظر اليها ، وهذا أيضا من نوع التنافس بين الجزارين كما انه أيضا من نوع الترغيب ــ والجزارة فى رشيد معروفة للأهالى وهم متأكدون من انها سليمة ونظيفة واذا اضطر أى جزار أن يذبح خارج السلخانة أو المجزر فانه لايســـتطيع بيعها فى رشيد لأن خبر هذه الذبيحة سوف ينتشر فى رشيد ولكنه على كل حـــال يستطيع أن يجد لها مجالا خارج المدينة .

ويرجع الفضل فى امتياز نوع اللحوم فى رشيد الى عدة أسباب أهمهاــ فيما سبق كان يوجد بتفتيش أدفينا بجوار رشيد اكبر زريبة لتربية المواشى والأغنام من جميع الفصائل . وكانت رشيد تشترى حاجياتها من هـــذا التفتيش وكانت العناية بالغة فى تسمين ورعاية العجول والبقر والأغنام.

ولقد اعتبر بعض الأهالى فى رشيد تربية وتسمين العجول والأغنام من مصادر الربح ولهذا اهتم كثيرا من الأهالى بهذه التجارة حتى انهم اتخذوا من الحارات والمخازن مرابط للعجول وانتشرت هذه التجارة الى حين ــ ثم تعثرت لارتفاع ثمن العلف والعليق ثم جاءت التسعيرة فحدت من هذا النشاط .

أما الطيور فى رشيد مثل الدجاج والبط والحمام والارانب فانه يوجد فى رشيد سوق لتجارة هذه الأصناف وهذا السوق يطلق عليه (سوق الجمعة) نظرا لأنه يفتتح يوم الجمعة صباحا فقط ومكان هذا السوق هو قبلى رشيد .

وفى هذا السوق يعرض الأهالى ماعندهم من طيور للبيع فى نهاية كل أسبوع وهناك تجار يحتكرون هذه الأصناف حتى اذا تبقى أى شىء من السوق لم يتقدم أحد لشرائه فانهم يجمعونه ويصدرونه الى الاسكندرية .

والأهالى فى رشيد يهتمون بتربية الدواجن والبط فى منازلهم فقلما تجد بيتا ليس فيه عش لتربية الطيور والنساء فى رشيد لهن خبرة ممتازة فى التربية والعلاج ويحرصن على عملية فقس البيض وتربية الكتاكيت .

ويوجد فى رشيد من قديم معامل تقوم على عملية فرز البيض وترقيده بواسطة فراخات وقد اشتهرت عائلة كيلانى بهذه الصناعة وليس فى رشيد هوايات لتربية الحمام لأن منازل رشيد متقاربة وربما كان ذلك موجودا فيما سبق ولكن أكثر الحمام يشترى من الأرياف المجاورة لرشيد.

الطيور البرية .. والطيور المائية :

تعتبر رشيد من الشواطىء التى يغمرها الطير البرى مثل السمان والقمرى والعصافير وهذه الطيور صغيرة تأتى فى موسم الصيف من أوربا عابرة البحر الأبيض ، وطيور البر هذه تفرخ فى فصل الشتاء فى تركيا وجنوب بولندا ، ثم تجد فى طلب جو مناسب لها فتدفعها الرياح حتى سواحل مصر الشمالية فتصل اليها فى سبتمبر أو اكتوبر وهى تقوم برحلتها الأخيرة ليلا ــ فتصل الى الساحل فى الفجر منهوكة القوى لاتكاد تستطيع الارتفاع عاليا . ويكون الصيادون قد نصبوا شباكهم واقفة على بعد بضع مئات من الأمتار من الساحل فتقع فيها هذه الطيور ــ ولا تستطيع فكاكا ، ومن ثم يلتقطها الصيادون من الشباك ، حيث توضع فى أقفاص بشكل معين ــ وتباع حية فى الأسواق .

أما الطيور التى تخطئها الشباك فانها تواصل رحلتها الى جنوب أفريقيا حيث تفرخ وتتكاثر وتنمو ثم تعود مع الربيع شمالا ــ فتحط بكثرة فى الجهات الزراعية من الساحل مثل مريوط حيث يزرع الشعير .

أما الطيور المـائية فانها فى الواقع لاتهبط ن رشيد ولكنهـا تعرف طريقها فى بحيرة ادكو ــ وبحـيرة المنزلة ، حيث تعيش وتتغـذى من الحشائش التى تغطى جزءا كبيرا من البحيرة . ومن اهم الطيور التى تصاد فى بحيرة ادكو والمنزلة البجع والشاروش . والبابول والشرشير والحفنارى والواق والشهرمان والفرنوق واللقاط وغيرها كثير .

وهذه الطيور ليست محلية وانما هى طيور رحالة ، مواطنها الاصلية جنوب أوربا وجنوبها الشرقى ــ وهى تهجر هذه المواطن فى فصل الخريف سعيا وراء الرزق والقوت ــ بعد أن تكون قد أفرخت وكثر عدد فراخها فتدفعها الرياح الشمالية والشمالية الشرقية الى الجنوب ، فتعبر البحر الابيض المتوسط فى أسراب حتىاذا ماوصلت الى أعشاب البحيرة وصلت اليها منهوكة القوى ظامئة جائعة فتتغذى بصغار السمك والنباتات المائية ويبدأ موسم صيدها فى أواخر الخريف ويستمر الى أواخر الشتاء .

وأحيانا تصاد هذه الطيور حية بالشباك التى تطرح عليها ، وأحيانا تصاد باطلاق النيران عليها حيث يلقى الصيادون فى المـاء بنماذج خشبية تشبه الطيور تماما ، فتطفو على سطح المـاء ويظنها الطير طيرا مثـله ــ فيتجمع حوله ــ فعندئذ يطلق الصـيادون نيرانهم فتصيب ماتصيب ثم يعود أحد الصيادين لجمع الطيور المصابة وانكثيرا من الهواة والموسرين فى العهد الماضى ولا سيما الأمراء السابقين لهم (لبدات) يحجزونها ليصيدوا منها أنواع البط ويتبارون فى هذا النوع من الهواية .

ويحدثنا المعمرون من أهل رشيد أن نسبة الطيور التى تهبط البحيرة الآن تقل فى كل عام عن العام السابق وأعتقد أنها فى أعوام قليلة ستصل الى نسبة لاتكاد تذكر ذلك لأن بحيرة أدكو كادت تجف كلها وتصبح أرضا زراعية تستغل فى الزراعة . أما الأراضى الشاسعة التى كانت أحراشا والتى تقع بجوار بحيرة المنزلة وخلف برمبال فان الاصلاح الزراعى قـد بدأ استغلالها وأصبحت مشغولة بالمزارعين والحركة مما يتنافى مع اقامة هذه الطيور .

ان هجرة الطيور ليست بسبب البرد وقلة الغذاء كما يتصور اكثر الناس أن تركيب المخ فى الطيور يعارض ذلك ــ ان الطائر لايدرك الخطر الذى يتهدده من البرد ولذلك فهجرته نوع من السلوك الغريزى اكتسـبه

نتيجة استعداد وراثى يستيقظ كل سنة فى أوقات خاصة متأثرا ببعض العوامل الخاصة فيبدو على الطائر فى شكل اضطراب وحركة كثيرة .

ويقولون فى تفسير الهجرة أن الطيور كانت تقيم فى البداية فى أماكن متسعة وكان مناخها فى ذلك الوقت ملائما — ويقولون ربما كانت الهجـرة نشأت تدريجيا لمواجهة تغييرات جوية بطيئة حدثت بالتدريج وجعلت هذه المناطق غير ملائمـة لحياتها — وقـد يكون هذا هـو العصر الثلجى فاضطرت كل هذه الظروف القاسية الطيور الى الهجرة .

وبالرغم من كل هذا الكلام فالعلم لم يكتشف بصفة قاطعة كيف تعرف الطيور طريقها أثناءهجرتها — ولكن المعترف بهأن الطيور قوية الابصار — وان هجرة الطيور ظاهرة من ظواهر الطبيعة الفذة واحدى عجـائب الحياة) نقل من جريدة الأهرام فى ١٩٦١/١٢/١١ العدد ٢٧٣٩٢ .

المصـــابغ :

اشتهرت رشيد الى منتصف القرن التاسـع عشر بفن الصـباغة — صباغة الملابس ومهمات الجيش — وكانت النيلة هى المادة الأساسية فى عملية الصباغة تستورد من الخارج من بلوخستان والتركستان وكانت تجارة كبيرة ورابحة ومن أعظم التجارات الموجودة فى هذا الوقت — وقد فكر محمد على باشا فى زراعة النيلة فى مصر طمعا فى الحصول عليهـا والاستفادة من أرباحها .

وعند تقدم العلوم تقدمت مواد الصباغة التى كانت تعتمد على الأصناف القليلة مثل (الارد + قشر الرمان + النيلة + التفته) .

ولقد كان فى رشيد عدد من المصابغ المنتشرة فى أنحاء المدينة وكانت طريقة الصباغة تعتمد على آبار أى خوابى تحت عمـق ٢ متر مربع فى الأرض ويغمس فيها القماش المراد صباغته ، وكانت المصابغ المشهورة فى رشيد آنذاك هى :

- مصبغة الحاج عبده الهتمى .
- مصبغة الحاج رجب أبو زيد .
- مصبغة الحاج محمد سنارة .
- مصبغة السيد / محمد الجبارتى .
- مصبغة السيد / حسن الباسل

مصبغة الحاج محمد أبو عجلة .
مصبغة الحاج أحمد أبو زيد .
مصبغة الحاج محمد ختر .
مصبغة السيد / أحمد الباسل .
مصبغة السيد / محمد الصعيدى .

والآن وقد خلت رشيد من اية مصبغة بفعل تقدم هذه الصناعة ، فضلا عن تقدم صناعة الأقمشة والملابس التى تأتى مستوفاة على أحدث ماعرف من فن الصباغة والألوان فلم يعد هناك حاجة الى هذه المصابغ ــ اللهم الا أنه يوجد فى ادكو بعض المصابغ لصباغة الغزل والقطن وبعض الأقمشة الشعبية التى تسمى بأقمشة ادكو .

النخيل ــ والبلح :

حين تطالعك رشيد وأنت مقبل عليها سوف تأخذ بلبك هذه البساتين التى تملأ الأرض وأشجار النخيل الباسقة التى كأنها النجوم تنعكس على صفحة الأديم ــ تلك الأشجار اليانعة التى تزرع الارض فى اتساق ونظام بديع على مسافات كبيرة ومساحات شاسعة هى النخيل .

هذا النخيل هو ثروة رشيد ومصدر من المصادر الرئيسية بها ــ وانتاجه من البلح يملأ الوادى وينتقل الى كل مكان ــ وأشهر أنواع البلح فى رشيد نوعان الزغلول والسمانى ــ والبلح الزغلول هو النوع الممتاز الذى يقبل عليه الناس بكثرة غير أنه محدود . وهناك تنافس بين ادكو ورشيد فى مصدر تسمية البلح الزغلول بأنه رشيدى .

فان أهل ادكو ينسبون هذا النوع من البلح الى تربتهم ويعتزون بذلك فقد جاء فى كتاب ادكو لصاحبه الأستاذ محمد محمود زيتون ما يأتى :

البلح الزغلول يسمى فى بلاد الحجاز (الشلبى) وقد زرع بادكو منذ مائة سنة فقط ــ وكانت الكروم تزرع بكثرة فى ادكو فلما زرع الزغلول قضى على الكروم شيئا فشيئا . ويقال ان ادكاويا اسمه (زغلول) جلب هذه النخلة من بلاد الحجاز من بلدتى (الحمراء) و (الصفراء) المجاورتين للمدينة المنورة ــ أما السمانى فانه أقدم من الزغلول فى ادكو وجلب اليها من البلدتين الحجازيتين السابقتين ويسمى هناك (السكرى) .

ويقول فى كتابه أيضا أما البلح الزغلول فليس بالرشيدى .. وانما هو ادكاوى وسمى بالرشيدى لغلبة شهرة رشيد على ادكو فى العمران فقط.

ولست بصدد التعليق على هذا الكلام ويكفى أن نقرر أن البلح الزغلول الذى تقوم زراعته فى ادكو ورشيد أصله قد استجلب من المدينة المنـــورة وفى هذا الكفاية — بقى بعد ذلك أن نشير الى أن الأرض الرمليـــة التى تكثر فيها نسبة الحديد والتى يزرع فيها النخيل لها أهمية كبرى فى نوع البلح وطعمه . وهناك أنواع كثيرة من البلـــح المعروف مثـــل بلح بنت عيشة — عرابى — نصر الدين — صوابع زينب — أمهات . وهذه اشهر انواع البلح فى رشيد .

ويهتم أهالى رشيد وادكو بعمل المربى من البلح السمانى وتحفظ وتقدم للضيوف وفى بعض الأحيان يجفف البلح الرطب مثل بلح بنت عيشـــــة واحيانا يشوى فى الفرن ويحفظ أيضا لمدة طويلة من السنة .

ومن منتجات النخيل فى رشيد تقوم صناعات كثيرة متعددة .. فقبـــل أن تعرف الجوالات المصنوعة من الخيش الهندى الكتان كانت رشيد تعتمد فى تصدير الأرز الى تركيا والشام وغيرها على عبوات من خوص النخيل تسمى (زنابيل) وكانت هذه الصناعة واسعة وتحتاج الى عمال كثيرين. ولا تزال هذه الصناعة موجودة فى رشيد حيث تستعمل الزنابيل حاليـــا فى تعبئة البطاطا والبطاطس وبعض الأصناف الأخرى .

وتقوم هناك صناعة أخرى من الخوص وهى عمل مقاطف صـــغيرة لحاجيات الناس فى العمل فهى كانت تستعمل بدل شـــنطة فى السفر — وهناك مقاطف تسمى الأسفاط وتعمل خصيصا ليوضع فيهـــا الخبز فى فى المنازل وان أهالى الجدية فى رشيد متخصصون فى عمل هذه الأسفاط وتصنع هذه غالبا من الخوص الأبيض .. وقد أشرنا فى غير هذا المكان الى أن رشيد برعت فى عمل خوص الطرابيش أيام الحرب الثانيـــة من نفس نوع الخوص الأبيض المرن . كما كان يصنع من هذا الخوص آلاف العبوات الصغيرة التى يباع فيهـــا (الحمص) (الحـــلاوة الحمصية) (حب العزيز) فى جميع الموالد الشهيرة .

ويصنع من الخوص أيضا ما يسمى (شلق) وهو عبارة عن خوص يشقق ثم يجدل حتى يصير الشلق كالدوبارة يخاط به الزنابيل فى العهد المـــاضى وقد استعيض اليوم بالدوبارة بدلا منه .

ويصنع فى رشيد اليوم من ليف النخيل مايسمى بالحبال الليف كما يستعمل الليف الأبيض فى الاستحمام وغسيل الأوانى .

أما الجريد أو الغصن فانه بعد تجريده من الخوص أو السعف فانه وحده تقوم عليه فى رشيد صناعة من اكبر الصناعات وهى صناعة الأقفاص وقد أفردنا لها بابا خاصا .

مصنع تجفيف وتعبئة البلح

يتطلع اهالى رشيد من قديم الى امكانية اقامة مصانع مختلفة لتطوير المجتمع الرشيدى وخاصة بعدما انقرض كثير من الحرف ، ومن منطلق هذه الآمال تكونت (الجمعية التعاونية لتصنيع وتسويق منتجات النخيل) عام ١٩٥٨ وهذه المنتجات من نفس البيئة حيث يوجد فى رشيد أكثر من نصف مليون نخلة .

وبدأت الجمعية فى الاتصال بذوى الخبرة لانشاء مصنع لتجفيف البلح حتى يصير (عجوة) وفعلا تم انشاء المصنع بأحدث المنشآت والمعدات وتشغيله عام ١٩٦٣ على أرض مساحتها خمسة أفدنة ، ولكن بالتجربة اتضح أن نسبة الرطوبة فى البلح الرشيدى (الحيانى وبنت عيشة) تصل الى ٦٠٪ مما يجعل المشروع لا يحقق الغرض منه اقتصاديا فاتجه المصنع الى شراء واستيراد البلح النصف جاف من الجيزة وسيوة والعراق ، وان كان هذا يسبب أعباء اضافية ، الا أن المشروع قد تجاوز العقبات وبدأ يحقق أرباحا ويغطى مرتبات وأجور لحوالى مائة من الموظفين والعمال ، وبدأ المصنع فى التوسع والاعداد لعمل وحدة معلبات حديثة .

وان كانت رشيد قد حققت هدفا واحدا حين تم تشغيل مائة من ابنائها — ولكنها فقدت استغلال منتجات نخيل بلدها — وانتقل المصنع بعد ذلك من اشراف وملكية (الجمعية التعاونية لتصنيع وتسويق منتجات النخيل) الى « شركة النصر للأغذية المحفوظة « قها » » .

الرمال السوداء :

منذ سنين عدة .. أيام كان للانجليز سلطان ونفوذ اكتشفوا فى رمال سواحل رشيد (الرمال السوداء) واحتفظوا لانفسهم بسر هذا المنجم

وكانوا يستخلصون من هذه الرمال الحديد ـ الصلب ـ اليورانيوم وغير ذلك من المعادن ، وكانوا يصدرونها للخارج للصناعة باعتبار أنها انواع تستخدم فى عمل البويات ويقصدون من هذا تضليل الفنيين من الشعب والحكومة .

حتى أنتهت هذه الأيام السوداء أيام الاحتلال واصبحت خيرات الأرض لأصحابها الذين حرموا منها زمنا طويلا ـ وانشئت على اثر ذلك مايسمى (شركة منتجات الرمال السوداء) ومقرها حجر النواتية باسكندرية . وتتلخص عملية شركة الرمال السوداء فى رشيد باعتبارها (منجم) من بوغاز رشيد الى سيدى يوسف شرقا والى الطابية غربا .

والفكرة تتلخص فى أن ماء النيل فى أيام الفيضان يأتى محملا بالطمى وهذا الطمى يحتوى على الخامات السابقة الذكر ـ فحين يختلط مـاء النيل بماء البحر الأبيض المتوسط وهو ماء مالح فأن هذا الطمى يتحلل وينفصل عن الماء وتأخذه الأمواج وتقذف به الى شاطىء البحر باعتباره مادة ثقيلة ، وهذه المادة تترسب بكثافة أحيانا الى ٥سم فوق الشاطىء ، وهذه المادة هى التى تسمى الرمال السوداء وهى التى تحتوى على أكثر من عشر مركبات . منها عنصر أوكسيد التيتاينوم ـ ومستخرجات العلوم الذرية .

وتحمل الرمال السوداء من رشيد الى الاسكندرية كخامة فقط وهناك فى شركة منتجات الرمال السوداء باسكندرية تقوم عملية فصل المواد بعضها عن بعض وتدخل الخامة بعد ذلك فى الصناعة .

كما يلاحظ أن رمال رشيد الواقعة فى غرب رشيد وفى تلال (أبو مندور) غنية بهذه الخامات أيضا ولكن من الصعب تحليلها .

صناعة الاقفاص :

بدأت هذه الصناعة فى رشيد خلفا لصناعة المقاطف التى اشـتهرت الى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ولاتزال صناعة المقاطف موجودة فى رشيد ولها طلبات فى أسواق كثيرة ، ولكن وجود الخيش المصـنوع من الكتان قد تقدم على هذه الصناعة .

وبدأت صناعة الجريد فى رشيد منذ القدم وهى فى استطراد متصـل وخصوصا بعد أن برع عمال رشيد فى معرفة مقاسات العبوات الخاصة

لكل صنف من اصناف الخضار والفاكهة ، فان الاقفاص الخاصة بالبلح تخالف الأقفاص الخاصة بالجوافة والأقفاص الخاصة بالكوسة والاقفاص الخاصة بالفراخ وهكذا ومما زاد فى نشاط هذه الصناعة ترخيص الحكومة بتصدير الموالح والخضروات الى الخارج فأصبحت الأقفاص المغلفة بالورق اوفر واصح من الصناديق الخشبية التى تكلف صاحبها الكثير والوزن عند الشحن ..

ولما اتسعت هذهالتجارة والصناعة أصبح لأهالى رشيد رحلات فى جميع أنحاء القطر يستجلبون الجريد من كل البلاد بالمراكب أوالسيارات وكثير من تجار رشيد يشترون هذه الأقفاص قبل المواسم وتخزن عندهم وتباع فى الموسم بسعر أعلى .

وطريقة صنع الأقفاص لم تتغير منذ نشأت للآن فهى طريقة فردية وصناعة يدوية لاتعتمد على ماكينات ومن هنا استوعبت من شباب وأطفال رشيد أكثر من ثلاثة آلاف عامل وهى أكبر صناعة فى رشيد الآن. والآلات التى تستعمل فى هذه الصناعة قليلة هى السدر والمسيف والثقيلة والخفيفة والأرمة وليس فيها عدة يصعب عملها سوى (اللقط) وهى عبارة عن ماسورة مثل السلامية ويقوم على صناعته ويحتفظ بسر مهنته عائلة فى رشيد تسمى الشكلاوى .

ومن عيوب هذه الصناعة أنها تستخدم الأيدى وأصابع الأرجل ولابد للعامل أن يجلس القرفصاء طول النهار وأكثر الليل لأنها صناعة الأجر فيها بالانتاج ، وهذه الجلسة مع اعتبار الأماكن غير صحية والاضاءة غير كافية تؤدى الى عجز فى نمو العامل وضعف فى صحته وانت لاترى احدا من هؤلاء الا وتلاحظ عليه هذه الآثار .

وليس لجماعة القفاصين وهم عدة مئات ولا لأى جماعة فى رشيد نقابة تشرف على مصالحهم وترسم لهم سبيلا يعوض عليهم ما يضيع من شبابهم . اللهم الا اخيرا عند دخول مؤسسة التأمينات الاجتماعية عام ١٩٥٨

مسطحات ومزروعات .. رشيد :

يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب فى كلمة نشرت له بجريدة الاهرام فى ١٩٥٣/٣/١٨ وارى أن ثغر رشيد ينطبق عليه وصف أمير مصر موسى بن عيسى لمنطقة الرصد جنوبى الفسطاط فهو :

ميدان رهان ــ وجنان نخل ــ وبستان شــجر ــ ومنازل سكن ــ ونهر عجاج وأرض زرع ــ ومراعى ماشية ــ ومرتع خيل ــ وســاحل بحر ــ وصائد نهر ــ وملاح سفينة ــ ومأوى ابل ــ ومفازة رمل .

هذه هى حقيقة رشيد فقد توفرت فيها كل تلك الصفات التى يلحظها قاصدها منذ خروجه من الاسكندرية وحينما يتجول فى أنحائها .

وليست رشيد وليــدة أو جديدة فى الزراعة فانها عريقة فى الانتــاج الزراعى ولها فى الماضى ذكر وفى الحاضر جهد كبير فى التوسيع والتنويع ، فان تربتها حية قوية يغمر ماء النيل أرضها ويجرى من تحتها ويمدهــا بطميه وخيره .

وحين اقول رشيد فانما اقصد رشيد بوصفها مركز رشيد وما يتبعها من نواحى . ونواحى رشيد كما هو معروف ثمان عشرة ناحيــه حسب الأسماء الجديدة والقديمة ــ فرشيد وبرج رشيد كانت أصلا بلدا واحدا ثم قسمت الى ناحيتين وذلك حسب قرار الفصل المالى والادارى الصادر فى عام ١٩٦١ . والآن أصبحت رشيد قائمة بذاتها .

وتفتيش أدفينا قيمته ١٧٣٩١ فدانا وزع منهم على المنتفعين بقانون الاصلاح الزراعى اعتبارا من عام ١٩٥٩ ومازالت هناك قطع باقية بدون توزيع يقوم الاصلاح بزراعتها لحسابه بعضها يزرع ربيع للمساعدة فى تربية الأبقار وبعض الأراضى مؤجرة للأهالى .

ونواحى تفتيش أدفينا أصلا كانت غراقة تغمرها المياه ويخرج فيها البوص والهيش واستصلحت وتم تقسيمها بواسطة مصلحة المساحة .

ويجود بأرض أدفينا القصب ــ وبأراضى التفتيش يجود زراعة الفول وتمتاز بزراعة الشهد (كيزان العسل) وكذا الخيار خاصة الخيار النيلى.

أما رشيد وبرج رشيد فيجود فيها زراعة النخيل والجناين التى تزرع البرتقال واليوسفى والموز والجوافة والعنب الزاحف الأسمر والبطيخ والمنص ، ويتخلل أراضى النخيل بعض الخضروات وأهمها الكوسة والقرع وكثيرا مايصدر الى الخارج . وتجود هذه الأراضى ايضا بزراعة السمسم والبرسيم فى موسمه والفول السودانى والقمح يزرع منه فى رشيد حوالى ٣٠٠٠ فدان أما الأرز فهو يزرع على جانبى السكة الحديد فى مساحــة قدرها ٢٠٠٠ فدان .

بيـــان زمام الأراضى الزراعية والبور

الناحية	الزمام الكلى	الزمام المنزرع بما فيه الأراضى الرملية	البور القابل للزراعة	البور الغير قابل للزراعة	المنافع العامة
برج رشيد	٣٩٦٢	١٥٥٠	١٦٨٨	٥٣٤	١٩٠
رشيد	٩٩٧٣	٢٨٨٥	٢١٥	٦٥١٨	٣٥٥
الجدية	١٠٤٩٥	٢٧١٣	١١٤٥	٦٤٦٠	١٧٧
الحماد	١٣٩٥	٩٥٢	٢٨٧	٠٠	١٥٦
الشماسمة	٦٢٧	٥٧٣	٠٠	٢	٥٢
محلة الأمير	١١٢٢	٨٠٨	٠٠	٠٠	٣١٤
دیبی	١٢٥٣	١٠٦٢	٠٠	٠٠	١٩١
أدفينا	١١٤٤	١٠٨٣	٠٠	٠٠	٦١
دبيونو	١٨٨١	١٥٣٣	٣٠٠	٠٠	٤٨
ادکو	٤٤٤٣١	١١١٧٦	٣٥٤٩	١٠٠٠٠	٢٨٧٠٦
الاصلاح الزراعى	٢١٢١٤	١٧٣٥١	٩٦٠	٠٠	٢٩٠٣
مزرعة أدفينا بالبوصيلى	٣٩٩	٣٣٦	٤٧	٠٠	١٦
مزرعة بساتين أدفينا بالبوصيلى	٣٥٣	٢٣٧	٥٠	٠٠	٦٦
الشركة المصرية بدبيونو	٥٤٨	٣٥٠	١٧٤	٠٠	٢٤
كلية الطب البيطرى	٢٧	٩	٠٠	٠٠	١٨
شركة النهضة بادكو	٣٩٤٤	٣٢٩٠	٠٠	٠٠	٦٥٤
اجمالى المركز	١٠٢٧٦٨	٤٥٩٠٨	٨٤١٥	١٤٥١٤	٣٣٩٣١

أما الخضروات التى تزرع فىمنطقة مركز رشيد فمنها الكوسة ــ البامية الحميض ــ السبانخ ــ الرجلة ــ الخبيزة ــ الطماطم بجميع انواعها ــ القلقاس ــ الباذنجان ــ الملوخية ــ كرنبيت ــ البطاطس من عهد قريب ــ لفت ــ جزر ــ فلفل أخضر ــ البصل .

أما حب العزيز الذى تشتهر رشــيد بزراعته فمن المعروف أن الذى جاء بالبذرة هو محمد على باشا وكانت تربة الجدية ورشيد أصلح تربة رملية يزرع فيها حب العزيز زراعة صيفية فهــو من البذور التى تنبت داخل تربة الأرض فى رمال رخوة ثم يقتلع منها ويغسل . ويستعمله أهل رشيد فى عمل مشروب السوبية ثم يباع فى الموالد والحفلات .

طريقة الـــرى :

يغذى تفتيش ادفينا ماكينة رى موضوعة على النيل والمسماة بماكينة فزارة ــ ويغذى ناحية الساحل من الشرق ماكينة تأخذ المياه من ترعــة الرشيدية والمسماة بترعة الخاصة الملكية وهى موجودة بطريق الحماد .

أما جميع نواحى رشيد فهى تعتمد فى ريها على ترعة الرشـــيدية .. أما ناحية ادكو فيعتمد الجزء الموجود بالبوصيلى والجزء الموضوع الآن فى حيازة الاصلاح الزراعى على ترعة ادكو ــ وجزء من ادكو ويسمى دبونو يعتمد فى ريه على ترعة هللوته وجارى الآن شهر مشـــاريع رى وصرف للمساعدة فى استصلاح الأراضى البور .

الليمون البنزهير :

تشتهر رشيد بزراعة الليمون البنزهير وهو يمتاز عن سائر الليمون ان له رائحة جميلة وله بشرةخشنة محببة وماؤه حار ، وانكانت شبرابخوم مركز قويسنا لهـــا نفس هـــذه الميزة ، (وناحية أخرى فى اليوم) ، غير ان ليمون رشيد له خصائص أكثر ..

ولقد فكـــر كثير من الزراعيين ان يستفيدوا بطريقـــة لحفظ الليمون البنزهير الى فترة أكبر من الزمن ولا تزال التجارب والحيل تراود بعض العقول ولعل فكرة تحقق هذا الأمل ان شاء الله .

وان كان بعض الأهالى يحتفظون بعصير الليمون كما يفعلون بعصير الطماطم مثلا ــ ويعتبر الليمون فى منازل أهالى رشيد من المستلزمات

الضرورية فهــو يفيد فى حــالات المغص والتسمم والانفلونزا . وتقوم العائلات بتمليحه لمدة تقارب العام .

مضارب الأرز برشيد :

دخلت صناعة ضرب الأرز فى رشيد فى عهد الوالى محمد على باشا ، حيث استحدثت زراعته فى أرض مصر بواسطة رواد من تركيا ، وكان أول زراعة الأرز فى منطقة رشيد مع زراعة (الحب عزيز) ولهذا فقــد أقام الوالى محمد على باشا عدة مضارب للأرز فى رشيد لايزال بعضها قائما للآن على شاطىء النيل والبعض الآخر الذى كان يجاور (مسجد زاوية الباشا) قد هدم واقيمت مكانه مساكن اهلية .

وطريقة ضرب الأرز فى مضارب رشيد يومذاك ــ كانت تتم على هذه الصورة : تاتى المراكب الشراعية محملة بالأرز الشعير كما هو بدون أية تعبئة ، وترسو أمام المضارب ويأتى الحمالون وهــم ما يطلق عليهــم (الزامة) كناية عن نقابة الشيالين .. ولهم نظام فى العمــل والتكافل ، يقوم هؤلاء بنقل الأرز الشعير من المراكب الى المضارب سواء القريبة أو البعيدة بواسطة زنابيل فتراهم فى صورة (النمل) حين يتحرك ذهابا وايابا وترى بعض الأطفال ومعهم مكانس يدوية يجمعون الأرز الشعير الذى يسقط من الشيالين فى طريقهم الى المضارب ويأخذونه لأنفسهم .

وتقوم المضارب بوضع هذا الأرز الشعير على مساحات واسعة من الأرض تسمى (مناشر) حتى يتعرض لأشعة الشمس مما يساعد فى عملية تقشير الأرز . ثم ينقل الأرز الشعير الى طاحونة تقوم بتقشـــير الارز وتفصل الأرز عن السرس ، ثم يحول الأرز الى صندوق كبير بواســطة مزراب الى برك او مايسمى قــادوس ، تسقط عليه (لاط) وهى عبارة عن عمود باسفله اسطوانة حديدية على هيئة مخروط مدبب ، يرتفع ويسقط بواسطة خوابير علوية يقوم بعملية تبيض الأرز فيتخلف عن ذلك مايسمى الجرمــة والرجيعة ، ثــم يعاد الأرز الى دولاب بــه ميزاب الى الدواليب للغربلة وعزل كل صنف على حدة .

وفى نهاية التصنيع يضاف للأرز مــادة حافظة أحيانــا تكون الجبس وأحيانا يكون الملح ثم يعبأ فى زنابيل أو أجولة ويكتب عليه اسم المضرب ونوع الأرز . ويقال ان وجود الملح أثناء ضرب الأرز يقوم بعملية تجلية وتلميع .

وكانت رشيد من اهم البلاد التى تقوم بتصدير الأرز الى بلاد الشام واليونان بواسطة مراكب شراعية كبيرة يطلق عليها (سكونية) من ميناء رشيد ، وكان أهالى رشيد يصنعون من (كسر الأرز) المسمى بالدشيشى بعد خلطه بالقمـــح وخبزه (الرغيف الرشـــيدى) الذى اختفى تماما من منازلهم .. كما كان االأهالى يستعملون الجرمة والرجيعة فى تربيـــة الدواجن والبط والأوز الذى لم يكن يخلو منه بيت فى رشيد ، وقد حرموا هذا المصدر بعد تأميم المضارب عام ١٩٦٢ .

ماذا قالت كتب التاريخ عن صناعة الأرز :

يقول الجبرتى (المؤرخ) فى ١٢٣١ هـ سبتمبر ١٨١٦ م :

استمر التحجير على الأرز ومزارعه ، على مثل هذا النسق يقصـــد (النيلة) وهى مادة تستعمل فى الصباغة ، بحيث ان الزارعين المرهقين فيه لا يمكنون من أخذ حبة منه فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثمن ، ثم يخدم ويضرب ويبقى فى المداوير والمدقات والمناشر بأجرة العمال على طرقه ، ثم يباع بالثمن المفروض .

واتفق أن شخصا من أبناء البلد يسمى حسين جلبى عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهى التى يدقون بها الأرز ، وعمل لها مثالا من الصفيح تدور بأسهل طريقة بحيث ان الآلة المعتادة اذا كانت تدور بأربعة ثيران فيدير هذه ثوران ، وقدم ذلك المثال الى الباشا فأعجبه وأنعم عليـــه بدراهم ، وأمره بالمسير الى دمياط ويبنى بها دائرة ويهندسها برأيه ومعرفته واعطاه مرسوما بما يحتاجه من الأخشاب والحديد والمصرف ففعل وصح توله ثم فعل أخرى برشيد وراج أمره بسبب ذلك .

ومنها ان احد المضارب فى رشيد قد حدث به عطل فاستدعى لاصلاحه مهندس تركى اسمه (على اغا السيسى) وكان يعمل مهندسا فى الحوض الجاف باسكندرية فأقام فى رشيد وتزوج من أهلها .

سببا فاتبــع ســـببا :

ويقول الجبرتى ايضا — ومنها أن الباشا لمـــا رأى هذه النكتة من حسين جلبى عجوة هذا قال « ان أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف » فأمر ببناء مكتب بحوش السراية ورتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا ، وجعل معلمهم حسن افندى المعروف بالدرويش الموصلى ، يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المجهولات ، مع مشاركة شخص رومى يقال له روح الدين افندى وكذا أشخاص من الافرنج ، واحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الانجليز ، يأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة ورتب لهم شهريات وكساوى فى السنة .

واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسموه مهندس خانة ، وفى كل يوم من الصباح الى بعد الظهيرة ، ثم ينزلون الى بيوتهم ، ويخرجون فى بعض الأيام الى الخلاء لتعليم مساحات الأراضى وقياساتها بالاقصاب وهو الغرض المقصود للباشا .

مضارب الأرز برشيد :

١ — مضرب ارز الناضورى ثم طرابية ثم الحمادى .
٢ — مضرب الحاج محمد شهاب ثم الفساسى ثم الطيبانى .
٣ — مضرب جبرى ثم العمدة طبق ثم دومة .
٤ — مضرب علوان .
٥ — مضرب عبد السلام بدر الدين العنتبلى .
٦ — مضرب غانم ثم الطيبانى ومحمد عبد الحافظ .
٧ — مضرب محمد عجمية واسماعيل رمضان .
٨ — مضرب الحاج محمد الفرس .
٩ — مضرب برهم .
١٠ — مضرب مصطفى السيسى .
١١ — مضرب زكى ترك .
١٢ — مضرب الحاج محمد عرفة .
١٣ — مضرب الحاج محمد قبية .
١٤ — مضرب مرزوق .

١٥ — مضرب جبيلى وقناعه من الشـــام وباعـــوه الى مصطفى بك بدر الدين .
١٦ — مضرب سمعان وعلوان .
١٧ — مضرب محمد بك المغربى .

مصانع الدوبارة :

حينما كانت مضارب الأرز فى رشيد تصدر انتاجها فى زنابيل مصنوعة من الخوص كانت هناك فئة تحتكر خياطة هذه الزنابيل بواسطة خيط من الكتان مستورد من الخارج وكان عميد هؤلاء العتالين هو الحاج محمد العسالة ، وحينما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠ توقفت عملية الاستيراد وأصبح من الضرورى صناعة هذه الدوبارة محليا .

ففكر السيد مصطفى الخواجة فى انتاج هـــذا الصنف من الدوبارة واستطاع أن يستفيد بالقطن العادم المسمى عندنا (أصطبه) وفعلا تمكن من أن يشترى منه كميات وقام على صناعتها بواسطة دولاب من الخشب لبرم الفتلة ، الى أن تمكن من تحسين الصنف ومعرفة احتياجات الأسواق من الدوبارة المختلفة . وتم لعائلة الخواجة فى رشيد ملىء الأسواق المحلية بجميع أنواع الدوبارة والحبل ، وأمكن الاستغناء عن الحبل الذى كان يستورد من ايطاليا وأمكن لهم أيضا امداد الجيش المصرى والبحـــرية بجميع أنواع الحبال .

وخرجت الى السوق أنواع دوبارة للمكانس وخيط للمنجدين وخيط لف للعطارين ، ودوبارة ملونة للحلوانية .

واليوم تتطور هذه الصناعة حتى تصل الى صناعة غزل الصيادين على جميع المقاسات وتعتمد هذه الصناعة على الأيدى العاملة فليس فيها آلات ميكانيكية سوى الدولاب الذى أدخل عليه تحسين فأصبح يدار بالكهرباء حين أدخل مشروع الكهرباء فى رشيد عام ١٩٥٧ .

وقد أدخل فى رشيد فى نفس المشروع ماكينات تسريح الصوف ، فانه يؤتى بالصوف الخام فيمر بادوار منها الديبة وهى ماكينة تخـــرج زبل المواشى والمعلقات الغريبة من الصوف ثم يؤتى به بعد ذلك الى ماكينة التسريح فتخرجه ناعما نظيفا ، ثم يعود بعد ذلك الى مصانع للبرم ويعمل منه فى فوه ورشيد البطاطين والأكلمة والسجاد .

وانك لترى فى رشيد كثيرا من العمال يحتلون الشوارع الطويلة البعيدة عن العمران ويعملون فيها بالدواليب لبرم الدوبارة والخيط وخلافه .

واتسعت هذه المهنة اتساعا كبيرا .

النجـــــارة وبيوت الآثار :

تعتبر النجارة وفن العمارة والبناء من أقدم وأروع الصناعات فى رشيد، اذ انها الصورة الزاهية والباقية على عنوان هـــذه الحضـــارة وتكفى للدلالة على مدى ما كان يتمتع به أهالى رشيد واصحاب هذه المهنة من ذوق رفيع وابتكار فى الهندسة .

فأنت حين تشاهد هذه المنازل الأثرية وما حوت من بدائع الزخرفة والكاشانى والكتابة بالخط الكوفى والنسخ ، وهذه الشبابيك والمشربيات المصنوعة من خشب مخروط ركب بعضه فى بعض بدقـــة وبراعة على صـــور هندسية واشكال لطيفة ، فأنت ترى فى منزل الامصيلى شـــباكا فى مقدمة المنزل ، اذا نظرت اليه من الأمام ترى له شكلا وحين تراه من الخلف فسوف تراه على شكل أبريق ، ولسوف ترى أن صناعة هـــذه النجارة لا تعتمد على المسامير ـــ فالملاحظ أن المسامير لم تكن قد عرفت فى هذا العصر ، فأنت ترى الأبواب تتحرك على مزاليق وكذا النوافذ ، اما على مزالق واما على مجرى عرضى ، وترى الأسقف والدواليب المطهمة بالصدف وهذه المشربيات البديعة التى تراها بارزة وبأســـفلها فتحـــة لتساعد النساء على رؤية الغـــير دون أن يراهن أحـــد . اذ كانت روح الاسلام هى البارزة فى هذا العصر . وستجد فى هذه المنازل الشامخة مجالس للأنس والطرب والمغنى ، تصل اليها بســـلالم مسحورة خلف مصاريع الدواليب ، وقد نقشت مقدمة هذه السندرة وصنعت بالصدف وبأسفل كل منزل سوف ترى مصطبة للضيوف . وبأعلى كل منزل تجـــد شخشيخة على شكل قبة يدخل منها الضـــوء الى ســـاحة كل منزل ، وبأسفل الشخشيخة تجد نوعا من الرخام الذى لا يمتص ماء الشتاء ، بل ينساب منه المـــاء الى المزراب ، وفى منزل الامصيلى سوف تجد حماما للاستحمام على صورة راقيـــة بالنسبة لهذا الزمان وبجواره فرن لتسخين المـــاء ، وبعد الخروج من الحمام ستجد مصـــطبة (للتدليك) وبأعلى الحمام فتحات مغطاة بالزجاج تعطى ضوءا ورونقا .

وبكل منزل من هذه المنازل ستجد بأسفله (صهريجا) لحفظ المـاء فى أيام قلة المـاء المعروفة بـ (التحاريق) وقد ابتكر الأهالى فى هذا الزمان طريقة كى يرفعوا بها المـاء من الدور الأرضى الى الدور العلوى بواسطة دلو ينزل من فتحات موجودة بكل دور حتى يصل الى الصهريج .

ونظام هذه المنازل يقوم على أن الدور الارضى من المنزل عبارة عن مخازن للحبوب ومساكن للخدم ، وبجوار باب المنزل فتحة يقع خلفهـا الصهريج وتسمى هذه الفتحة سبيل للمـاء لكل انسان يريد أن يشرب من خارج المنزل — كذا يوجد بالدور الأرضى مخزن للزيوت والأطعمـة وفرن ومطبخ .

أما الدور العلوى فهو مخصص للرجال واستقبال الضيوف ويوجد بهذا الدور مطبخ لتقديم الطعام للضيوف ، ويقدم الطعام عن طريق شباك بين الحجرة والمطبخ به رف متحرك بحيث يوضع عليه الطعام من المطبخ ثم يدار جهة الحجرة للضيوف الذين فى العادة يفترشون السجاد حيث لم تكن عادة الكراسى قد عرفت فى هذا الزمان .

وفى رشيد نشأت صناعة المعمار الفنى الدقيق وليس أعجب من رجل النجارة المشهور (على جلط) ذلك الرجل الذى نشأ وتعلم فن النجارة فى رشيد فأخرج للعالم أبدع صور للنجارة الدقيقة وليس منبر مسجد أحمد البدوى فى طنطا عنا ببعيد ، ذلك المنبر الذى لم يدخل فى صناعته مسمار واحد ، ولقد بلغ من مقدرة (على جلط) الفنية انه صنع بروازا من نوى البلح ، ويقال ان فى مسجد طنطا الكبير كرسى لتلاوة القرآن الكريم عجز أهل الفن عن تركيبه بعد أن أمكن فكه قطعا .

ولقد انتهى هذا النوع من النجـارة الفريدة التى تتميز بهـا البيوت الأثرية فى رشيد واستحدثت بعدها نجارة الأثاث والمعمار من شبابيك وأبواب ، وأيضا نجارة صناعة السفن الشراعية لصيد الأسماك وكذا السفن التجارية التى تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط .

وكانت هناك صناعة نجارة البراميل واصلاحها ، وكان ذلك فى مواسم حركة صيد السردين من البحر الأبيض المتوسط ، والتى توقفت تماما بعد بناء السد العالى فحرمت رشيد من هذه الصناعة ، فضلا عن أكبر مورد يدر على الأهالى جميعا رزقا حسنا .

وفى رشيد الآن نهضة فى صناعة الأثاث للعرايس ، ولا يزال أثاث منازلنا فى العصر القديم يمتاز بالمتانة ومزين بالصدف وما يسمونه الفلتو على الدولاب والبوريه .

صـــناعة الطـــوب :

سبق أن ذكرنا أن العلماء قد عجزوا عن معرفة الطريقة التى صنعت بها الطوبة الرشيدى السوداء التى بنيت بها المنازل الأثرية فى رشيد فى العصر المـــاضى .

والآن نتحدث عن الطوبة الحمراء التى تقوم بصناعتها ورش الطوب الحديثة ، فرشيد تدين بانتعاشها الاقتصادى فى شتى مجالات التجارة والتصنيع الى مجرى النيل الذى يصب فى رشيد .. والطمى الذى يحمله ماء النيل الينا هو المـــادة الأصلية فى قيام مضارب الطوب . ففى أيام الفيضان يرسب هذا الطمى على جوانب وشواطىء النيل ، وفى أماكن قريبة من ورش الطوب ، وحين ينتهى الفيضان ويقل منسوب المياه ، ينكشف هذا الطمى وتبدأ الورش باستغلاله فى الصناعة فيضـــاف الى الطمى كمية من قشر الأرز تسمى (السرس) ثم يعجن بواسطة الخيل قديما ، وبواسطة الآلات حديثا ، ثم يصب فى قوالب خشبية ، ويقـــوم العمال بوضعه فى الشمس فى صفوف منتظمة ــ ثم بعد ذلك يدخل الفرن الكبير بطريقة فنية ، ثم يحرق بواسطة المـــازوت لمدة ٤٨ ساعة ، حتى ترى هذا الطوب كأنه جمر من النار ، وبعد أن يتم حرقه تماما يترك حتى يبرد ثم يخرج للاستعمال .

وفى رشيد ما لا يقل عن خمس عشرة ورشة لصناعة الطوب أكثرها تقع بحرى رشيد فى الطريق الى برج رشيد .

وبعد أن قام السد العالى وحرمت رشيد من مصدر رزقها من السردين تضاعف حرمانها أيضا بتوقف وصول الطمى اليها مما هدد مضارب الطوب بالتوقف والافلاس ، مما دعا أصحابها الى شراء أراضى زراعية أخرى وتجريفها للاستفادة بالطمى فى الصناعة ، وتبعا لذلك زادت أســـعار الطوب . فى نفس الوقت الذى ولدت فيه أزمة الإسكان .

معاصر الزيوت أو (السرجة) :

مما اشتهرت به مدينة رشيد منذ القدم هى ومدينة فوه انتاج الزيت الحار والزيت السيرج ، وقد توجهت الى المرحوم الحاج عبد العزيز قاسم

صاحب معصرة زيوت ، وتذاكرت معه تاريخ هذه الصناعة فى رشيد ، فأخبرنى أن المعاصر تعود الى أكثر من مائة سنة أو يزيد ومن اصحابها الحاج احمد طبق والحاج محمد عيد والمغربى ، وكانت المعاصر القديمة عبارة عن طواحين من الحجارة تدور بواسطة الخيل ، وينقل بعد ذلك فى شكل طحينة توضع فى حفرة شبه مخروطية فى الأرض مبطنة بالكاشانى، يقف فيها رجل معلق من كتفيه بواسطة حبل مدلى من اعلى يقوم هـــذا الرجل بعملية عجن هذه الطحينة بقدميـــه حتى يمكن فصـــل الزيت عن الكسب ، وتسمى هذه الحفرة بالمعجن .. ومن ثم يباع هذا الزيت للأهالى ومع كل زجاجة يطلب المشترى قطعة من الكسبة توضع فوق فوهـــة الزجاجة .

وقال لى الحاج عبد العزيز قاسم ، اما بالنسبة لزيت السيرج فهـو يستخرج من السمسم ويؤتى به من الغربلة فيوضع فى حوض ماء حلـو حتى يرسب الزلط ويذوب الطين العالق بالسمسم ، ثم يحول الى ماء به ملح ، بحيث يطفو نوع السمسم الجيد ويرسب السمسم الفارغ ، ثم يعود مرة اخرى الى حوض ماء حلو ليتم نظافته ، ثم يحول الى فرن لتتم فيه عملية التحميص ، ثم يوضع بين حجرين الحجر الأسفل ثابت والحجر العلوى متحرك ، فيصير السمسم بعد ذلك طحينة ويوضع بعد ذلك فى المعجن ليتم فصل الزيت عن الكسب .

اما عملية زيت الحار ، فانه يستخرج من بذرة الكتان ، وكان فى سابق الزمان يؤتى بها مستوردة من دولة باكستان والهند ، اما الآن فهى تزرع فى مدينة المحلة وما جاورها يؤتى بالبذرة ثم توضع فى ماكينة ليتم بشرها. ثم توضع الحجارة الثقيلة حتى يتم استوائها ويضاف لهـــا بعض المـــاء وتبقى تحت الحجـــارة حتى يتغير لونهـــا الى اللون البنى ثم توضـــع تحت المكبس بواسطة ابراش ، توضع البذرة بين البرش والبرش الآخر وتكبس كبسا شديدا حتى يقطر منها الزيت الحار .

ويقول الحاج عبد العزيز قاسم ان الزيت الحار فيه شفاء لمرض الكحة والصدر والسيلان ومرض البرص وذلك عن تجربة مع عامة الناس .

ويستعمل كسب زيت الحار بعد ذلك فى تغذية الطيور والحيوانات ، وان كان ذلك ظل مجهولا فترة من الزمن ، فكان توفر الجرمة والرجيعة من مخلفات مضارب رشيد لم يجعل احدا يفكر فى مخلفات الزيت الحار ،

بل كان يلقى به خارج السرجة دون أن يتنبه لذلك أحد .. حتى أصبح الكسب اليوم من مصادر الثروة الهامة .

وتطورت هذه الصناعة بعد ذلك باستعمال الماكينات .. وفى نفس الوقت لم يبق فى رشيد سوى سرجة واحدة ، وتكاد تصير هذه الصناعة فى رشيد الى زوال .

صناعة الجبن :

اشتهرت دمياط على سائر بلاد مصر بصناعة أنواع من الجبن ، ولذلك اطلق على الجبنة البيضا ـ الجبنة الدمياطى ، ولهذا توسعت دمياط فى تربية الجاموس والبقر وعمل الزرايب الكثيرة ، كذا كان لزاما على أهالى دمياط ان ينشئوا مصانع لعمل (المنفحة) التى هى مادة أساسية فى صناعة الجبن ، والمنفحة هى جزء من معدة العجل اللبانى بها مادة تعمل على تجبن اللبن . وتفرع من صناعة الألبان وجود صناعة الفناطيس والخزانات والمكابس وخلافه من لوازم هذه الصناعة .

أما صناعة الجبن فى رشيد .. فقد بدأت على أيدى بعض الأجانب الذين هبطوا رشيد لقربها من مدينة الاسكندرية .. ولكنهم يئسوا من الاستمرار حيث ان الأهالى فى هذا الوقت كانوا يعتبرون بيع اللبن (عيب) .

وفى النصف الأخير من القرن التاسع عشر عادت صناعة الجبن الى رشيد على ايدى أبنائها ، وبدأت هذه الصناعة تنتشر حتى جاوزت المدينة الى الأرياف المجاورة وتنوعت صناعة الجبن الى أنواع جديدة . ولكن رشيد لم تصل بعد الى شهرة دمياط الواسعة فى هذه الصناعة . ويعود ذلك الى عدم تشجيع أهالى رشيد لمنتجات أبنائها ليس فى الجبن فقط ولكن فى كل شىء . ويعود ذلك الى عدم وجود زرايب تستوعب عددا كبيرا من البقر والجاموس ـ وأيضا لعدم توفر العلف والعليق .

العقادين والخياطين :

ان الزى البارز والمتميز بين أهالى رشيد هى الملابس البلدية ، فالى عهد قريب كان الزى على هيئة ملابس المماليك حتى كاد هذا الزى الأخير

ينقرض الآن ولا يرتديه سوى الجرسونات فى بعض المقاهى . وملابس المماليك عبارة عن سروال كبير مزركش بالقيطان واسع عند الفخذين حتى يضيق عند القدمين ويلبسون الصديرى وفوق الصديرى يلبسون الفرملة وهى على أبدع صورة من التطريز والزركشة بالحرير وغالبا ما تكون مفتوحة حتى يتراءى من تحتها الصديرى أيضا فى صورته الجميلة .

أما اليوم فقد استعاض الاهالى بهذا الزى جلاليب من الصوف بها قيطان حول الرقبة وأسفل الذيل ولكل جلباب فتحتان عن يمين وشمال ، وأصبح لباس الرأس عبارة عن طاقية يلف حولها ما يسمى (لاسة من الحرير) مصنوعة فى مدينة ادكو .

ولما كانت الملابس كلها من هذا النوع لهذا أصبحت صناعة العقادين والخياطين من أكبر الصناعات المعروفة فى رشيد وما حولها ، وكانوا يصدرون الحرير والقيطان والزراير الحرير ومثل هذه الملابس الى البلاد العربية مثل تونس والمغرب وبلاد الشام .

وساهمت نساء رشيد فى هذه الصناعة داخل بيوتهن .. اذ قلما تجد امرأة أو فتاة فى منزلها لا تجيد احدى هذه الحرف ، وكان ذلك يساعدهن على الحياة فضلا عن الادخار ليوم الزواج .

ومما يذكر أن أول عقاد فى رشيد كان اسمه المخللاتى وكان محله بجوار زاوية العقادين وقد تعلم هذه الصناعة من جماعة من اليهود كانوا يقطنون رشيد وكانت أهم صناعاتهم القطان — التحارير توضع بجوار القطان — الشريط يوضع تحت القطان — زراير الضفيرة ضفيرة للشخشخ — زر الطربوش .

ولقد بدأت هذه الصناعة فى الانقراض نظرا لتطور الأهالى وكثرة المتعلمين والموظفين واختلاف الزى عند كل طبقة ، كذا تعليم الفتاة وعدم الفراغ نظرا للدراسة ومطالب الحياة الشاقة .

صناعة السجاد :

بدأت صناعة السجاد فى رشيد حديثا حوالى عام ١٩٥٥ — حين اتجهت جمعية البر والاصلاح برشيد المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية بالاتجاه الى الاستفادة من قيمة التبرعات والاشتراكات بصورة دائمة

تعود على المحتاجين بنفع دائم بدل الصدقة المؤقتة . فاتجه التفكير الى عمل مؤسسة للتدريب المهنى تستوعب الأطفال اليتامى والمعوزين . وقد تم تحقيقا لهذه الفكرة انشاء مصنع للسجاد — وفعلا تم ذلك وقد حصلت الجمعية على اعانة من منطقة الشئون الاجتماعية والعمل بالبحيرة ١٥٠ جنيها سنويا ، وبهذا سار المشروع سيرا موفقا مما يبشر بالخير .

ولما كان الغرض من المشروع أى مشروع مؤسسة التدريب هو تخريج مجموعة من الفنيين فى مهنة صناعة السجاد ليتسع العمل أمام هذه الفئة من الأيتام فى المستقبل فيكونوا عمالا مهرة يقومون على شئون أنفسهم فى المستقبل .

فقد تقدمت صناعة السجاد فى رشيد تقدما ملحوظا فى حدود خمس سنوات فافتتح أكثر من مصنع للسجاد باشراف مجموعة من الشبان المتازين الذين أنتجوا للسوق أنواعا ممتازة ورسومات رائعة وصناعة جيدة كانت خير دعاية لرشيد وعمالها .

ولا يزال الأمل كبيرا فى أن تتسع هذه الصناعة فى رشيد حتى تنال مبتغاها من الرسوخ وحتى تصبح من الصناعات الأساسية المشهورة فى رشيد .

وتعتمد صناعة السجاد على الأيدى العاملة من الفتيات — حتى اذا تزوجت وتعذر عليها العمل بالمصنع فانها تستطيع أن تعتمد على نفسها فتشترى نولا وتباشر العمل فى منزلها .

الملح الرشيدى

ان الملح الرشيدى من انتاج ملاحات رشيد وادكو من اجود انواع الملح الصناعى وحين يمر بعملية النظافة والتكرير فهو ملح السفرة الفاخر .

ويستعمل الآن الملح فى تمليح السردين والأسماك وأخيرا يستعمل فى مصانع غزل الصوف بكثرة ، والحكومة تصدر منه للخارج كميات كبيرة .

وملاحات رشيد لا توجد فى رشيد نفسها ولكنها توجد فى الجهة الشرقية منها فى بلد يسمى (خان الجنى) ، وحدث أخيرا أن توقف العمل نهائيا فى هذه الملاحات الواسعة ولا تدرى ما هو حقيقة السبب الفنى الذى ادى الى الاستغناء عنها مع أنها كانت مصدرا كبيرا للايراد للدولة والأفراد ولم يبق الآن سوى ملاحات مدينة ادكو .

الباب الخامس

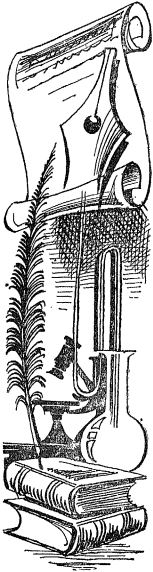

.. علماء
.. أدباء
.. مشاهير
.. عائلات رشيد

رجـالات رشـيد :

ان من حق السابقين من رجالات رشيد أن ننوه عن آثارهم وأن نسجل ما حفظته الأيام من سيرتهم وما لايزال حيا من أخلاقهم ، ان السابقين من رجالات رشيد كانوا أكثر قدرة ووفرة فى النشاط وقوة فى العزيمة ، كانت أجسامهم رياضية ومطاعمهم غنية ومشاكلهم تكاد تكون معدومة فكانوا فى حظ عظيم وفكر مستقيم ، كما كانوا أصحاب أخلاق اسلامية فلم تدفعهم أحقاد ولا خصومات على أن يخرجوا على قواعد الأخلاق وقوانين الرجولة والشرف فقد كانوا رجالا كبارا فى كل شيء يقدرون الأمـور ويعرفـون الواجب .

ومن أجل هذاقامت هذهالشخصيات المهيبة الموقرة فىرشيد مقام القانون وشكلت منهم محكمة أهلية كانت تسمى محكمة (الخط) اصبحوا أعلاما يحترم رأيهم وتؤخذ بمشورتهم ويشار اليهم بالبنان ، فكانوا رجـاء كل شاكى وموئل كل مظلوم وحماية كل مستجير ، اليهم توكل المهام الكبـار والصلح بين الناس وفض الخصومات ، فلم يكن للحاكم والمحاكم شأن الا فى المستحيل من الأمور والمستعصى من الحلول ، والمقام لا يتسع لذكر الأمثلة وتقرير الوقائع التى تشيد بعظمة هؤلاء الرجال ، غير أن لهم فى التاريخ خبرا وذكرا يمجد عهدهم ويشيد بأفضالهم .

كانللرجل من هؤلاء هيبة ليستمستمدة من مال ولا جاه ولا سلطانولكنها ولا يبقى الأمر فى ضمير الناس وأفكارهم أكثر من لحظتهم حتى اذا انبلج الصبح كانت هذه المشاكل فى خبر كان ، لا تحتاج المسائل المعقدة والمشاكل الكبيرة للأخذ والرد والسجال ولكنها تحل فى يومها مما لا يدع للشيطان سبيلا للزيادة والايغال .

كانللرجل من هؤلاء هيبة ليستمستمدة منمال ولا جاه ولا سلطانولكنها فى الحقيقة نابعة من تقوى الرجل وايمانه بالله وتمسكه بمبادىء الحـق والشرف والشجاعة فى الحق وما حياة الشيخ أحمد الجارم منا ببعيد ، وحياة الشيخ محمد الخضرى وموقفه من الجنرال مينو الا صورة من أخلاق السلف الصالح وأجدادنا العظماء .

واليوم تزداد المشاكل وتتعقد الأمور ويطغى القوى على الضعيف ويأكل الناس أموالهم بينهم بالباطل وترفع الخصومات الى القتل والتشريد،

واتسعت هوة الخلاف بين الولد ووالده والأخ واخيه على فتات الدنيا . وضاعت الأخلاق وانمحت العلاقات وعاش الناس كالذئاب .

وليس فى رشيد اليوم رجل من هؤلاء تهواه القلوب وتحوم حـوله الأرواح وتجتمع عليه الكلمة يقول فيستمع اليه ويشير بالرأى فيطاع ، اننا اليوم نشتاق الى روح الله تغمرنا بالحياة وتنقذنا من الهاوية وتعيـد الينـا رشدنا .

لقد كنا يوم كنا مع الله (ولدا ووالدا) ترعانا عين الله . كنا نجد من الله العناية ولا زلت أذكر ذات يوم عام ١٩٣٠ حين تأهبت رشيد للثورة فى عهد مدير البحيرة الشاذلى باشا فقد أعد شباب رشيد مظاهرة ضخمة جهزوا لها من أدوات التخريب والتدمير مالا حصر له وكان محددا لها بعد صلاة الجمعة ، واجتمع كبار رجالات رشيد ونصحوا الشـباب بالترام الهدوء والسكينة ، ولكن الشباب لم ينصاعوا .

وفى مسجد المحلى ازدحم المتظاهرون ليخرجوا بعد صلاة الجمعـة بمظاهرة كبيرة ، وقام المرحوم الشيخ عبد المحسن الجارم امام وخطيب مسجد المحلى ودعا الناس الى أن يلتزموا الهدوء وناشـدهم أن يكونوا حكماء . وانهى الشيخ عبد المحسن خطبة الجمعة ونزل للصلاة ووقف فى المحراب يصلى ، ولمـا كان فى السجود الأخير توفاه الله تعالى .. وأتم الشيخ اسماعيل بيومى الصلاة بجوار المرحوم الشيخ عبد المحسن الجارم وحين انتهت الصلاة فوجىء المتظاهرون وعلى رأسهم الأستاذ فتحى الجارم بوفاة رجل من كبار رجال رشيد .

وكانت وفاة الشيخ عبد المحسن الجارم فى هذا اليوم (١١ يوليو ١٩٣٠) تحويلا كبيرا لأخطر يوم فى حياة رشيد ومشى المتظاهرون لتشييع جنازة الشيخ عبد المحسن الجارم وكانت مظاهرة صامتة انقذت رشيد من يوم لا يعلم مداه الا الله تعالى .

ان لرجالات رشيد آثارا عميقة فى حياة هذا البلد تحتاج الى دراسة واستقصاء .

ولست هنا أكتب تاريخا عن كل اعلام رشيد السابقين فان المقام لايتسع لهؤلاء الأماجد جميعا ولكن اجتهد فى الكتابة عن القريبى عهـد بنا . أما السابقين فقد تحدث عن أكثرهم الأستاذ محمد زيتون فى كتابه الجامع .

العالم الكبير الشيخ محمد صالح الجارم :

هو العالم الفاضل والمحقق الكامل والشاعر الناثر المرحوم الشيخ محمد صالح الجارم الرشيدى الحنفى ابن العلامة المغفور له صاحب التاليف العديدة والرسائل المفيدة الشيخ عبد الفتاح الجارم بن علامة عصره وفريد دهره الفقيه المحدث المفسر الحجة ، والثقة المؤلف فى كل فن ، المرحوم الشيخ ابراهيم الجارم . كان رحمه الله جميل الطلعة ، سريع الخاطر ، قوى المعارضة ، حسن المحاضرة ، طلق الوجه ، دائم البشر ، فصيح اللسان ، ضليعا فى جميع العلوم ، يحبه كل من يجالسه ، اذا حدث ملك الأسماع ، وأقبل عليه جليسه وأحسن الاستماع .

ولد بثغر رشيد ١٢٦١ هجرية وحفظ بها القرآن وأخذ العلم عن والده وعمه المرحوم الشيخ محمود الجارم والد صاحب هذا الشرح ، وعن أكابر علمائها ، ولما شب وترعرع سافر الى مصر وجاور بالجامع الأزهر وأخذ العلم عن أكابر علمائه مثل الشيخ عبد القادر الرافعى ، والشمسى الانبابى ، والشيخ الاشراقى ، والشيخ عز الدين ، والشيخ السقا وغيرهم . ولم يقتصر على العلوم الشرعية ووسائلها التى كانت تدرس بالأزهر يومئذ ، فأخذ الحساب والهندسة والميقات وعلم الفلك عن علماء هذه الصفوة وأكابر المهندسين . ولما تضلع فى العلوم عاد الى بلده بعد أجازة مشايخه بالتدريس فاشتغل بمدارسة العلم وتدريسه والتأليف والتصنيف .

ولما خلت وظيفة افتاء محافظة رشيد بعد وفاة والده ١٣٠١ أسندت اليه وما زال بها — بين افادة واستفادة — حتى ألغيت فانتقل الى القضاء فى مركز دمنهور البحيرة ١٣١٥ ثم تولى قضاء مديرية الفيوم ثم عاد الى دمنهور قاضيا ثم تولى قضاء الشرقية وما زال بعاصمتها الزقازيق الى أن عاجله القدر المحتوم فتوفى عصر يوم سابع المحرم ١٣٢٨ ونقل الى بلده رشيد .

شرح الشيخ احمد الجارم على قصيدة المرحوم الشيخ محمود صالح الجارم

الحمد لله رب العالمين — واشهد أن لا اله الا الله الملك الحق المبين ، واشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ، الصادق الأمين — صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين . أما بعد فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير اسير وصمة الآثام .

أحمد بن الشيخ محمود بن الشيخ ابراهيم الجارم . لما كان مديح المصطفى صلى الله عليه وسلم من أفضل ما يتقرب به المتقربون ويتنافس — رغبة فيه — المتنافسون . فقد رغب ان ينتظم فى سلك المادحين رجاء شفاعة سيد الأولين والآخرين العلامة الكامل ، الجهبز الفاضل ، الفصيح البليغ ، الناثر الناظم ، ابن عمنا الشيخ محمد صالح بن الشيخ عبد الفتاح بن الشيخ ابراهيم الجارم . فانه حفظه الله لما تمم الله تعالى انعامه عليه بالحج الى بيته الحرام وزيارة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وعاد الى وطنه سالما مسرورا وعليه من حلل الانوار ما يدل على ان حجه وقع مبرورا شرع فى نظم قصيدة دالية ، فى مدح خير البرية ، عذبة الألفاظ، سهلة المبانى ، بليغة التركيب ، قريبة المعانى — وعدة أبياتها ثلاثة وستون بيتا وهى من بحر الكامل وأجزاؤه متفاعلن ست مرات ويدخل بعضها الاضمار وهو اسكان الثانى فيصير متفاعلن بسكون التاء لكنه غير مستعمل فى عرفهم فينقل الى مستفعلن . وقد سألنى بعض أولاده النجباء ، العلماء الأذكياء ، الأدباء أن أضع عليها شرحا وسطا يكشف مستورها ويظهر بدورها فتوقفت مدة لأن التاليف أمر خطير ، وباعى فى العلوم مقيد ، ثم تكرر منه الطلب ، وازداد لديه الرغب . فأجبته الى طلبته وسارعت الى تحصيل بغيته وانى وان كنت لست اهلا لذلك ، ولا ممن يسلكون تلك المسالك ، لكنى تشبهت بهم راجيا أن اتدرج بذلك فى جملة الخدم وأن اكون به من المكرمين يوم تزل القدم سائلا من الله الكريم التوفيق والهداية من فضله الى اقوم طريق فأقول .

والله المستعان .

هذا شرح العلامة الفاضل الشيخ احمد الجارم — الشافعى ، المحدث الرشيدى ، ابن المرحوم الشيخ محمود الجارم ، على القصيدة النبوية للمرحوم الشيخ محمد صالح الجارم ، الحنفى الرشيدى ، قاضى الشرقية كان (١) غفر الله له .

الشيخ الجليل احمد محمود الجارم :

نودى فى الناس بخبر وفاة الحاج محمد المصرى تاجر العطارة يوم ٣ جمادى الأول سنة ١٣٦٩ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٥٩ . وسارت الجنازة

(١) (قاضى الشرقية كان) يعنى قاضى الشرقية سابقا .

المهيبة حتى وارينا الرجل الصالح فى التراب .. وعدنا نتذكر المعمرين من رجالات رشيد الذين قضوا نحبهم وتركوا أحسن الأثر من بعدهم . وجاء ذكر الشيخ محمد خير الله صاحب أكبر (كتاب) لتحفيظ القرآن الكريم فى رشيد والمتوفى قبل ذلك بعشرين يوما . وكذا الشيخ محمد العنزيرى وهو من قارئى القرآن الكريم .. ثم جاء ذكر الامام المتقى الورع الشيخ أحمد محمود الجارم رحمهم الله جميعا .

وتحدثنا عن أخبار أحمد الجارم التى لاتزال تروى للأجيال فى رشيد ــ ووجدت من واجبى أن اسجل بعض ما نسمعه من المعمرين قبل أن يودعنا الى الدار الآخرة .. وكان لزاما أن التقى بالرجل الصالح الشيخ محمد أبو السعود الذى توفاه الله تعالى بعد ذلك عن عمر مبارك مائةوثمانية أعوام يوم الأثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ الموافق ٢٤ أكتوبر ١٩٦٠ فالتقيت به وطلبت منه أن يحدثنا عن تاريخ المرحوم الشيخ أحمد الجارم فأثنى عليه ثناء جميلا وقال :

لم يكن الشيخ أحمد الجارم عالما فحسب بمعنى القدرة على الافتاء والاستنباط للأحكام الشرعية والتفسير ، فان ذلك يدفع به الى هذا المستوى العظيم من حب الناس له والاقتداء به والسمع والطاعة لما يصدره من أحكام فى الخلافات العائلية والأقضية التى كانت ترفع له .

ان الشيخ أحمد الجارم كان يمثل الاسلام قولا وعملا ، روحا ونصا ــ كان ايمانه بالاسلام لايخالف عمله بل كان الاسلام واضحا للناس فى هذا العالم الجليل بصورة مدروسة علمية واقعية ، فالناس يعيشون معه فى رحاب هذا الدين يتذوقون طعمه من ينابيعه الأصلية الفطرية ــ وانت حين تراه تتأثر به لأنه صورة صادقة للدعوة التى يؤمن بها .

ومن خصائص هذا الامام التقى انه يتحرى الحلال والحرام بصورة دقيقة للغاية وأنه يفهم الاسلام فهما شاملا لا يتوقف فهمه عند حدود المسجد بل تعداه الى كل ميادين المجتمع .

فحين كانت هوجة عرابى ١٨٨٢ (كما يسمونها فى رشيد) لم يشأ الشيخ الجارم أن يكتفى بدور الخطابة ودعوة الناس للجهاد والكفاح بالدم والمال ــ بل تقدم مع مجموعة من علماء المسلمين وطلبوا من رجال الادارة أن يدربوهم على السلاح ليحاربوا الانجليز المعتدين مع جيش عرابى .

وفى المكان الذى أقيمت عليه المستشفى المركزى الآن فى رشيد كانت ساحة التدريب على السلاح التى تدرب عليها الشيخ وزملاؤه .

كان مسجد على المحلى ومسجد بابا حسن ومسجد أولاد مشتيلة ، تابعين لوقف الحاج أحمد طبق وعثمان بك طبق والد عمدة رشيد محمد بك طبق — وحين وافقت وزارة الأوقاف على ضم هذه المساجد لها . وكان من الضرورى عند ضم هذه المساجد ان تقوم الوزارة بامتحان ائمة هذه المساجد لتتأكد الوزارة من كفاءة هؤلاء العلماء .

ولما طلب من الشيخ احمد الجارم التوجه الى دمنهور للامتحان — رفض وقال والله لن أسافر ولن اتقدم لاى امتحان — فاذا كانت الوزارة موافقة على بقائى اماما لهذا المسجد على هذا الحال كان بها ونعمت ، واذا لم توافق فسوف أستمر فى الصلاة ولو فى آخر المسجد . ومن المعروف أن مرتب الشيخ فى هذا الوقت لايزيد على خمسة ريالات من الفضة . وبقى الشيخ اماما لمسجد على المحلى ، دون أن تتعرض له وزارة الاوقاف . وفى حلقة الدروس التى يقيمها فى المسجد دعا لاخوانه ائمة المساجد الذين ذهبوا للامتحان فى دمنهور — دعا لهم بالنجاح والتوفيق .

وزار الخديوى عباس الثانى رشيد وأراد أن يصلى الجمعة فى مسجد على المحلى — وتوجه الخديوى ومعه حاشيته الكبيرة من رجالات الدولة الى المسجد وقامت رشيد على بكرة أبيها تحيى الضيف الكبير .. وحان وقت الصلاة ولايزال الشيخ أحمد الجارم فى منزله — ففزع محافظ رشيد ، وخاف أن يتخلف الشيخ عن الحضور ، وأرسل له الشيخ محمد أبو السعود ليستعجله ، واستأذن فى الدخول فأذن له ، وقال للشيخ : ان المحافظ يستعجل فضيلتكم للصلاة لان الخديوى عباس موجود بالمسجد .

فقال الشيخ أحمد الجارم — أنت عارف ياشيخ محمد أننى أحضر الى المسجد كالمعتاد قبل الأذان ، ولابد من أن أغتسل للجمعة أولا وسوف احضر فى الموعد كعادتى ان شاء الله . وأسرع الشيخ أبو السعود وطمأن المحافظ — ولم تمض لحظات حتى دخل الشيخ أحمد المسجد فى وقار وسكينة وتوجه الى المحراب وادى ركعتين — وبعد الأذان صعد المنبر ، والقى خطبة فى العمل بالتنزيل والخوف من الجليل وفى ختام

الخطبة دعا للخديوى بالذرية الصالحة . وبعد أن أدى الصلاة جلس فى مواجهة الخديوى حيث العمل بالسنة الشرعية — وتوجه اليه الخديوى عباس مسلما عليه بشوق وخلع عليه كالعادة الخلعة وهى عبارة عن شال من الكشمير .

وسأله الخديوى عن طلباته .. فقال أرجو أن تقوم وزارة الأوقاف بتثبيتى اماما لهذا المسجد وأن تعطينى مرتبى من حصيلة مصلحة السكة الحديد .. ظنا من الشيخ أن أموال السكة الحديد خالية من التعامل بالربا .

كانت خلوة الشيخ أحمد الجارم الموجودة بمسجد المحلى مواجهة لمقهى الحاج محمد بلبع التى كانت تقع شرقى المسجد .. وكان الناس الذين يجلسون فى هذه المقهى يلعبون الطاولة وأحيانا ترتفع أصواتهم فتضايق الشيخ فى خلوته . فقام الشيخ وخرج من المسجد متوجها الى هذا المقهى حتى اذا شاهده الناس قاموا وتركوا المقهى هاربين ، ودخل الشيخ وأخذ الطاولة وعاد بها الى المسجد .

وشكا صاحب المقهى هذا الحادث الى الشيخ عبد الفتاح الجارم — فتقدم الشيخ عبد الفتاح للشيخ أحمد وتلاطف معه وقال له ياسيدنا الشيخ اذا أردت أن تعطل هذه الطاولة فخذ هذه (الزهر) فهى تعطل الطاولة وأعطيهم الباقى . وفعل ذلك وأعطاها للشيخ عبد الفتاح ليلقى بها فى النيل — ولكن الشيخ عبد الفتاح ردها لصاحب القهوة .

وكان الناس فى القهاوى كلما اقترب الشيخ أحمد منهم فى مسيره الى المسجد يغلقون الطاولة حتى يبتعد عنهم خوفا منه واحتراما له .

وحكى أن الشيخ أحمد الجارم قام بكتابة عقد زواج لجندى فى الجيش المصرى — ومن المتبع انه لايسمح لأى جندى بكتابة عقد الا اذا حصل بتصريح مكتوب من ادارة الوحدة التى يعمل بها — ويظهر أن الشيخ لم يتنبه لهذا الأمر .

وبعد فترة ورد خطاب الى ديوان المحافظة للاستفسار منه عن هذا الخطأ .. وقام كاتب الضبط بالمحافظة وكان اسمه محمد عيسى بمخاطبة المحافظ بهذا الشأن ، فكان المحافظ يقول له أخرها شويه ، وبعد استعجالات متكررة وردت اشارة من الحربية بضرورة سؤال الشيخ أحمد الجارم عن هذه المخالفة .

واخيرا بعث المحافظ يستدعى الشيخ وذهب أحدهم يطلب من الشيخ مقابلة المحافظ فقال له الشيخ طيب يا ابنى انتظر شوية لما اتوضأ . ثم قام الشيخ وتوجه الى دار المحافظة وبدأ يدخل الباب وهو يقول اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث ثم دخل مكتب المحافظ والقى عليه السلام — وقال للمحافظ أنتم عايزين منى ايه ؟ وكان الشيخ مهابا وله مكانته عند الجميع فتلعثم المحافظ وقال والله ياسى الشيخ الحقانية عايزه فضيلتكم عضوا فى لجنة تحقيق — ولم يكن الأمر كذلك طبعا ولكن المحافظ كان فى حرج شديد — فقالله الشيخ أحمد الجارم حقانية داخلية أنا ماليش فى الحاجات دى أنا رايح أصلى الظهر ولاتبعتليش فى حاجه زى كده .

استدعى المحافظ كاتب الضبط محمد عيسى وقال له انت تعتبر نفسك الشيخ أحمد الجارم تجاوبهم وتكتب للحربية منك لهم .

كانت المياه التى يتوضأ منها الناس فى مسجد المحلى تنقل بواسطة السقايين — ولكن حين أدخلت مواسير المياه فى رشيد عن طريق البلدية — قام الشيخ أحمد الجارم بتوصيل مواسير من منزل نجيب القزق الذى كان مجاورا لكنيسة الأقباط .

وعلى اثر ذلك تشجعت الأهالى فى ادخال المياه الى جميع المساجد على نفقتهم الخاصة .

كان الشيخ أحمد الجارم رحمه الله يعيش فى منزله الكائن فى مواجهة قبلة مسجد الجندى — وكان لاينام على سرير بل يضع مرتبه علىالأرض وبجوارها سجادة للصلاة — ويبدأ يومه فى الاستيقاظ لصلاة الفجر حيث يأتى أحد اتباعه ويصحبه الى المسجد حاملا فانوسا ليضىء له به الطريق — ويبقى الشيخ أحمد بعد الصلاة جالسا فى المحراب يتلقى اسئلة المصلين ليجيب عليها .

وبعد ذلك يصعد الى حجرة الخلوة يطالع الكتب الاسلامية ويستقبل كل ذى حاجة أو سؤال أو مشكلة عائلية .. حتى اذا اذن الظهر أم المصلين .. ثم يتوجه الى منزله فيتناول طعام الغداء ويستريح قليلا — ثم يستعد للذهاب للمسجد لصلاة العصر — وبعد الصلاة يجلس ويلقى موعظة ثم يصعد الى حجرته يعنى الخلوة ليستأنف فيها برنامجه للاصلاح بين الناس والاستفسار عن غائبهم .

حتى اذا اذن المغرب ام المصلين — ثم جلس للدرس الجـامع الذى يقبل عليه عشرات من المسلمين يستمعون فى لهفة وشوق واستيعاب .. وبعد صلاة العشاء يعود الشيخ الى بيته .

وانك لترى كل يوم جمعة قبل الصلاة وبعدها اناسـا كثيرين لزيارة الشيخ يحملون معهم انواعا مختلفة من الهدايا .. ويقوم الشيخ فى آخر النهار ليستقبل وفودا أخرى من المحتاجين فيوزع عليهم هذه الهدايـا بالكامل ولايقبل ان يحتفظ لنفسه منها بشىء اطلاقا .

فوجىء الناس بالشيخ احمد وهـو فى المحراب لاينطق فى الصـلاة الجهرية اطلاقا — وعجبوا لأمر الشـيخ ولهذه المفاجأه .. واسـتمر الشيخ معتكفا لايصلى فى المسجد بسبب هـذا الطارىء الذى جاءه عن غير مرض — وحاول العلاج ولكن لم يحدث أى تغيير فى الحالة .

وعلم بذلك الخبر شيخ جليل اسمه الشيخ مصطفى العيسوى من منية عساس الفرقا ، قرية بجوار مدينة سمنود .. ويعتبرهذا الشيخ صديقا حميما للشيخ أحمد الجارم فزاره فى رشيد — واكتشف أن الشيخ احمد الجارم كان قد أعتزم فى نفسه مغادرة مسجد على المحلى والسفر الى المدينة المنورة بالسعودية ليجاور قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى بقية عمره هناك .

ولكن الشيخ اقنعه بأن البقاء فى مسجد المحلى وأداء رسالته الاسلامية والقيام بواجبه كما عهده الناس من قضاء لمصالحهم يجزى فيه الأجـر والثواب عند الله تعالى .. وماذا لو خرج كل العلماء ليجاوروا روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا أمر الدعوة الى الله تعالى .

فاقتنع الشيخ أحمد الجارم براى الشيخ وشرح الله صدره للبقاء فى مسجد المحلى — وحلت العقدة من لسان الشيخ الجارم وفرح الناس جميعا بفضل الله تعالى على شيخهم وامامهم .

ذهب رجل تاجر الى الشيخ احمد الجارم وسأله : يامولانا انا عندى محل تجارى وعاوز أفتح محل آخر فهل يزيد من رزقى فقال له الشيخ والله الارزاق محددة عند الله تعالى وهو الشتا لما ينزل على سـطح المسجد ولا يوجد غير مزراب واحد فالماء ينزل من هذا المزراب فقط فلو عملت بدل المزراب مزرابين فنفس الماء سوف ينزل من المزرابين هذا قول الشيخ واجتهاده .

يوم وداع الشيخ للقاء ربه

كان منزلنا الذى نقطن فيه يواجه رأسا منزل الشيخ احمد الجارم وكنت أراه يوميا عند خروجه للمنزل وعودته اليه — وكثيرا ماذهبت الى مسجد المحلى للصلاة خلفه .

وذات صباح يوم من أيام الجمعة (١٠ مارس عام ١٩٢٨) تقريبا فجعت رشيد بنبأ وفاة الشيخ أحمد الجارم .. واشتركت رشيد والقرى من حولها بتشييع جنازة الفقيد الكبير فى مشهد رهيب مهيب كانت الدموع الحارة تدل على مدى حبهم له . وحاول اكثر المشيعين أن يحملوا النعش تبركا بمن فيه — ودفن الفقيد فى مقبرة قريبة من مدخل رشيد والمقبرة قد روعى فيها تنفيذ السنة المحمدية — فهى ترتفع عن مستوى الأرض حوالى شبرا واحدا .

الشيخ ابراهيم برغوت :

الشيخ ابراهيم برغوت من علماء رشيد الأجلاء وكان يسكن بجوار منزلنا ومنزله ملاصق غربى مسجد الجندى تماما ويواجه منزل الشيخ أحمد الجارم .. وحين سمع الشيخ ابراهيم برغوت بنبأ وفاة الشيخ الجارم — وكان يرقد فى منزله من مرض الشيخوخة — قال الشيخ ابراهيم هو دا الكلام اللى اتفقنا عليه ياشيخ أحمد ؟؟

فقال له أهله — علام اتفقتم عليه يامولانا ؟

فقال الشيخ ابراهيم .. لقد اتفقنا على أن نموت معا وندفن سويا .

وبعد أن عدنا من دفن جثمان الشيخ أحمد الجارم علمنا بنبأ وفاة الشيخ ابراهيم برغوت وكانت القصة السابقة قد وصلت الى أسماع الناس وكانت من كرامات العلماء الصالحين .

وعقب صلاة العصر أدينا صلاة الجنازة فى مسجد المحلى على الشيخ ابراهيم برغوت وودعناه فى جنازة حارة الى مقره الأخير قريبا من صديقه وأخيه فى الله الشيخ أحمد الجارم .

أن هؤلاء الصفوة من العلماء المخلصين ندرة نادرة فى هذا الزمان . انهم كانوا فعلا مصابيح فى دنيا الظلم والظلام .. رحمهم الله جميعا واحسن مثواهم . (آمين) .

محمد نعمان الجارم :

هو محمد نعمان بن محمد صالح الجارم وشقيق الشاعر على الجارم ، كان قاضيا بالمحاكم الشرعية ، وكان قاضى قضاة السودان ، وله بحوث قيمة منها « أديان العرب فى الجاهلية » طبع سنة ١٩٢٣ وهو والد المهندس حسان الجارم .

ولد برشيد ثم غادرها للالتحاق بالأزهر ، ولما فتحت مدرسة القضاء الشرعى أراد أن يلتحق بها ، غير أنه كان قد تجاوز السن القانونية ، فشكا ذلك الى عمه ابراهيم الجارم عمدة رشيد فقهقه ضاحكا ، فتاثر صاحبنا وسأل عمه مستنكرا : أشكو اليك محنتى فتسخر منى ؟ قال : لا ، ولكنى وجدت الحل ، وهو أنه كان لى ولد اسمه أيضا محمد نعمان الجارم ، وقد توفى الى رحمه الله وعندى شهادة ميلاده وهو يصغرك بخمس سنوات ، فخذ شهادة ميلاده اذ الاسم واحد وتوكل على الله وبهذا التحق بالقضاء الشرعى ثم تخرج فعين أولا قاضيا فى دنقلة بالسودان سنة ١٩١٧ ثم عاد الى مصر وتنقل فى مناصب القضاء ، ثم صار قاضى قضاة السودان من سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٤٢ وخلفه الشيخ حسن مأمون وهو آخر مصرى تولى هذا المنصب فى السودان . وهناك فى الخرطوم توجد «حديقة الشيخ الجارم» تخليدا لذكراه فى القطر الشقيق، واعترافا بفضله وبحوثه الشرعية التى كان يلقيها هناك .

وقد توفى الى رحمة الله فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٣ ودفن برشيد .

تعريف بأسرة الجارم :

أسرة الجارم أصلا من البرلس ثم استوطنت رشيد ومنهم الشيخ ابراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد الجارم ، الشافعى الذى ولد برشيد سنة ١٢٠٦ هـ ونشأ بها ثم أتم دراسته بالأزهر وأخذ على علمائه منهم الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ حسن القويسنى وعاد الى رشيد ، وتولى الخطابة والامامة بجامع المحلى ، كما تولى قراءة المجالس على الكرسى به فى ليالى المواسم ، وتقلد منصب الافتاء برشيد على المذهب الشافعى ، وجاءت اليه وفود المجاورين تغترف من مناهل علمه ، وتوفى ودفن برشيد سنة ١٢٦٥ هـ .

الشيخ حسن بن غالب الجداوى (1)

مات فى هذه السنة فى ٢٢ سبتمبر ١٧٨٨ م الامام العلامة — احد المتصدرين — وواحد من العلماء المتبحرين حلال المشاكل ، وصاحب التحقيقات ، الشيخ حسن بن غالب الجداوى المالكى الازهرى .

ولد بالجدية فى سنة ثمان وعشرين ومائة والف ١١٢٨ هـ وهى قرية قرب رشيد وبها نشأ وقدم الجامع الأزهر — متفقه على بلدية الشيخ شمس الدين محمد الجداوى وعلى افقه المالكية فى عصره السيد محمد ابن محمد السلامونى وحضر على الشيخ على خضر العمروسى ، وعلى السيد محمد البليدى والشيخ على الصعيدى أخذ عنهم الفنون بالاتقان ومهر فيها حتى عد من الأعيان ، ودرس فى حياة شيوخه وافتى .

وهو شيخ بهى الصورة ، طاهر السريرة ، حسن السيرة ، فصيح اللهجه شديد العارضة ، يفيد الناس بتقريره الفائق — يحل المشكلات بذهنه الرائق — وحلقة ذكره عليها الخضر ، وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر .

وكان ينزل الى بلدة الجدية فى كل سنة مرة ويقيم بها اياما — ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاواهم ومواريثهم ، ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطوال السنة لحضوره — ولا يثقون الا بقوله .

ثم يرجع الى مصر بما اجتمع لديه من الارز والسمن والعسل والقمح وغيره وذلك مايكفى عياله الى قابل .... مع الحشمة والعفة .

ادباء رشيد

فى جو رشيد الوادع الهادىء الجميل ، وفى ظل تاريخها الذى يعبق بأريج العراقة والأمجاد ، وكما جادت تربتها الخصبة المعطاءة بأعلام العلماء وبالقادة والأبطال جادت بنخبة الأدباء وصفوة الشعراء ، الذين جمعوا بين رشاقة اللفظ وجزالة الاسلوب ورقة العاطفة وبراعة

---

(١) تاريخ الجبرتى ١٩٢٥

التصوير وسعة الخيال ، والذين سجلوا بأشعارهم أمجاد بلدهم وخلدوا أيامها الغراء فى قصائد عصماء .

وكانت أكثر هذه القصائد تلقى فى أحفال زاخر يؤمهـــا الأهلون على اختلاف ثقافاتهم حيث تركت طبيعة بلدهم أثرها فى نفوسهم وعقولهم فهم يتذوقون الشعر ويطربون له ، ويهتزون لسماعه .

وفى فترة الركود فى العهد التركى وعهد المماليك ، لم تخل رشيد فى خلالها من ادباء وشعراء ، الا اننا نقتصر فى هذا الباب على ذكر عـــدد من شـــعرائها المجيـــدين من الجيلين المـــاضى والحاضر .. ونذكر منهم المرحومين الاساتذة : محمد متولى البرلسى ، ويوسف الجريتلى ، وعلى بك الجارم ، ومحمود عبد الحليم الكبير — ومن الجيل الحاضر الاساتذة : حسن شهاب ، والدكتور عمر الجارم ، وشقيقه المرحوم فتحى الجارم .

ونورد هنا نبذة موجزة عمن واتتنا الظروف بالمامة عنهم ونماذج من أسفارهم محاولين اختيار القصائد التى تتصل بما نحن بصـــدده من تاريخ رشيد وأمجادها .

على الجارم

بقلم شاعر رشيد حسن شهاب

الكلام عن « الجارم » يحتاج الى مجلدات .. ولكنى سأقتصر الحديث على رشيديه .. مادمنا ننشر ترجمة حياته فى مؤلف عن تاريخ رشيد ..

ولد الجارم فى محراب الدين والعلم والأدب .. قبل الاحتلال الانجليزى بعامين .. وتعهده والده الشيخ (صالح) مفتى رشيد وعمه العارف بالله الشيخ (أحمد) أمام المسجد (المحلى) وكان تحفيظه القرآن شاغلهما الأول فحمل الطفل كتابه بيمينه .. ثم التحق بالمدرسة الابتدائية وفيها تجلى ذكاؤه عندما امتحنه وفد نظارة المعارف وعلى رأسه الشيخ (حمزة فتح الله) الذى طلب اليه أن يكتب على السبورة أمام حشد كبير فى الحفل المدرسى .. هذين البيتين :

رأى وفـد المعارف فى رشـيد .. رشـادا زانه رأى سـديد

فقـال مؤيـدا ماشـاع عنهـا .. رشـيد .. مابها الا رشـيد

وكأنما تنبأ كبير مفتشى اللغة العربية للتلميذ (على الجارم) أن يخلفه فى منصبه .. وبعد أن أتم دراسة الابتدائية التحق بالازهر الشريف .. مزودا فى صدره بكتاب الله وتتلمذ فى حلقة (الشيخ محمـد عبده) وغيره من العلماء الأجلاء ، وكان من رفاقه (طه حسين) حتى اذا حصـل على « شهادة العالمية » التحـق (بدار العلـوم) التى احتضنت عبقريته واظهرت شـاعريته .. وعندما تخـرج منها ١٩٠٨ كان ترتيبه الأول فأرسلته (نظارة المعارف) وكان على رأسها سعد زغلول فى بعثة علمية الى (لندن) وكان زملائه أوائل (مدرسة المعلمين العليا) وحين وصل الشيخ عاصمة الانجليز خلع زيه الأزهرى الدرعمى .. وارتدى الزى الافرنجى .. وعلى هذه الصـورة الجديدة التى أرسلها لأسرته كتب هذين البيتين :

لبست الآن قبعـة بعيـدا — عن الأوطان معتـاد الشجون

فان هى غيرت شـكلى فانى — (متى أضع العمامة تعرفونى)

وفى مصر عقب عودته اخذ يصعد درجات الوزارة .. فمن مدرس .. الى اســـتاذ .. الى مفتش .. الى كبير للمفتشين .. الى عميد (دار العلوم) التى تخرج منها الى عضو بالمجمع اللغوى .. منذ انشائه .. وفى هذه الحياة الوظيفية .. الف كتبه المدرسية وكان (للنحو الواضح) و (البلاغة الواضحة) أثرها الواضح .. فى التعليم والمتعلمين .. حتى اذا أحيل الى المعاش ســـنة ١٩٤٢ تفرغ للتأليف فكانت فترة خصـــبة وانطلق (ادب الجارم) ليثرى النهضة الأدبية فى مصر والدول العربيـــة وكان عضوا فى سلسلة (اقرأ) وله فيها مجموعة من المؤلفات كفارس بنى حمدان وسيدة القصور وخاتمة المطاف وغيرها ، ومن أجمل قصصه التحفة الأدبية التاريخية (غادة رشيد) والمقررة على طلبة وطالبـــات الاعدادية ، ومؤلفات (الجارم) كثيرة وقيمة أشاد فيها بالأمجاد العربية والاسلامية كما انه ظل فى (المجمع اللغوى) مصباحا منيرا .. ، أمـــا (الجارم الشاعر) فهو شيخ الشعراء وخليفة (شوقى) وله ديوان الجارم فى أربعة أجزاء ، ورشيد تطلق على عميدها (أمير الظرفاء) ومن تعبيراته الرشيدية الباسمة : « فى رشيد بين كل قهوة .. وقهوة .. قهوة .. » وكان للجارم خادم يؤزم الأمور .. أسمه (فرج ..) قال فيه :

كل الأمور اذا ضاقت .. لها فرج   الا أمورى ان ضاقت فمن فرج

وترجم (الجارم) نكتة رشـــيدية .. لبعض زملائه من مفتشى اللغة الانجليزية ..

فنقلها أحدهم الى الكاتب الساخر (برنارد شـــو) فاضحكته واعتبرها نكتة فنية بارعة .. وهاهى :

« أعـــور .. يمـــين .. يتأبط ذراع .. أعـــور .. شـــمال .. وأثناء سيرهما فى الطريق .. قابلهما صديق وصاح بهما .. أخرجوا الأعمى .. اللى فى الوسط .. »

وكم تغنى (الجارم) فى أشعاره برشيد .. وأشاد بجمالها وأمجادها .. فنظم فى حسنائها .. قصيدته الرائعة وأول قصيدة غنتها (أم كلثوم) فهزت الاوساط الادبية .. وكانت فاتحة صداقته مع شوقى ..

مالى فتنت بلحظك الفتـــاك   وســـلوت كل مليحـــة الاك

وقال فى رشيد ...

أرشيد وأنت جنة الخلد   لو أتاح الاله فى الأرض خلدا
حين سموك (وردة) زهى الحسن   وود الخدود لو كن وردا

وقال فى قصيدة اخرى :

أرشيد فيك لبانتى وصبابتى   والصهر والأخوال والأعمام
ونشأت فى ظل النخيل يهزنى   شوق الى أقبائها وغرام
انا كبرنا يا نخيل وحبنا   بين الجوانح شعلة وضرام
غنى لك القلم الذى أرهفته   أرأيت كيف تغرد الأقلام

وفى ٨ فبراير ١٩٤٩ سكت البلبل الشاعر الغريد .. وسكت صرير القلم الفريد . . وثكلت اللغة العربية عميدها وعميد رشيد ....

رشيد

للشاعر الكبير الأستاذ على بك الجارم

غاب الشاعر عن بلده رشيد طويلا ، فأنشأ هذه القصيدة يشيد فيها بجمالها وبمجدها القديم ، ويتألم لانتشار داء الفيل بها ، ويحث أهلها على ابتئصاله سنة ١٩٤١ .

جددى يارشيد للحب عهدا ... حسبنا حسبنا مطالا وصدا !
جددى يامدينة السحر أحلا ... ما ، وعيشا طلق الأسارير رغدا
جددى لمحة مضت من شباب ... مثل زهر الربا يرف ويندى
وابعثى صحوة أغار عليها الشـ ... يب ، حتى غدت عناء وسهدا
وتعالى نعيش فى جنة المـا ... ضى ، اذا لم نجد من العيش بدا
ذكريات ، لو كان للدهر عقد ... كن فى جيد سالف الدهر عقدا !
ذكريات مضت كأحلام وصل ... وسدى نستطيع للحلم ردا !
قد رشفنا مختومهن سلافا ... وشممنا ريا شذاهن ندا !
والهوى أمرد المحيا يناغى ... فتية تشبه الدنانير مردا
عبثوا سادرين ، فالجد هزل ... ثم جدوا ، فصيروا الهزل جدا
ويح نفسى،أفدى الشباببنفسى ... وجدير بمثله أن يفدى !
ان عددنا ليومه حسنات ... شغلتنا مساوىء الشيب عدا
جذوة للشباب كانت نعيما ... وسلاما على الفؤاد وبردا
قد بكيناه حين زال لأنا ... قد جهلنا من حقه مايؤدى
وقتلناه بالوقار ضلالا ... وهو ما جار مرة أو تعدى
ما عليهم ان هام عمرو بهند ... أو شدا شاعر بأيام سعدى ؟ !
شغف الناس بالفضول وبالحقـ ... د ، فان تلق نعمة تلق حقدا !
أرشيد ، وأنت جنة خلد ... لو أتاح الآله فى الأرض خلدا
حين سموك (وردة) زهى الحسـ ... ن وود الخدود لو كن وردا
توجت رأسك الرمال بتبر ... وجرى النيل تحت رجليكشهدا

وأحـاطت بك الخمـائل زهرا ... كل قـــد فيهـا يعانق قــدا
والنخيل النخيل ! أرخت شعورا ... مرسلات ، ومـدت الظل مـدا
كالعذارى يدنو بها الشوق قربا ... ثم تنأى مخافة اللوم بعـــدا
حول أجيـادها عقـود عقيق ... ونضار ، صـفاؤه ليس يصدا
يا ابنة اليـم لاتراعى فـأنى ... قـد رأيت الأمور جزرا ومدا
قد يعـود الزمان صفوا كما كا ... ن ، ويمسى وعيده المر وعـدا
كنت مذ كنت والليـالى جوار ... بك ، وكان الزمان حولك عبدا
كلما هامت الظنـون بماضـيـ ... ـك رأت عزمة وأبصرت مجـدا
بك أهلى ، وفيـك ملهى شبابى ... ولكم فيك لى مراح ومغدى !
لو أصابتك مسة الريـح ثارت ... بفؤادى عواصـف ليس تهـدا
أنا من تربك النقى ، وشعرى ... نفحات من وحى قدسك تهدى
كنت أشدوا به مع الناس طفلا ... فتسامى فصرت فى الناس فردا
من رزايا النبـوغ أنك لا تلـ ... ـقى أنيسـا ، ولا ترى لك ندا
قد جزيناك بالحنـان حنـــانا ... وجزينا عن خالص الــود ودا
ليت لى بعد عودتى فيـك قبرا ... مثلما كنت منبتا لى ومهـــدا

* * *

أصحيح أن الخطـوب أصـابتـ ... ـك ، وأن الأمراض هدتك هدا ؟
وغدا « الفيل » فيك داء وبيلا ... نافثا سـمه مغيرا مجـــدا ؟
كم رأينا من عامل هـــده الدا ... ء ، وأرداه وقعـه فتـــردى
كان يسعى وراء لقمـــة خبز ... ولكـم جـد فى الحيـاة وكدا
فغـدا كالصريع يلتمس الجهـ ... ـد ليحيا به فلم يـلق جهـــدا
ان مشى يمش بائسـا مستكينا ... كأسير يجر فى الرجل قدا (١)
خلفه من بنيه أنضـاء جـوع ... وهو لايستطيعللجوع سدا(٢)
كلمـا مـد كفـه لســؤال ... أشبعتها اللئـام نهـرا وطردا
أمن الحق أن نعيش بطـــانا ... ويجوع العليل فينـا ويصدى ؟

* * *

---

(١) القد : القيد .

(٢) انضاء : جمع نضو وهو الضعيف المهذول .

ولكم تلمح العيون فتــاة   مثل بدر السماء لما تبــدى
هى من نغمــة البشـائر أحلى   وهى من نضرة الأزاهـر أندى
تتمنى الغصون لو كن قــدا   حين ماست ، والورد لو كلن خدا
حومت حولها القلوب فراشـا   ومشت خلفها الصـواحب جندا
وارتدت بالخمار فاختبأ الحسـ   ـن ، يثير الشـجون لمـا تردى
لعبت بالنهى فأصـبح غيـا   كل رشد ، وأصبح الغى رشدا
حسد الدهر حسـنها فرماهـا   بسهام من الكـوارث عمـدا
طرقتها الحمى الخبيثــة ترمى   بشواظ (١) ، يزيده الليل وقدا
روضة من محاسن غالها الاعـ   ـصار حتى غدت خمـائل جردا
حل داء الفيل العضـال برجليـ   ـها ، وألقى أثقـاله واسـتبدا
كم بكت أمهـا عليهـا فمـا أغـ   ـنى نواح ، ولا التحسر أجدى!
ويحها،أين سحرها ؟ أين صارت   أين ولى جمالهـا ؟ أين ندا ؟
أين أين ابتسامها ؟ ذهب الأنـ   ـس ، ومال الزمان عنها وصدا
أين فتك العيون ؟ لم يترك الدهـ   ـر سيوفا لهـا ، ولم يبق غمدا
أين خلخالهـا ؟ لقـد خلعتـه   وهى تبكى أسى وتنفث صهدا
طار خطابهـا فلم يبـق فـرد   وتولى حشد يحـذر حشـدا
لسعتهـا بعوضـة سـكنت بئـ   ـرا ، وقـد كان جسمها مستعدا
ان هذا البعوض أهلك « نمرو   ذ » وأفنى مالا يعـد وأعدى
فاحـذروه فـانه شر خصـم   وتصدوا لحربه ان تصـدى
جردوا حملة على الفيـل أنجا   دا كراما ، ومزقوا الفيل أسدا
أرشتـيد دون المدائن تبقى   مستراضـا لكل داء ووردا ؟
يفتك السم فى بنيها فـلا تر   فع كفـا ، ولا تحرك زنـدا ؟
ثم تلقى السـلاح القـاء ذل   والجـراثيم حولها تتحدى
يا لعـارى ! فليت لى بين قومى   بطـلا يكشف الشدائد جلدا !
ظمىء الشعر للثنـاء ، فهـل آ   ن له أن يفيض شكرا وحمـدا ؟

* * *

(١) الشواظ : لهب لادخان فيه .

الشاعر المغمور

الأستاذ محمد متولى البرلسى

يقول عنه حفيده (١) :

كان أديبا شاعرا بطبعه ، ذهن كصفحة البللور ، غير أن البللور لاينعكس عليه ألا مايكون بين يديه ، ولكن هذا — المعنى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمع . ان مواهب ربانية لمعت فى أواخر القرن الماضى وتألقت فى أوائل هذا القرن ثم خبت وطواها التراب فى مستهل العقد الثالث .. أعجب به اخوانه ممن وأتتهم ظروف الحياة .. شعر يبدو على صفحات الجرائد ، ولكن تحت غير اسمه فيحكم الأدباء بأنه شعر من الطراز الأول ، ويقراه خليل مطران فيقول : ان صاحب هذا الشعر من طبقة شوقى وحافظ .

شغف بآداب اللغة الانجليزية فأجادها حتى كان فيها أديبا وكان يفد اليه فى رشيد كبار الأدباء الانجليز وقد اقتنى مكتبة جمعت أعظم الموسوعات الأدبية شعرا ونثرا من المجلدات الانجليزية .

أصابته محنة — مما تصيب به الحياة كرامها — ومما يلازم طائفة الأدباء فنقم على الحياة واحرق كل ما ذكرت عليك من كتب وآثار الا مااستطاع بعض افراد الأسرة اخفاءه منه وما التقطوه من فوهة التنور .

تزهد بعد ذلك وانزوى عن الناس وعكف على تلاوة القرآن وكتب الحديث فحفظ كتاب الله ومسند البخارى فى سنتين حتى أنه كان اذا استشهد بحديث فى مناسبة من المناسبات ذكر رقم صفحة البخارى وكان الناس يراجعون فيجدونه دائما على صواب .... وكان رغم أنفه ماهذ ادباء رشيد وغيرها من الكبراء الذين كانوا أخلاءه وتلامذته أيام الشباب

الحق اننى لازال الى اليوم حين اذكره تخنقنى العبرة — اذ أرى هذه العبقريات الفذة تمر فى بلادنا دون أن تفيد منها ودون أن تفيد هى من البلاد ولو بنصيب الأغبياء الأقزام ... ولكنى أحمد الله عز وجل أن قبضه اليه وهو — ولا ازكى على الله أحدا — قد بلغ من الورع والزهد مبلغ الأولياء الصالحين .

---

(١) هو الاستاذ المهندس الزراعى محمود محمد عبد الحليم — كبير خبراء القطن .

وهذه قصيدة مما استنقذ من شعره يصف فيها ضاحية حلوان ويتشوقها .

حلوان فاح شذاك ندا ... وعلى البلاد سموت ندا
والمجد عمك حسنه ... والحسن صادف منك مجدا
هذا وذا قد أكسبا ... ك مع السنا ثنا وحمدا
انت الجمال •••• مناظرا ... انت الصفا عهدا ومهدا
أنت المنى أنت ارتيا ... ح الروح أنت العيش رغدا
للنفس خير رياضة ... ولصحة الأجسام أجدى
وشفاء جسم المرء أجمـ ... ـل مغنما وألذ رشدا
عذراء حسن أنت قد ... جعلت لك الكثبان نهدا
حيث الطبيعة رصعت ... بقصورك البيضاء طودا
فكأنهن •••• لآلىء ... بالجيد منكس نظمن عقدا
أو أن أقمار السما ... بعثت لك الهالات وفدا
ياحبذا شمس الأصيـ ... ـل من النضار كستك بردا
واذا اختفت وافى الظلا ... م وبات يحشد فيك جندا
أجد السما قد جردت ... من بردك الزاهى فرندا
يسطو بمرهف صفحة ... لم ترع للظلماء عهدا
فأراك تحت سرادق ... من نور بدرك فيك فدا
بطرائف •• وبطائف ... لك ماستطعت لهن عدا
أنيستنى نعم النعيم ... وجنة الجنات خلدا
ورثت لك الأهرام سنى ... شغفا بمنظرك المفدى
أدهشتنى فلم يجدن ... من الوقوف اليك بدا
وسبيتهن كما سبت ... رجل النهى والحلم غيدا
آقسمن لولا النيـ ... ـل يمنعن طرن اليك وجدا
ولجين مائك قد صفا ... للظامئين اليك ••••• وردا
ألف الهوى ليلا وسنا ... ل لمن أطال السهد شهدا
هو قد شفا منى الصدا ... لكن أنا للوصل أصدى
قسما بمعهدك الذى ... أخلصته فى البعد ودا
لولا دواع الجـات ... ما اخترت عنه وعنك بعدا
فاليكما منى تحياتى ... مع النسمات تهدى

الاستاذ محمود عبد الحليم الكبير

وقد نعتناه « بالكبير » تمييزا له عن ابن أخيه الأخ محمود عبد الحليم عضو الهيئة التأسيسية للاخوان المسلمين — ولد رحمه الله فى أواخر العقد الأخير من القرن الماضى وتوفى فى أوائل الستينات . وهو أصغر اخوته الثلاثة ، نشأ فى بيئة تتسم بالعلم والأدب والدين فتعلق بأهداب الأدب وتتلمذ على خاله الأستاذ محمد متولى البرلسى وعكف على دراسة أمهات كتب الأدب واللغة وتضلع من دواوين كبار الشعراء من مختلف العصور .. وواتته قريحة وقادة وبديهة حاضرة وعاطفة مرهفة وثروة أدبية زاخرة ، فكان نتاج قلمه من نار وشعر فى مصاف نتاج من انتهت اليهم زعامة هذين الفنين فى مصر ، غير أن شدة شغفه برشيد وبالغ تعلقه بها ، قضى عليه بأن يعيش بها ماعاش فى شظف من العيش ثم يموت دون أن يعرف قدره أحدا . اللهم الا قلة قليلة من تلامذته من ادباء رشيد وشعرائها.

ومن غرر قصائده قصيدة القاها فى حفل تكريم أقيم لأول طيار مصرى بعد أن اتم دراسته فى انجلترا ، حضر الى مصر يقود اول طائرة حربية مصرية ، وقد صافحه الملك ، وكان فى استقباله كبار رجال الدولة وعلى رأسهم رئيس الوزراء ووزير الحربية ، ذلك هو الطيار (اللواء فيما بعد) محمد عبد المنعم الميقاتى ابن رشيد .

وفى أواخر الثلاثينات أنشأت الطبقة المستنيرة فى رشيد جمعية سموها « جمعية اصلاح مدينة رشيد » كان شاعرنا سكرتيرها . وتم على يد هذه الجمعية انشاء مصيف فى رشيد عند ملتقى النيل بالبحر الأبيض المتوسط ، وجاء مدير (محافظ) البحيرة فى ذلك الوقت لافتتاحه فالقى بين يديه هذه القصيدة .

وفى أوائل أيام ثورة ٢٣ يوليو رأت الحكومة الاحتفال بذكرى انتصار رشيد على الجيش الانجليزى فى سنة ١٨٠٧ فالقى شاعرنا القصيدة التالية :

وكان آخر أيامه ناظرا لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم برشيد .

ذكرى انتصار رشيد

فى ٣١ مارس سنة ١٨٠٧ على جيش الانجليز المغير

للأستاذ الشاعر محمود عبد الحليم

صحائف مجـد يومك يارشـيد ... لدى الدنيا هى المثـل الشرود
أتـاك فريزر بعتيـد جيش ... تضـيق بكثره منك الحـدود
يـروم كظنـه اخضـاع مصر ... لسطوته ويسبقه الوعيـد
ويجعـل من حماك الحر حصنا ... له تحتـله تلك الحشـود
تطامن المغـرور يهـز عطفـا ... ترنحه المدافـع والجنود
تخيل جيشـه قـدرا متـاحا ... مبيدا للخصـوم ولا يبيـد
اذا مارام تسـليما وفـوزا ... أتـاح لـه المنى الحظ السعيد
فحسـبك جـولة قـد لاتثنى ... ويكفى منـه زحـف لايزيد
وماذا يقتضـيه الأمـر الا ... مباغتـة يشيب لها الوليـد
متى تمت يخـور العـزم منـا ... فـلا نبـدى حراكا أو نعيـد
وأقبل سـادرا فى الغى بـاغ ... مدلا يوم خانتـه الجـدود (١)
وحانت من طلائعـه جمـوع ... بلون الدم جانبها السـعود (٢)
تضج وما رأت شـبحا تصدى ... تزمجر من حناجرها رعـود
وجاست فى الديار تريد صـيدا ... أذاها بغتـة ، وهى المصيد (٣)
تناوشها الرماة وحاصرتهـا ... كماة الشعب قادته الأسـود
وحل بهم بلاء المحق فـورا ... فهـم قتـلى وأسرى أو طريد
وما كادوا يقـر لهم قـرار ... وما اسطاعوا لطيتهم يعـودوا
كأن الشعب حـين يحـز فيهم ... مناجل مزارع وهم الحصـيد
كأن رجالنـا رسـل المنـايا ... تجرع كأسهم قـوم رقـود

---

(١) الجدود : جمع (جد) وهو الحظ .
(٢) السعود : جمع (سعد) وهو ضد النحس .
(٣) المصيد : الذى وقع عليه الصيد يعنى : اراد ان يصيد غيره فوقع هو فى الصيد .

فتوجت السـيوف بـكل رأس تقضى عمـره أشر كنـود (٤)
تحـكم فى عبـاد الله ظلمـا يمثـل سـيدا وهـم العبيـد
يتيه بعنجهيته غـــرورا عـلا أوداجـه الصيت البعيد
تشبث يرتقى الأهـــرام قسرا فخر لقى وأعجـــزه الصعود
فهـذا يومك الأسـنى رشـيد وذاك خصمك العانى الحقـود
فحيا الله يومـك من سـعيد أحناء بذكره العـام الجـديد
وشاهت من أعـاديك وجـوه وكم هتفت به الدنيـا تشيد
فدمت بريئـة من كل سـوء ودام لشـعبك العيش الرغيد

* * *

وقـل للانجليز على هـدوء حـذار فمصر شـيطان مريـد
سلى التاريخ كم أمم طـواها وحسبك من جواب مايفيـد
ذروا الحسد المقيت لتستريحوا محال للحسود لنـا يسـود
فلا استعمار بعـد اليوم يبقى وهيهات الزمـان به يعـود
فان عدتم الى العدوان يومـا أتيـح لنـا به نصر جـديد

---

(٤) الكنود : هو الجاحد .

تحية ومناجاة

القصيدة الخالدة التى ألقاها الشاعر المطبوع الأستاذ /
محمود عبد الحليم فى حفلة تكريم الطيار الرشيدى الجرىء
(اللواء عبد المنعم الميقاتى) فى مساء ٦ يونيه سنة ١٩٣٢

الا حى البواشق والمطارا … ودع ذكر النجائب والبخارا
وحلق فى سماء المجد وأرفع … على هام السما لهموا منارا
فثم مكانهم بين الدرارى … تسابق فى مسابحها نثارا
بمنزلة من العليا تساما … بواشقنا وقد أمنوا العثارا
علو من فوق هام الشهب متنا … تحف به الكواكب حيث سارا
يطل على الممالك من علاه … ويجتاز المهامة والبحارا
وقد أحيوا لنا مجدا عريقا … سواهم ناله مجدا معارا
أبيسوا من بنى العرب الأولى … الى الطيران قد سبقوا ابتكارا

* * *

محمد بل ونسر رشيد فخرا … لأنت شعار مجد لايبارى
الست من الأولى رفعوا لمصر … على هام السما علما فخارا
جمعت الى عليا الأبطال ظرفا … وجرأتهم الى خفر العذارى
وزنت الهمة العليا بخلق … يضم الى تواضعه وقارا
وسخرت الرياح لمجد مصر … فشوقا قلب مصر اليك طارا
تطلع نحو طائرة بيمن … تحوم على الحمى تحمى الديارا
(بدت كالنجم يسطع فى سناه … فخلنا أنها صيغت نضارا)
يقود زمامها بطل جرىء … له الأرياح تخضع حيث دارا
ويقتحم المخاطر ليس يلوى … عليها بل يخوض بها اقتدارا

* * *

رأت فيك الشبيبة رمز بر … وتضحية وآمالا كبارا
فقامت تحتفى بك عن ولاء … وتزهوا بالأخ البطل افتخارا
وحسبك فزت من تقدير مصر … وحظوتها بما يسموا اعتبارا
فصافحك المليك فأى فخر … حبيت كفاك فخرا وانتصارا

تحية وثناء وذكرى

بحضرة صاحب السعادة الشهم الهمام العالم العامل
والادارى الحازم محمد توفيق رضوان بك مدير البحيرة
ومنشىء مصيف رشيد
القيت بين يدى سعادته فى حفلة افتتاح هذا المصيف
فى يوم الأحد ٢ يوليو سنة ١٩٣٩

أزلفت عدنا فجد بالفتح رضوان ... هذا المصيف ودار الخلد سيان
انظر ألست ترى وصف النعيم بها ... فالسوح ترتادها حور وولدان
والنيل كالكوثر الصافى تحف به ... وصنوه الأبيض الزخار شطآن
هذا يعانق هذا فى مداعبة ... فلا يشوب الصفا بغى وطغيان
بدا انبساط اللسان العذب بينهما ... **تشجيك** من حوله للموج ألحان
يجلو الطبيعة فى أبهى مظاهرها ... فالحسن للمجتليه ثم ألوان
الرمل تبر تروق العين صفرته ... والبحر فيروزج والنيل عقيان
والجو رق وقد راقت غلالته ... فأعجب له فهو مكسو وعريان
وكيف هبت عليلات نسائمه ... وكيف صحت بها للناس أبدان
فى الشاطئين لعف اللهو متسع ... وفوق متنيه للمرتاض ميدان
حوى المرافق والأنوار ساطعة ... مما اليه يشوق النفس تحنان
من اى ناحية رمت الكمال به ... بدا لعينيك فيها منه عنوان
فى التو نسقت أسباب النعيم به ... كعرش بلقيس جاء به سليمان
كلمحة الطرف أو مثل انتباهته ... اذا بهذا الفضاء الغمر عمران
صنعت الجمال الذى شد الرحال له ... من الحواضر والأمصار ركبان
كم مشكلات جسام قد صمدت لها ... وراض جامحها دأب وامعان
هذى خوارق عادات أتيت بها ... فيها تجلى لماضى العزم برهان
هذى رشيد سرى روح الحياة بها ... وصح بالبعث للمرتاب ايمان
حسب الثنا ذكر ما أسديت من نعم ... فالعجز فى موقف الشكران احسان
كيف الثناء لمحيى النفس بعد بلى ... وحسن فأل وتوفيق ورضوان
وفى اسمك الخالد الميمون محمدة ... بلى وانى لمهدى الروح وشكران

محمود عبد الحليم

ناظر مدرسة المحافظة على القرآن الكريم برشيد

شاعر رشيد..

بقلم حسن شهاب

كتبت ترجمة لحياة « الجارم » عميد رشيد وعميد الأدب وخليفة (شوقى) ، فى هذا المؤلف التاريخى لنجيبى وتلميذى (الحاج عباس السيسى) الذى طلب الى ان اكتب صفحة عن تاريخ حياتى الأدبية .. وكانما أراد أن ينتقم لنفسه ولجيله .. الذى طالما أمتحنتهم .. وأعتززت بتدريسى لهم فشقوا طريقهم فى الحياة بنجاح .. وقد ملكتنى الحيرة .. وراودنى التردد .. وتساءلت كيف يكتب المرء عن نفسه .. وأخيرا نبتت فكرة .. أن يكتب (حسن شهاب) عن (شاعر رشيد ...) فتحرر الشخصية الخاصة .. الشخصية العامة ويحتضن القلم الثائر .. براعة شقيقه الشاعر .. فوضعهما التاريخ .. أمام مرآته ليختار .. فلعل اختياره يكون حسنا .. حتى يقص على ابنائه .. قصة تأدبه وأدبه .. وها هى :

فى صدر القرن العشرين .. وفى بيت من بيوتات رشيد .. القائمة بين شارع شهاب .. وحارة شهاب .. وفى رحاب مسجد (الشيخ تقه) وفى يوم من أيام شهر مارس الباسمة .. ولد شاعرنا لتعانق بسمته .. ابتسامة الربيع وتشرق اشراقته .. ويحكى نضارته .. وبعد عام واحد فقد الوليد والده .. وهز المصاب الأسرة الرشيدية .. التى تربطها وشائج القربى .. وتظلها أواصر النسب .. وتضمها روابط المصاهرة .. فاذا اليتيم موضع الرعاية من الجميع .. وهكذا شب الطفل على الحب .. حب وطنه الأول ومحبة أهله .. ولما كان الشاعر تولد معه موهبته .. فعندما اختفت ابتسامته الساحرة .. حلت محلها ابتسامته الساخرة .. فصاحبته رشيديته .. وعلمه اليتم .. كيف يجيد فن الرثاء .. فكان أول من أقام حفلات التأبين .. وكانت أولاها عام ١٩٢٥ بالمسجد (المحلى) تأبينا لأستاذه الذى علمه الشعر وكفل ثقافته .. ذلك هو الشيخ العالم (عبد الفتاح الجارم) حين قال فى رثائه :

عشرون عاما ..بعد موتك والد ى (حفظ الوداد) فكدت لا اتيتم
أحمل الى ابنى السلام وقل له (حسن) يقبل راحتيك ويلثم

كما رثى شقيقه الأديب الشيخ (عبد المحسن الجارم) — والد الدكتور عمر — الذى كان صاحب الفضل فى تشجيعه وتوجيهه وقد فجعت رشيد فيه وهو قائم يصلى فى المحراب اذ ناده الوفاة ... وهو يؤم الناس للصلاة .. فى يوم جمعة سنة ١٩٣٠ م بالمسجد المحلى فهزته الفاجعة قائلا :

حدباء تنقل فى الأنـام وتسرع   تلقيهمو عند القبور وترجـع

ثم وصف الحادث

أوصيتهم بالصبر حين خطبتهم   أيفيد صـبر فى رواك وينفـع
وبكى (المحلى) والصلاة مقامة   ومذاهب الدين الحنيف الأربع

ومن قبله رثى قطب رشيد ووليها العارف بالله الشيخ (احمد الجارم) الذى بارك شعره ، وقد أحنت التقوى امام (المحلى) اكثر من خمسين عاما فكان يسير كما وصفه شاعرنا :

كم سار محنيا .. يناجى ربه   فكأنه مـازال فى الركعـات

خفت موازين الرجال فويلهـم   وثقلت ميزانـا من الحسـنات

وهكذا قام شعره بعرفان الجميل لأسرة احتضنته شاعرا .. وفى القاهرة كان يحضر مجالس (الجارم) وعندما عين مدرسا بمدرسة رشيد التى تخرج منها وكان ذلك عام ١٩٢٣ جعلها مركزا للأشعاع ... وكون من الأهالى (مجلس الآباء) فكان أول مجلس فى مديرية البحيرة .. واسند اليه الناظر مادة (التربية الوطنية) المقررة حديثا فكانت فرصة رسمية اتاحت له ان يغرس فى قلوب تلاميذه حب رشيدهم .. وأن يكرم امجادها فجعل يوم انتصارها عيدا قوميا (٣١ مارس ١٨٠٧) كما أزال غبار النسيان والاهمال عن (حجر رشيد) فكان أول من طالب فى الصحف ان تصدر (هيئة البريد) طابعا تذكاريا (لانتصار رشيد) وآخر عن (الحجر اللغوى) — حجر رشيد ومكتشف طلاسمه العالم الفرنسى (شمبليون) وقد صدر الطابعان .

ونظم الاناشيد المدرسية والوطنية كما حول بعض الدروس الجغرافية والتاريخية الى أراجيز ومسرحيات .. ومنها جغرافية رشيد المحلية حتى يسهل حفظها ..

تلاميـــذ الســـــنة الأولى بالمدرســـــة الابتدائيـــة
بطلــت حـــواديت (الغولـــة) حواديت اليـــوم علميـــــــه
علمـــه لنــــا (الافنـــدى) فى دروسنا الجغرافيــــــــه
حنقـــدم لــــك رشــــيدنـــا ورشــــــيد أحســـن هديـــة
« بالبـــرج » تحـــد شــــمالا وجنوبـــــا « بالجـــديـــة »
شرقـــا بالنيــــل الجــــــارى غربـــا بتــــلال رمليــــــة

وفى مواجهة (لصدقى باشا) رئيس الوزراء أثناء زيارته رشيد ١٩٣١ عندما استضافه الملك (فؤاد) فى قصره بأدفينا .. وفى حفل احتشد فيه الفلاحون اسمعه شاعرنا صرخة رشيد الظامئة لحرمانها من المـــاء .. الذى يغتصبه التفتيش .. قائلا :

بلد على النيل الســـعيد وانمـــا حرمت وربك أن تذوق النيـــلا
أتكـــون بنت النيـــل عند مصبـــه ويكون والدهـــا الكريم بخيـــلا

وأحدث هذا الشعر ضجة كبيرة دعت الخاصة الملكية أن تصـــدر بلاغا تنفى فيه أن تفتيش ادفينا يحرم رشيد من مياه الرى ...

ولشاعر رشيد ديوان أسمة « فى موكب الذكرى ــ حطام قلب » فى رثاء زوجته التى فجع فيها ١٩٦٦ وكتب مقدمتـــه شـــاعر مصر الكبيـــر (عزيز أباظه) وقال عنه انه ثالث ديوان يخصص للمرأة .

والوفاء فى رشيد ميزة تمتاز بها عائلاتها .

وبعد ! فهل جلونا (شـــاعر رشيد) فى مرآة رشيدية .. صـــقلها الأدب .. ولعلنا انصـــفنا الحق والحقيقة .. وابتعدنـــا عن المبالغة والغرور ،

تحية رشيد

لشاعرها : حسن شهاب

قلبي هجرت الفاتنات الغيــدا وعشقت أم الفاتنات « رشيدا »
وطني ولدت على يديه معــانقا ورضعت ألبان الوفاء وليـــدا
رفعته أجــداد لأسـباب العلا فسـموت آباء بــه وجـدودا
ماضــيه أمجاد تسود مفاخــرا أرأيت (كالبلد الرشيد) مجيدا
من عهد (فرعون) يشع حضارة وينير بالزمن القديم جـــديدا
هذا مصب النيل • هــذا صبه صنع الحياة •• بضفتيه عنيدا
لولاه ما عرفت حضارة مصرنا كلا ولا شــهد البنــاء خلودا
كم صد أعــداء تـروم لواءه هزم الطغاة مجـاهدا صنديدا
آثــارنا كانت تعيش حجــارة فاذا (رشيد) تنطق الجلمودا
ظهرت حضارتنا وأشرق نورها وبدا لنا تاريــخ مصر عتيــدا

* * *

أشهدتما يوم القتــال بأرضها قهرت عــدوا للبــلاد لــدودا
قد جاء يغزوها فــريزر قائدا فغزته : لم تترك لديه جنــودا
أفنتهموا بلد الرشيد بســـالة وغدوا بها تحت الرمال رقــودا
خدعته أزهار •• وبسمة ثغرها فجناه••شوكا•• لا يخون ورودا
هذى مساجدها••وتلك حصونها حفظت لنا الوطن العزيز وطيدا
(الله أكبر) بالمــآذن جلجلت وسمت تحيى الخالق المعبــودا
هذى (روزتا) يا فريزر أينعت من بعد ماحكت الورود خدودا

* * *

ثغر على البحرين يبدو باســما ويرى مصيفا مشرقــا وفــريدا
بلد الدعابة والنــكات سـلاحها يا طالمــا قتلت بــه عربيـــدا
فعذوبة النيل السعيد بثغرهــا وملاحة •• صنعت ملاحا غيــدا

* * *

مرحى تلاميذى وطلاب العــلا انى أحيى فيكمــوا المجهــودا
(حرية حمراء) خضنا ساحها لنرد للوطن العزيز وجـــودا
فغرست في الأبناء حب «رشيدهم» فتبادلا الحب الرشيد سـعيدا

بينون للوطن العــريق حيــاته | أرأيت كالبنا •• يســود مشيدا
طوبى •• رشيد فتيها وشبابها | شــعب مضى للنيرات صــعودا
ورشيد للخلق العظيم «مدينة» | والدين باركه الاله عمـــــودا
(أخى) يحمل باليمــين كتابه | ليظل للمجـد التليـد شــهيدا
ورشيد (حسنائى وراوية) العلا | ما زلت أنشدها الحيــاة قصيدا

* * *

دكتور عمر عبد المحسن الجارم

اتم تعليمه الأولى والابتدائى برشيد ثم ذهب الى المدرسة العباســية الثانوية بالاسكندرية ، وهناك أنطقه الحنين لبلده بأول شعر قال ، ثم التحق بكلية الطب وتخرج فى جامعة الاسكندرية التى أرسلته فى بعثة الى أنجلترا لدراسة الأمراض النفسية والعصبية وهناك قضى مايزيد عن عامين وعاد ليؤسس قسما خاصـــا لتلك الأمراض فى كليته ، وهو الآن رئيس له كما أنه رئيس لأقسام الأمراض الباطنة العامة ، وله مؤلفان فى الأمراض العصبية ومؤلف فى الأمراض النفسية تقوم بنشرها دار المعارف.

ومن هوايته الادب والشــعر وهو الرئيس المنتخب لهيئــة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية التى أتخذت عيادته مقرا مؤقتا لها ، وهو كثيرا مايشترك فى المناسبات الوطنية والدينية والثقافية التى تقيمها تلك الهيئة .

وهو من المهتمين بشئون بلده رشــيد ، يذهب اليها فى الاجـــازات والأعياد ، ويدعو لاجتماعات تعقد فى عيادته لاستقبال أبنـــاء بلدته الذين يتوسم فيهم خيرا للنهوض بتنفيذ مشاريع اصلاحها .

واليك احدى قصائده التى تدور حول رشيد .

صحوة رشيد

للأستاذ الدكتور عمر الجارم

قامت فى رشيد روح جديدة تدعو الى اعادة مسجد المدينة واستقر الرأى على انشاء جمعية تعاونية لتنشيط الصناعات البيئية والسياحية ، وكذلك العمل على احياء مصيف رشيد عند ملتقى النيل بالبحر ، ثم بعث معهد زغلول الدينى الذى كان يضارع الأزهر فيما مضى ، وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة فى الحفل الذى أقيم للعمل على تحقيق تلك الأمانى وللدعوة للاسهام فى الجمعية التعاونية .

اجمعوا الشمل الذى قد بددا   واضمموا الأيدى يدا تعلوا يدا
يبسط الله عليها ساعدا   ويمد العون منه منجدا
وانهضوا اليوم ، فقد كانت لنا   وثبة بالأمس ، نرجوها غدا
بلغت فيها (رشيد) منزلا   ذكر العرب زمانا أمجدا
حسبوها قد حوت (هارونهم)   فرنت (بغداد) تبغى السيدا(١)
اذا ترامى الضوء منها مثلما   قد ترامى من منار مرشدا (٢)
تنشر العلم وضيئا مشرقا   وتضم العيش رحبا أرغدا
ونكات تطرد الهم اذا   صادفت (عباس) يغدوا (أسعدا)
يرحم الله زمانا : ان مضى   سوف نلقى العود منه أحمدا
لا تصكوا الكف بالكف أسى   واضربوا اليوم لعود موعدا

* * *

حسبنا ما قد عرانا ، فانظروا   هل ترى الأعين الا همدا ؟ !
فاجمعوا المال ، وخلوا سره   يبعث الروح ويحيى الجسدا
أسهموا ... فالسهم ما أخطره   ان يكن فى جملة أو مفردا

---

(١) المقصود هو (هارون الرشيد) الخليفة العظيم وكانت بغداد عاصمة الدولة العباسية .

(٢) اشارة الى منار أوفنار رشيد عند مصب النيل فى البحر المتوسط .

سددوه ••• نحو غايات لـكم يجـد الفقر به حـد الردى
وادفعوا ••• عنكم به ما مسكم يدفع البؤس الذى قد رقدا

* * *

مبلغ ••• القـول ، وما أبسطه انه يصلح ما قـد فسـدا
ان أتى سـهم قتـال بأذى جـاء رحمى وغيـاثا ونـدى
انه الزاد لمن يشكو الطوى * ويراه المـاء من عانى الصدى
ـم حبـانا الله من آلائـه وأياديه التى لـن تنفـدا
تتفـد الأيـدى اذا ماحاولت حصرها غـدا ، يدا تتلوا يدا
ذلك النيل ـ يمينا ـ سلسل نبعه من كوثر الخـلد بـدا
راح بالخـيرات يجرى تحتنـا ويفيض من عطاياه اغتـدى
كم سقى النخل فآتى طلعـه أحمرا أو أصفرا أو أسـودا
لو رآه (آدم) فى حينـه هجر التفاح ، ما مـد اليـدا
وتلال الرمل فى وهـج الضحى نثرت حـول (رشيد) عسجدا
فبـدت مثـل عـروس نقطت أين من زفتها (قطر الندى)؟!(١)
حبـذا فيهـا مصيف عجب جمع العـذب وملحـا مزبدا
اذ مشى الأسمر فى همس الى أبيض ثرثار دومـا أبدا (٢)
عشـة فيـه ، وما أبسـطها تفضل القصر،فيا من وعدا**
أنت فى وكر ، فعش فى جـوه طائرا طـلق الأمـانى غـردا

* * *

(*) الطوى : يعنى الجوع . والصدى : يعنى الظمأ .

(**) يعنى ياسعادة من حظى بعشة فى رشيد لأنها أفضل من قصر فى غيرها من البلاد .

(١) (قطر الندى) هى بنت الخليفة التى تزوجت لابن حاكم مصر ، وكان عرسها يضرب المثل فى البذخ والفخامة .

(٢) قيلت هذه القصيدة قبل مشروع السد العالى حيث كانت ميـاه النيل السمراء تندفع الى أمواج البحر الأبيض المتوسط .

بلدة لله ... مـا أكرمهـــا   أنزلتـــه كل درب مسجـــدا
دخلت فى الدين لـمـا جـــاءها   كلها ، لا عنوة بل عن هدى (١)
بين (مندور) و (منصور) لها   ساحل طوبى له من قصدا (٢)
حـــل فيهـــا (للمحلى) يمنـــه   وسرى (النور) يردم الفرقـــدا
سائلوا (الأزهر) عن (زغلولكم)   كيف سامى علمه والصـــــمدا
وانظروا اليـــوم الى أطـــلاله   بعضها قـــام وبعض ســـجدا
أنقـــــذوه يحفـــظ الذكر لكم   وابعثوا فيـــه جـــديدا معهدا

* * *

يا بنى أهلى ويا أحفـــــاد من   هزموا فى حومة الحرب العدا(٣)
لا تضنوا اليوم بالمـــال فقـــــد   بذل الاجـــداد أرواحا فـــدى
ننشـــد الآمال فيـــكم ، فلتعوا   ما أجـــدت اليوم فيكم منشدا
قد حفظنا الشـــعر فى موطننـــا   فاحفظوا العهد صونوا البلدا(٤)

---

(١) جاء فى التاريخ ان (رشيد) لـمـا جاءها الاسلام دخلت فيه كلهـــا عن عقيدة وايمان .

(٢) فى هذا البيت وما يليه اسماء لمساجد رشيد .

(٣) أشارة الى هزيمة الانجليز فى موقعة رشيد سنة ١٨٠٧ .

(٤) أشارة الى أن أسرة الشاعر قد حافظت على الشعر فى رشيد ورفعت لواءه فى العالم العربى .

فتحى الجارم .. زجال رشيد '

ولد برشيد فى ابريل ١٩٠٩ ونشأ فى أسرة تعتبر بيت دين وأدب ، وترعرع فى هذه البيئة وبدأ ينظم الأزجال والأشـــعار فى ســـن مبكرة ، واشتغل بالاشراف على زراعة أسرته ، ولكن شغله الأكبر كان الاهتمام بشئون رشيد العامة فغدا المعبر عنها وعرف (بزجال رشيد) ، وعمل بالسياسة فكان الوفدى المتطرف وسكرتير لجنة الشبان الوفديين ، وكان مراسلا لجريدة الأهرام واستغل صفحاتها فى نشر أخبار رشيد والمطالبة بأصلاحها ، وكان عضوا بارزا فى المجلس البلدى المنتخب ، ينوب عن الأعضاء فى عرض مطالب المدينة بالزجل الذى يلقيه عند استقبال مدير أو وزير ، وكان عضوا فى نادى البلدية يستقبل ضيوف المدينة ويحدثهم عن أمجادهم ، وكان عضوا فى جمعية المحافظة على القرآن الكريم وطالما اشترك بأزجاله فى حفلاتها الدينية ، كما أنه كان عضوا فى جمعية البر والاصلاح وداعية بأزجاله لأغراضها .

أما عن أخلاقه فقد كان رقيق الطبع يصادقه من رآه لأول مرة لبشاشة محياه واناقة مظهره وحلاوة حديثه ، وكان بحـــق انس المجلس الذى يضمه بحديثه اللبق وروحه الخفيف .

وتقضى نحبة فى ٥ مارس ١٩٥٥ فكان موته خسارة كبرى لرشيد .

الإسلام

بعض الزجل الذى القى فى حفلة انشاء جمعية المحافظة على القرآن الكريم برشيد عام ١٩٣٢ بمنزل محمد بك طبق رئيس الجمعية .

قوموا انهضوا لموا صفوفكم — واحموا الاسلام
ازاى نعيش ازاى نسكت — والدين ينضام ؟ !
المسلمين صبحوا أذلة — مالهمش مقام
لما تركنا ديانتنا — بتنا أيتام
حرام علينا لو نسكت — والله حرام
الدين له فرض ف ذمتنا — وازاى ح ننام
صونوا الأمانة
احموا الديانة
كيدوا عدانا

وقولوا فليحى الاسلام

* * *

يا مسلمين الله يرحم — ابن الخطاب
اللى بجيشه وبسيفه — نصر الأعراب
لدين محمد بشجاعته — فتح الأبواب
فتح العراق لما لغزة — حتى السنجاب
دوخ ممالك بتحاربه — بالسيف والناب
معاه أسود واقفه تحارب — ما تخافش عذاب
بقلوب فتيه
ونفوس أبيه
تروح ضحيه

والدين يعيش ركنه منقام

* * *

مدد مدد يا متولى — آدى وقت الجد
ركن الديانة يا خونه — قرب ينهد
ماشيين كسالى ف جهادنا — والأجنبى مد

وكان لنـا صـوت بيسـمع
يشـبه الرعـــــد
حالتنـــا صـــبحت تلفـانه
والجـــو اســـود
مافيناش نفس يطفى فتيـــله
ما بقـاش لنـا حـد
عايشـــين همــل
ضـــاع الأمـــل
ايـــــه العمـــل

يا رب لطفك بالاسلام .

* * *

ايدكم ف ايـدنا نقـوم نحمى
مجـــد القـــرآن
ونعيـد مفاخـر أجــدادنا
ونعيش ف أمـــان
ضـحوا بمالكم دا جميعنـا
ف الدين اخـــوان
عاوزين كرم عـاوزين نبنى
للـــدين بنيـــان
آن الأوان وانتبهنـــــا
فـوق يـا غفـلان
حافـظ على القـرآن وانهض
ما تكونش جبـــان
قـــرآن كـــريم
تنزيـــل حـــكيم
ذوقـــه ســـليم

وفيه حكم تشفى الآلام

الحاج يوسف

وتنقضى الأعوام والأجيال ولا تزال شخصية الحاج يوسف حاكم رشيد شاخصة أمام المعمرين من أهالى رشيد يتحدثون عنها كأنها لاتزال صاحبة السطوة والسلطان ولا تزال هيبته مستقرة فى قلوبهم .

الحاج يوسف هو حاكم رشيد المطلق السلطان وهو من أصل تركى وهو الجد الأكبر للسيد زكى ثابت « الساعاتى » وأنجاله من بعده السادة محمد ثابت ومحمود ثابت ومعروف عن الرجل الشدة والصرامة والهيبة . وكان من عادته العسس بالليل والناس نيام للمحافظة على الأمن فى البلد ، وفيما هو عائد فى جوف الليل من عزبته فى برج رشيد ممتطيا صهوة جواده ومن خلفه خادمه عثمان ، وحينما قرب من سور رشيد عند قهوة الحمارة عند مسجد عرابى أشتبه فى انسان يحوم حول السور فأمر خادمه أن يضىء الشعلة فلما اضاءها شاهد رجلا منكمشا عند الجدار فترجل الحاج يوسف والتقى بالرجل ولكنه شاهد الى جواره قفه تقطر بالدم وعثر فيها على جثة انسان ، فقبض الحاج يوسف على الرجل الذى أنكر صلته بها أشد الانكار ، وكان الحاج يوسف حاكما ومحققا وقاضيا ومنفذ للأحكام — فقام بتتبع قطرات الدم فى الطرقات حتى وصل الى مكان . وكالة القنصل وكان بها فندق لاستقبال الزوار من كل مكان . فطرق على الخادم الباب فلما فتح سأله الحاكم عن رواد اللوكاندة فقال حضر من الشام ثلاثة وهم رقود الآن . فدخل الحاكم عليهم فوجدهم اثنين فقط وسألهم عن الثالث فحاروا فى الجواب ، واكتشف الحاكم آثارا للدم على الجدار فواجههم بالحقيقة وبهتوا واعترفوا انهم جاءوا من الشام ثلاثه ومعهم رسالة (نيلة) تستعمل فى الصباغة فباعوها بربح كبير وسول لهم الشيطان قتل زميلهم الثالث ليستأثروا بالربح وحدهم .

وكان من عادة هذا الحاكم أن ينفذ حكم الاعدام بأن يأتى بالمحكوم عليهم عند مكان بجوار مسجد (أبو مندور) ويربط معهم حجارة ثقيلة ثم يرميهم فى قاع نهر النيل .

ثم عاد الحاكم الى الرجل الذى وجده مختبئا بجوار السور وجلده خمسون جلده ونصحه أن لا يخرج بالليل بلا سبب أو دليل .

وللحاج يوسف منزل كبير يقع فى الحارة المعروفة باسمه على مسافة قريبة من مسجد الشيخ تقا . وفى عهد الحاج يوسف أختفى الملح من

من السوق وكان يباع فى السوق السوداء وكان هناك دكان واحد بجوار مسجد المحلى يبيع الملح ويعطى لكل مشترى ورقة حتى لا يقبض عليه ، وتصادف أن امرأة استطاعت أن تحصل على كمية من الملح فوضعتها فى قفة وحملتها وكانت تجهل مكان منزل الحاج يوسف ، وفيما هى بالشارع ادركت انها بجوار المنزل فحدثتها نفسها ان تدخل أى منزل فى الشارع وتختبىء فيه حتى يمر الحاكم ، وبينما هى تدخل المنزل اذا بالحاج يوسف ينزل فيجدها أمامه .

فيسألها عن حاجتها فتقول له أنا معى شوية ملح وخايفه من الحاج يوسف أحسن يشوفنى — فقال لها الحاج يوسف لاتخافى تعالى لماوصلك علشان الحاج يوسف مايقبضش عليك ، وقام الرجل وأوصلها الى آخر الشارع فقابلها الناس متعجبين مستفسرين فقالت لهم القصة — فقالوا لها انه هذا هو الحاج يوسف فوقعت المرأة على الأرض مغشيا عليها .

ولهذا الحاكم صور وقصص غاية فى الغرابة والجراة .

الحاج احمد طبق الكبير :

حينما نكتب عن الرجل التقى الورع الحاج احمد طبق الكبير انما نؤرخ لفترة من الحياة وحقبة من الزمن كانت فيها متمتعة بحياة روحية راقيــة وحياة اقتصادية منتعشة وستلاحظ من حياة الرجل الفاضــل وتصرفاته مدى الحقيقة الحلوة الطيبة التى كان يعيشها اهل رشيد فى هذا الزمان — ولعل حقيقة الرجل تنبئك عما كان عليه سلف هذا البلد .

كانت ملابس أهالى رشيد عادية ليس فيها أى تكلف فهى جلباب يمتاز بأنه يكسو كل الجسم فهو واسع ومريح . فأهل رشيد غالبا مايستعملونه فى ستر مشتريات منازلهم مثل الفاكهة واللحوم وخلافه حتى لايثيروا انتباه جيرانهم — والمثل الرشيدى يقول (دارى على شمعتك تنور) .

حدثنى محدثى الشيخ محمد أبو السعود — قال كان الحاج أحمد طبق (صار تجار رشيد) يعنى شيخ تجار رشيد ، كان صاحب مضرب للأرز ومعصرة زيتون ، كأن الرجل الصالح يخــرج من منزله الكائن بشــارع الشيخ قنديل مبكرا بعد صلاة الفجر ويأخذ طريقــه الي مكان المعضرة ،

وكان الرجل الشيخ الوقور يحمل معه مقطفا صغيرا به ارغفة من العيش وقد وضع فى لفائف عمامته قطعا من النقود فى مظاريف من الورق .

وكانت الكلاب تنتظر الحاج أحمد طبق عند مفارق الطـرق ، وكان الرجل يوزع عليها الخبز ثم يمضى فى طريقه .. فاذا قابله احد من الناس والقى عليه السلام سالهُ عن اسمه حيث كان هو ضعيف البصر . فاذا عرف أنه يستحق الصـــدقة ومد يده الى عمامتـه واخـرج ورقة ملفوفة واعطاها للرجل وساله الدعوات .

وكان الرجل يجلس دائما فى المعصرة وهى بجوار زاوية الكيكى ، وكانت له عادة أن يقرأ يوم السبت قرآنا بالمزار ــ وكان يسـمى اليوم سبتية العمدة ، وكان يحفظ القرآن كله ، وحين يختصر المقرىء فى قراءة القرآن فكان يردهم ، أو يسكت عنهم ، ولكن بعد تمام القراءة يسـألهم عن نوع الطعام الذى يرغبون فيه فيقول أحدهم أنا عاوز عسل وطحينة والآخر يقول عاوز طعمية بالبيض وهكذا ــ فيقول الحاج أحمد طبـق لخادمه ــ هات لهم كل طلباتهم .

عائلة الميقاتى :

عائلة الميقاتى فى رشيد من الأشراف ، عرفوا بهذا الاسم نسبة الى رسالتهم فى التوقيت للأذان والصلاة والصيام فى شهر رمضان ، وكان لهم مسكن تابع ملحق بمسجد زغلول من جهة القبلة وقد هدم هذا المنزل عام ١٩٥٩ م ، وكان الوصول من المسجد الى المئذنة يتم عن طريق باب على سطح المسجد .

وكان الميقاتى يعلن عن مواقيت الصلاة بواسطة علم ملون يرفع على المئذنة فى وقت النهار ، وبواسطة فانوس مضاء فى أذان العشاء والفجر، وحين ذاك يرتفع الأذان على جميع مآذن رشيد .

وكان آخر عهد رشيد بهذه العادة رفع العلم فى اذان المغرب فى شـهر رمضان المعظم ، ثم اصبحت هذه العادة فى خبـر كان ، بعد تواجـد (الراديو) ، (والتليفزيون) .

ولقد كان علم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو شرط من شروط صحة العبادة كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات الصوم والأهلة ، ولقد كان المقياتى فى رشيد يعتمد فى معرفة الوقت عن طريق

المزولة التى كانت مثبتة فى حائط صحن مسجد زغلول ، وكان اختراع المزاول من عمل عبد الرحمن كتخدا القازوغلى من الحجاز وكان من أرباب الفضائل وله رغبة فى العلوم والرياضة وقد أقام فى ولاية مصر الى العاشر من شوال ١١٦٣ هـ ـ ١٢ سبتمبر ١٧٥٠ م ، واقيمت واحدة من هذه المزاول بالجامع الأزهر فى ركن الصحن على يسار الداخل وأخرى بسطح جامع الامام الشافعى واخرى بمشهد السادات الوفائية وغير ذلك .

وكان فى رشيد ليلة خاصة تسمى (ليلة الميقاتى) وتكون فى ليلة ٢٧ من شعبان وتقام بمسجد زغلول بعد صلاة العشاء حتى صلاة الفجر فى الأذكار والأوراد ودلائل الخيرات وكان الميقاتى يولم فى هذه الليلة للعلماء والادباء ، وكان من عادة الميقاتى أن يجمع (المسحاراتية) وكان اكثرهم من حفاظ القرآن الكريم ومن الأدباء ، ليلقى عليهم بيانا بمواقيت الصلاة فى شهر رمضان ، ومما كان معروفا من أذان الأولة وأذان الثانية ثم السحور ثم أذان الفجر ، وكان للمرحوم العالم الجليل الشيخ عبد الفتاح الجارم الكبير قصيدة زجلية يحفظها المسحراتية ، وكانت فى غاية الجمال والنكتة ، وقد ذكرنا طرفا منها فى غير هذا الموضع ، ثم يقوم الميقاتى بتوزيع ما يسمى (الامساكية) على العلماء والتجار ، وكانت هذه أول ماعرف من امساكيات .

وكانت رشيد تلبس فى هذه الليلة حلة من الفرح والسرور والبهجة ، وكان مسجد زغلول قبلة أهل العلم والفضل ، وموئل عامة الناس وخاصة المحتاجين والفقراء .

عثمان البرديسى.. فى رشيد"(١)"

فى ٤ يوليو ١٨٠٣م وقع بين عثمان البرديسى ومحمد على باشا والى مصر وعساكره مقتلة عظيمة ـ وكبسوا على دمياط بمخابرة رؤساء عساكر الباشا وفتكوا فى عسكر الباشا بالقتل ـ وقتل خواصه وأتباعه ـ ونهبوا دمياط واسروا النساء وأخذوهن أسرى وفعلوا افعالا شنيعة من من الفسق والفجور ـ والتجأ الباشا الى القرية وتترس بها فأحاطوا به من كل جانب فطلب الأمان فأمنوه وأنزله البرديسى فى خيمة بجانب خيمته متحفظا عليه .

---

(١) مذكرات الجبرتى .

وفى ١٠ يوليو ١٨٠٣ م ورد الخبر بوصول على باشــا الطرابلسى الى الاسكندرية واليا على مصر عوضا عن محمد على باشا وحضر معه فرمان (خطابا) للامراء يعلمهم بوصوله ويذكر لهم أنه متولى الاقطار المصرية عوضا عن محمد باشا من اسكندرية الى أسوان .

وفى ١٢ يوليو ١٨٠٣ م وصل الخبر بأن سليمان كاشف لما وصل الى رشيد — وبها جماعة من العثمانيين وحاكمها ابراهيم افندى فلما بلغــه وصول سليمان كاشف أخلى له البلد وتحصن فى برج مغيزل — فعبر سليمان كاشف الى البلد — وخرج يحاصر ابراهيم افندى — وبينما هم على ذلك — اذا بالسيد على باشا القبطان وصل الى رشيد وارسل الى سليمان كاشف يعلمه بوصوله وحضور على باشا الطرابلسى والى مصر ويقول (ماهذا الحصار) فقال له نحن نقاتل كل من كان طرف حسين قبطان باشا ، وأما ما كان من طرف الوزير يوسف باشا فلا نقاتله وارتحل من رشيد الى الرحمانية ودخل السيد على القبطان الى رشيد .

وفى ٢٢ يوليو ١٨٠٣ عدى البرديسى من المنصورة الى البر الغربى متوجها الى رشيد فوصلها فى ٢٨ يوليو فوجد أن السيد على باشا ريس القبطانية تحصن ببرج مغيزل وغالب أهلها ثم جلا عنها خوفا من مثــل حادث دمياط فلما دخل عثمان بك البرديسى الى رشيد فرد على أهلهــا مبلغ دراهم يقال ثمانين الف ريال .

وفى ١٥ اغسطس ورد أخبار من البرديسى بنصرتهــم على العثمانية واستيلائهم على برج رشيد بعــد أن حاربوا عليه نيفا وعشرين يومــا وأسروا الســـيد على القبطان وآخرين معه وعــدد كثير من العســكر وارسلوهم الى جهة الشرقية ليذهبوا على ناحية الشام — وارتحل بعد ذلك عثمان بك البرديسى عن رشيد متوجها الى دمنهور قاصدا الذهاب الى الاسكندرية بعدما ابقى فى رشـــيد مملوكه يحى بك ومعــه جملة من العساكر وكذلك بناحية النباز — وهم كانوا من وقت محاصرة البرج حتى منعوا عنه الامداد الذى أتاه من البحر الأبيض المتوســط — وشــحن البرديسى برج مغيزل بالذخيرة والجبخانة وانزلوا برشـــيد عدة (فرد) ومغــارم وفتحــوا بيوت الراملين عنها ونهبوها واخذوا أموالهــم من (الشوادر والحواصل *) والأخشاب والأجطاب والبن والارز — وقلت الأقوات فيهم والعليق فعلفوا الدواب بشعير الأرويل بالارز المبيض وغير ذلك مما لاتضبطه الأقلام ولا تحيط به الأفهام .

* (الشوادر والحواصل) من الأماكن التى تخزن فيها الغلال وغيرها .

وفى ١٦ فبراير ١٨٠٤ م وصلت مكاتبات من يحى بك البرديسى حاكم رشيد الذى عينه سيده عثمان بك البرديسى يخبر فيها بوصول محمد بك الألفى الكبير الى ثغر رشيد يوم الاربعاء ٣ فبراير وقد طلع على ابى قير وحضر الى ادكو ثم الى رشيد فى يوم الأربعاء المذكور ... وقصده الاقامة فى رشيد ستة ايام .

فلما وصلت تلك الأخبار — عملوا (شنكا) وضربوا مدافع كثيرة بعد الغروب وشرعوا فى تشهيل الهدايا والتقادم واضمروا فى نفوسهم السوء له ولجماعته المتأخرين حسدا لرياسته عليهم وكتموا حقدهم — وأرسل البرديسى كتابا الى مملوكه يحى بك البرديسى تابعه حاكم رشيد — يأمره فيه بقتل الألفى فى رشيد .

وقام البرديسى بتدبير مكيدة يستطيع بها القضاء على آل الألفى جميعا فوصل الى بغيته وقتل حسين بك الوشاش الألفى ولما علم بذلك الألفى فى قصره خرج من الباب وصار مقبلا لا يلوى على شىء .

وأما ماكان من أمر الألفى الكبير — فانه لما حضر الى رشيد يوم الأربعاء كما تقدم — قابله يحى بك وعمل له (شنكا) وطعاما وما يليق به — وسأله عن مدة اقامته فقال له (أريد الاقامة ستة ايام حتى نستريح) ونزل ببيت مصطفى عبد الله التاجر — ولم يكن معه الا خاصته ومماليكه فاستأذنه يحيى بك فى ارسال الخبر الى مصر — ليأتى الأمراء الى ملاقاته .. فلم يرض بذلك — ثم انه لم يقم برشيد الا ليلة واحدة وانزل أمتعته فى أربع مراكب من الرواحل — وانتقل آخر الليل الى بيت البطروشى القنصل الانجليزى ، واهدى له البطروشى غرابا من صناعة الانجليز مليح الشكل . وكان يقصد الذهاب الى القاهرة بغتة فعندما يصلهم الخبر يكون هو فى الجيزة وكان هذا سببا فى نجاته .

الدكتور امين رويحة :

من الوفاء عند التاريخ لمدينة رشيد أن نذكر بالشكر والعرفان هؤلاء الذين عاشوا فى رشيد وغادروها بعد أن تركوا فيها آثارا حية هى أكبر من أن تموت أو تندثر . فان من علامات الرجل الصالح انه اذا دخل بلدا وخرج منها ترك فيها أثرا صالحا — وهكذا كان شأن الدكتور أمين رويحة ، واهل رشيد لا ينسون الفضل لأهله .

لقد صادف انشاء مستشفى رشيد المركزى فى ٢٣ اغسطس ١٩٣٠ تعيين الدكتور أمين رويحه مديرا لها عام ١٩٣٣ ، فكان استهلالا مباركا وموفقا ، ولم يكن الدكتور رويحه مصرى الجنسية ، ولكنه سورى المولد مسلم العقيدة وطنى النزعة عالى الهمة .

لقد نشأ وترعرع فى بيت مسلم ، وشارك فى الثورة العرابيــة ، وجاهد المستعمرين فى سوريا وفى فلسطين جهاد الأبطال ، حتى صدر عليه حكم بالاعدام فاستطاع الهرب الى وطنه الثانى مصر . وقد رحبت به الحكومة ثم عينته مديرا لمستشفى رشيد ، فنهض بالمستشفى من كل جوانبها الطبية والعلاجية والاسعاف والغذاء والنظافة ومفاجــأة المستشفى ليلا ونهارا للاشراف على الرعاية الطبية على اكمل وجــه ، وحرص الدكتور على مصادقة المرضى والتعرف على شئونهم وشكواهم.

وكانت زوجته (ايطالية مسيحية تسمى كاتشى) تشاركه نفس الشعور والاهتمام من ناحية العطف على المرضى وزيارتهم وتقديم الهدايا لهم .

وفى عيادة الدكتور أمين رويحــة خارج المستشفى يستقبل مرضـــاه الفقراء بلا مقابل بل يدفعه عطفه وبره الى مســـاعدتهم ماديا وتخفيف آلامهم ، وقد تطوع الدكتور رويحة بتحديد يوم الجمعة من كل اسبوع لعملية (الختان) للأطفال الفقراء بدون مقابل ، مما كان له أعظم الأثر فى نفوس الأهالى ، وقد قام الدكتور رويحة بوضـــع كتاب أســـماه (فن التمريض) .

ولن أنسى ذلك اليوم الذى تقرر فيه نقل الدكتور وزوجه من رشيد الى العراق ، وحين سرى النبأ اهتزت رشيد حزنا لفراق الرجل الذى أحبهم وأحبوه ، وسرعان ما اتفق الناس على اقامة حفل توديع رائع حضره الوف الناس وخطب فيه علية القوم من خطباء وشعراء .

وفى اليوم التالى احتشدت رشيد من موقع عيادة الدكتور ومنزله بجوار مسجد (المشيد) بالنور الى محطة سكة حديد رشيد ، وكان وداعا مؤثرا وحزينا . وداعا لا يكون حقا الا للزعماء ، كان الرجال والنساء يلوحون بأيديهم ويهتفون مع السلامة يا أمين ، وكانت دموع الدكتور أكبر دليـــل على تأثره لهذا المشهد الرائع .

وهكذا بقيت ذكرى العمل الصـــالح أقوى من أن تضـــيع مع الأيام والسنين . (وما عند الله خير للأبرار) .

على بك بدر الدين :

ويحدثنا التاريخ عن رجل من كبار أعيان رشيد فى صورة من صور قوة الشخصية ذلك هو الرجل اللبق الجرىء الحاج على بك بدر الدين .

فكان من طبيعته الاعتداد بالنفس والشعور بالعزة والكرامة ، وكان له من الأبناء عبد السلام والحاج محمد وفتيحة .

وكثيرا ما كان يتألم لتصرفات محافظ رشيد مع الأهالى ، فيدفعه ذلك الى السفر للقاهرة والتوسط لدى الخديوى عباس الثانى فيأمر بنقل هذا المحافظ .

حتى أن ابنه عبد السلام كان قد اشتكى للخديوى من محافظ رشيد مرتين فلما قابله المحافظ ذات مرة — قال يا عبد السلام بك أنت اشتكتنى للخديوى مرتين — قال له عبد السلام وسوف اشتكيك للمرة الثالثة .

ومن غرائب تصرفات الحاج على بدر الدين مع المحافظين ، أنه ذات مرة ضاق بتصرفات أحدهم الى حد بعيد ، فما كان منه الا ان ارسل « الذهبية » خاصته التى كانت تبحر فى النيل من رشيد للقاهرة ، أرسلها ومعها هدية كبيرة للخديوى ، ثم قام هو وركب حمارته المغربى المطهمة ومن خلفه خادمه الخاص الى دمنهور . وركب القطار من دمنهور الى القاهرة .

وكان رئيس الحكومة فى ذلك الوقت اسمه قاسم باشا وقد علم على بك أن محافظ رشيد من محاسيب رئيس الحكومة ، فرأى على بك أن يتكلم مع قاسم باشا راسا من الناحية الأدبية بدلا من أن يتكلم مع الخديوى .

وفعلا توجه الى ديوان رئيس الحكومة وكان معه فى الحجرة بعض معارف على بك فلما رآه قاسم باشا من شباك حجرته ، قال لمحدثيه أن هذا الرجل داهية ! فقالوا له انه رجل طيب فقال سوف ترون من أمره الآن . .

ولكن على بك دخل على الباشا ومن معه وسلم وشرب القهوة وبعد فترة من الوقت استأذن دون أن يتحدث فى الموضوع وجعلها زيارة خاصة !! وهذا من السياسة واللباقة بمكان كبير .

وعند مغادرته دار الحكومة أذن له الباشــا فى أن يركب ركوبة من ركائبه الخاصة لتوصيله الى المكان الذى يريده ، وكان لعلى بك بدر الدين عملا من تجــارة الأرز بالموسكى فأوصلته الركوبة الى حيث هناك .. وبعد أن نزل من على الركوبة أعطى خادم الركوبة (السايس) ماقيمتــه ستة مجر (جنيه ذهب) وعاد الخادم الى قاسم بك ـــ فسألة هل أعطاك على بك شيئا ـــ فقال نعم أعطانى ستة مجر ، فضحك الباشا قائــلا لأصحابه دا السايس والحمار لا يساوون ستة مجر ولكن على بك رجل بعيد النظر ولابد له من مسألة عندنا ؟!

وفى الصباح الباكر توجه على بك الى سراى قاسم باشا ولما فتح له الخادم الباب ايقظ الباشا وقابل على بك فى الدهليز وقال له على بك اننى لم أتناول طعام الافطار فقــاما بالافطــار سويا ـــ وبعد ذلك ـــ صارحه على بك بأمر محافظ رشيد وكيف أنه أساء معاملة الأهالى ـــ فقال له الباشا وماذا تريد ؟ قال أطلب نقله من رشيد ، فكتب له قاســم باشــا كتابا الى المحافظ بالعودة الى القاهرة وسلمه الخطاب وشكره على بك وانصرف الى رشيد ومعه خطاب اقالة المحافظ .

مصطفى بك بدر الدين

من كبار أعيان رشيد ، شخصية لها مهابة واحترام .. كثيرا مايلجأ اليه أهالى رشيد ليتدخل لدى رجال الادارة فى فض المشاكل والمنازعات، ولما كانت عائلته من العائــلات المهاجرة من بلاد شــمال افريقيا ، فان مصطفى بك بدر الدين يعتبر (حماية فرنسية) وكا. شـخص له حمــاية فى هذا العصر ، تكون له مكانة خاصة لدى الدولة . فضلا عن مكانته الشخصية ، وكان مصطفى بك صاحب مضرب أرز .

ومن أبرز الحوادث فى تاريخ مصطفى به أنه استضاف فى منزله دولة اسماعيل باشا صدقى رئيس الحكومة حينذاك حين جاء الى رشيد عام ١٩٣٢ لافتتاح مبنى مستشفى رشــيد المركزى .. ومهد له الطــريق من مرسى اليخت على شاطىء النيل برشيد الى منزله بشــارع بدر الدين بعضــه بالمفروشات وبعضه بالرمال .

ومما يذكر أن مصطفى بك كان قد انضم الى حزب الشعب بزعامــة صدقى باشا وكانت رشيد أغلبها تحب حزب الوفد .. فكان الأهــالى يستقبلون صدقى باشا مرحبين به لانه جاء ليفتتح لهــم مستشفى ..

ولكنهم كانوا يهتفون هذا الهتاف الذى يعبر عن حقيقة شعورهم نحـو الوفد (يحيا صدقى باشا واللى فى القلب فى القلب) ولاتزال هذه النكته تروى جيلا عن جيل .

عثمان خجا - حاكم رشيد "١"

كان عظماء مدينة رشيد وكبار تجارها يسكنون بشـــارع ــ دهليز الملك ــ ويبدأ من مسجد العرابى حتى يلتقى بساحل نهر النيل ــ وكان عثمان خجا حاكم رشيد من قبل مراد بك يسكن فى نفس الشارع ــ وكان رجلا فاتكا ظالما جماعا للأموال أين وجدها ومن اى طريق وصل اليها .

يقول كتاب غادة رشيد ــ لقد سمع ضجيجا وصياحا وجلبة ، فنظر فاذا جمع حاشد كأنه البحر الهائج فيه الرجال والنساء والأطفال وهـــم يصرخون ويولولون وامام هذا الجمع علماء المدينة وقد اتجهوا جميعا نحو ديوان الحاكم فوثب محمود العسال واندمج بينهم فلما انتهوا الى الديوان زاد الضجيج وعلا الصياح ــ واخذ الأطفال يصفقون ويرددون عبارات يسجعونها وينظمونها مثل :

موجـــــه رايحـــه وجيـــه موجـــه   غرقنـــــا ظلمـــــك ياخوجـــه
ما فينـــــــــا الا العريــــــــــان   ايش رايح يعمـــل ياعثمـــــان

ودخل العلماء الديوان وهم فى حزن وغضب على ما أصاب مدينتهم ، فلما رآهم عثمان خجا وكان متكئا على أريكة لم يتحرك للقائهم وبادرهم قائلا ــ لقد سئمت هذه اللعبة ومجتها نفسى كلما هممت بعمل فى هـــــذه المدينة رأيتكم تتصدرون لمعارضتى وتقفون فى طريقى حتى لم يبق على الا أن أستشيركم فى كل خطوة أخطوها ــ فتقدم اليه الشيخ محمد صديق وكانت اليه زعامة البلد وهو عالم تقى زاهد ، ذرب اللسان قوى العارضة يحبه الناس بالحق ولايخاف فى سبيله أحدا ــ فقال ياحضرة الأغا ــ كان يجب عليك أولا أن تقوم اجلالا للعلماء وتكريما لهم ــ والعلماء ورثة الأنبياء كما جاء فى الأثر الشريف ، فالذى لا يجل العلماء ، لايجل الأنبياء والعياذ بالله فاذا رضيت لنفسك بهذا فاننا لانرضى أن يقيـــم بمدينتنا من يتصف بهذا الوصف ــ ثم انفجر صائحا قم للعلماء أولا ثم تكلم بما شئت فان لكل مقام كلامـــا .

فأحس الاغا بما يحيط به من خطر ورأى أن الشيخ جاءه من ناحية الدين — وان أية كلمة يقولها تنقل عليه وبالا فتلعثم وقال — يامولانا — ان العلماء سادة الناس جميعا وانى أول من يتقرب الى الله بارضائهم — غير أن صياح هؤلاء العوام وما تجرءوا عليه من قذف بالطوب والأحجار سلبنى صوابى وقلبميزان فكرى — ثم أخـذ يصـافح العلماء فى أدب ورعب ، فابتدره الشيخ قائلا :

قلت ياحضرة الاغا انك سئمت هذه اللعبة فسميت الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى فرضه الدين على كل مسلم ومسلمة — لعبة — وهذا تعد على الشرع الشريف واستهزاء بأحكامه ، واعلم ياحضرة الاغا اننا سنستمر فيما تسميه — لعبة — مادمت مستمرا فيما نسميه ظلمـا وارهاقا ثم قلت مستنكرا : انه لم يبـق عليـك الا أن تستشيرنا فى كل خطوة تخطوها — وقد أمر الله أشرف الخلق وسيدهم محمد بن عبد الله النبى الكريم أن يستشير قومه ، وأين أنت من هذا المقام السامى لا واذا كنت تأنف أن تتشبه بالنبى الكريم فتلك مسألة انت تعرف سوء منبتها ، انك لم تدع فى المدينة رطبا ولا يابسا ولم يبق فى الناس الا رمق ضاقت تربة اليوم أن تأتى عليه ، وان العلماء قرروا وقف الدروس فى المسجد واغلاقه حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، ثم هم الشيخ والعلماء بالخروج فتشبث بهم عثمان خجا وهو يقول فى تلعثم الخبيث اللئيم ، الذى يريد أن يؤجل الضربة الى فرصة قريبة ، هذا أمر مراد بك الكبير وليس فى يدى ، وسأرسل الى القاهرة اليوم رسولا لأرى رأيه فى الامر .

فأجاب الشيخ صديق : ترسل أو لاترسل ، اننا سنذهب الى بيوتنا وسنغلق أبوابنا وسنلتجىء الى الله مستغيثين داعين أن يكشف عنا وعن أهل المدينة تلك الغاشية وبينما العلماء نازلين من السلم اذ هـدأ الجمع الحاشد حول الديوان ، واذا صوت يجلجل فى الفضـاء خشـنا مرعبا وهو يصيح :

خراب يابيت خجـا خـراب خراب يابيت خجـا خـراب

كان ذلك صوت الشيخ على شريط وهو شيخ كان أول أمره ذكيا نابغا بمسجد زغلول ثم تجرد لكتب التصوف وأكثر من قراءتهـا فاختلط عقـله وادركه جذبه فكان يقضى ليله ونهاره ماشيا فى طرق المدينة وهو عارى الجسم الا خرقة يلفها حول جسـمه وكان للناس منه اعتقاد راسـخ ينقلون عنه كثيرا من الكرامات فلما سمع الجمع نداءه انطلق يرد مايقـول كما يقصف الرعـد : **خراب يابيت خجا خـراب**

نهاية عثمان خجــا

١٤ مايو ١٧٩٩ م

مات فى هذه السنة الوجيه الأجل الامثل (السيد محمد كريم السكندرى) مقتولا بيد الفرنسيين ، وخبره انه كان أول أمره قبانيا يزن البضـــائع فى حانوت بالثغر ـــ وعنده خفة فى الحركة ومودة فى المعاشرة فلم يـــزل يتقرب الى الناس بحسن التودد ويستجلب خواطر حواشى الدولة وغيرهم من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة فى ابناء جنسه حتى أحبه الناس واشتهر ذكره فى ثغر الاسكندرية ورشيد ومصر .

واتصل بصالح بك حتى كان وكيلا بدار السعادة وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد وتملكها وضواحيها واســـترق أهلها ، وقلد أمرها لعثمان خجا وفى ٢٠ يوليو ١٧٩٩ ورد خبر بأن عثمان خجا وصل الى قلعة أبى قير صحبة السيد مصطفى باشا فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرانساوية وملكوها وأسروا من بقى بها وعثمان خجا هذا هو الذى كان متولى أمارة رشيد من طرف صـــالح بك وحج معـــه ورجع بصحبته من الشام فلما توفى صالح بك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور .

وفى ١٣ أغسطس ١٧٩٩ ورد الخبر بأن الفرنسيين أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الاسكندرية الى رشيد ـــ فدخلوا البلد وهو مكشـــوف الراس حافى القدمين ـــ وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به الى داره فقطعوا رأسه تحتها ، ثم رفعوا رأسه وعلقوه على شـــباك داره ليراه من يمر بالسوق (الجبرتى) .

وقد ذكرت فى موضع آخر فى تاريخ مسجد المحلى أن عثمان خجا قد دفن بالمسجد على شمال الداخل من الباب الشرقى المجاور للمحراب وقد رفع هيكل القبر حين بدأ السيد محمد طبق الكبير فى توسعة المسجد وبقى القبر تحت الأرضية للآن ، كما جاء ذلك على لسان الشيخ محمد أبـــو السعود .

على بك السلانكلى

وهو قائد حامية رشيد ، أثناء حملة فريزر سنة ١٨٠٧ ، ويظهــر أنه ينتسب الى (سالونيك) وقد أظهر الجبرتى دوره الباسل الذى قام به فى تدبير شئون الدفاع عن رشيد ، وقد تولى قيادة أفراد الحامية ، كما وضع خطة أبعاد المراكب من مرسى رشيد الى الضـــفة الشرقية حتى لايتمكن الغزاة من استخدامها فى السيطرة على مصب النيل عند رشيد .

كما أنه وضع خطة أختفاء الجنود والأهلين فى البيوت وخلف الجدران، وفوق المآذن فلما أعطيت اشارة الانقضاض على الانجليز وتشتت شمل العدو ، بعد مقتلة عظيمة لم تكن فى الحسبان ، وكتب الله النصر لرشيد بفضل اخلاصه ، وصدق ايمانه ، وأحكام خطته وتدبيره .

ولقد حاول الجنرال الانجليزى — اذ أحس بالهزيمـــة — أن يفرض الاستسلام على السلانكى ، فكان رده عليه دليلا على الحكمة والعزة ، اذ قال له أنه يتلقى أوامر من القاهرة ، فأسقط فى يد القائد ، وانقلب مغموما .

ومن العجيب أن هذا البطل الذى يعزى اليه انتصار رشيد هو والشيخ حسن كريت — قد اختفى أثره بعد هذا الانتصار الذى تحقق على يديه فى ٣١ مارس برشيد و ٢١ أبريل بالحماد .

وأغلب الظن أن الباشا قد تخلص منه بطريقته المعهودة كما هو شأنه مع الأبطال ، وعلى ذلك نستطيع القول بأنه توفى فى أخريات سنة ١٨٠٧ أيضـــا .

السيد حسن كريت

ذكره الجبرتى فى حوادث حملة فريزر الفاشلة على رشيد سنة١٨٠٧، ولكنه لم يعطنا اى فكرة عن نشأته ومولده ووفاته ، على أنه كان أول بطل فى المعركة ، فهو نقيب الأشراف برشيد ، وقد اتفق مع قائد الحامية بها على بك السلانكلى على اقتسام المقاومة الشعبية ، فقام السلانكلى بقيادة الجنود النظاميين بينما تولى حسن كريت قيادة المتطوعين من أهل رشيد ، ومن انضم اليهم من البـــلاد المجاورة والقادمين من القاهـــرة استجابة لنداء السيد عمـــر مكرم نقيب الأشراف بمصر ، ولهـــذا كان الاتصال بين النقيبين مباشرا دون اللجوء الى الوالى محمد على باشا .

كان حسن كريت يوالى الاستنجاد بعمر مكرم ، ويبعث باسمه كل يوم رؤس القتلى وجموع الأسرى من الغزاة المعتدين ، وكان لهذه الاتصالات المتوالية طلبا للنجدة ، وبهذا الاسلوب أثرها فى النصر المبين الذى احرزه أهل رشيد والحماد .

وكان حسن كريت أيضا على رأس وفد رشيد بعد النصر استصراخا من مظالم الاتراك بعد انخذالهم فى المعركة وتركهم النضال لأهل رشيد وأهل الحماد يتولونه وحدهم ، واضطر محمد على أن يكف زبانيته عن أذى أهل المنطقة ، بعد أن صحبه عمر مكرم الى الوالى لاعلان سخط أهل رشيد .

وقد ورد ذكر السيد حسن كريت على السنة مؤرخى الحملة من الفرنسيين أكثر مما ورد عن المؤرخين العرب ، وفطنوا الى تدابيره لمواجهة حملة فريزر ، ولعله استطاع أن يخدع قنصل انجلترا فى رشيد (بتروشى) حتى كتب هذا الى فريزر بأن أهل رشيد وعلى رأسهم الشيخ حسن ، سيرحبون بالانجليز وسوف لايظهرون أى مقاومة ، قد وجد القارىء موقفه المشرف فى المعركة .

وللوقوف على عظمة هذا الرجل ، اتصلت بحفيده السيد محمد عبد المنعم جاد الله مراقب سوق الجملة بالغرفة التجارية بالاسكندرية وهو من رشيد واسرة جاد الله لاتزال بها ، وعلمت منه أن السيد على كريت شقيق السيد حسن مدفون بأحد مساجد رشيد وكان من علمائها المشهورين ، وان لدى الأسرة مصحفا بخط يده وهو بتاريخ سنة ١١١٧ هـ ، وأن له مؤلفات كانت بمسجد زغلول ثم نقلت منه الى مسجد المحلى ، أما منزله فلا زال برشيد ولكنه تهدم ، وكان بالقرب من جامع زغلول ، وكان يلقى العلماء وطالبى العلم والوجهاء بالدور الأرضى منه .

أما السيد حسن وهو الأكبر فقد جاء مع محمد على الى مصر فى الحملة من جزيرة كريت كعالم ، فكان أمام المالكية بمصر ثم امام مسجد زغلول برشيد ، وهى اذ ذاك الثغر الأول لمصر ، وكان بها قطع الأسطول .

وفى أثناء معركة رشيد سنة ١٨٠٧ كان دائم الاتصال بنقيب الأشراف السيد عمر مكرم ، ويكثر من الاستنجاد به ، وحتى بعد النصر ، فتك الجنود بأهل رشيد وما حولها ، وفرض محمد على عليهم الغرامة الباهظة فكان حسن كريت أول من رفع عقيرته باسم الشعب محتجا على هذه

المهازل ، فأضمر له محمد على كل سوء كما فعـل بعمر مكرم ، لأنه كان لايود أن يسمع صوتا شعبيا يعلو على صوته ، وهو الوالى .

فلما قدم الشيخ حسن فى وفد من أهل رشيد والتقى بعمر مكـرم ، واصطحبه الى الباشا ، رحب به الباشا واظهر له التقدير ، واجابه الى طلباته وكانت شهرته فى مقاومة الانجليز قد بلغت محمد على ، ثم أقام وليمة حتى انه لم يكد ينتهى من الطعام حتى حمل الشيخ على الأعناق فاقد النطق ، فقد فارق الحياة ، وشيعت جنازته رسميا دون أخطار أهله ودفن فى مكان غير معروف بمدافن محمد على ، ويؤكد أهله أن محمد على قد دس له السم فى الطعام فمات .

وليس أدل على خشية محمد على من شدة نفوذ الشيخ حسن ، من أنه بعد الاحتجاج الذى قدمه ضد الفضائح التى كان يرتكبها جنـوده ، من أنه أمرهم بالخروج من رشيد ليعسكروا بعيدا عنها ، على الا يدخلوها الا بالملابس المدنية وبتصريح خاص من الشيخ حسن كريت .

وقد انجب رحمة الله بنتين فقط احداهما تسمى زبيدة تزوجها السيد على الجريتلى اى الكريدلى والأخرى تزوجها احد افراد أسرة فرحـات برشيد .

وتوفى رحمه الله فى أخريات سنة ۱۸۰۷ .

إسماعيل بك رمضان

من كبار أصحاب مضارب الأرز ومن الشخصيات التى تحب الناس ويحبها الناس لفرط ماتميزت به من تواضع وفعل الخيرات ـ عاصر الحركة الوطنية وساهم فى تكوين النقابات العماليـة والمهنية التى تكونت لأول مـرة فى رشيد فى الثلاثينات وانضم الى عضوية حـزب الوفد المصرى بزعامـة مصطفى النحاس باشا ـ الذى نزل هو وصحبه الكرام ضيوفا عليه أكثر من مرة فى منزله الذى أصبح مقرا لمدرسة الجنـاين الآن ـ وامام المنزل اقيم سرادق كبير احتشد أمامه آلاف من الأهالى الذين شكرهم النحـاس باشا على حفاوتهم التى فاقت كل تصور كما رحب الخطباء والشـعراء بزعيم حزب الوفد وصحبه الكرام .

وجدير بالذكر أن اسماعيل بك رمضان انضم لحزب الوفد حين كان الحزب خارج الحكم ــ وقد رشحه الحزب بعــد ذلك فى الانتخابات التى تلت المظاهرات الشهيرة عام ١٩٣٥ للمطالبة بدستور ١٩٢٣ وقد فاز اسماعيل بك رمضان بعضوية مجلس النواب عن دائرة رشيد . وتوفى رحمه الله عام ١٩٤٧

زبيدة الرشيديــة

هى السيدة زبيدة بنت محمد البواب الرشيدى ، التى تزوج منهــا الجنرال (مينو) قائد الحملة الفرنسية بعد اغتيال (كليبر) ، بعــد أن أسلم وتسمى بعبد الله مينو ، الذى أقام مدة فى رشيد ، وتقدم لخطبة احدى بنات أسرة الجارم فرفضوا .

(وزبيدة هى التى أبوها لأمها على الحمامى بن حسن البواب) ، وكان من الشهود هو وأحمد وابراهيم ابنا سليمان النقرز ، وعقد عليها مينو فى ٢٧ رمضان سنة ١٢١٣ هـ ، وتوجد وثيقــة الزواج بمحكمة رشــيد الشرعية ، وكان الحفل غاصا برجال الحملة الفرنسية ووجهــاء رشــيد وحكامها منهم :

الشيخ أحمد الخضرى المفتى الشافعى ، والشيخ محمد صديق النائب، والمفتى الحنبلى ، والشيخ محمد غرا ، النائب والمفتى المــالكى ، ونقيب الأشراف الســيد أحمد بدرى ، والامــير محمد بدوى جورجى سردار مستحفظان (مدير الأمن) ، وأحمد أبو جاويش مستحفظان ، والحــاج أحمد جاويش العسال ، والحاج محمود اللومى المغربى ، ابراهيم الجمال الرزاز ، والحاج محمد مينو ، وعبد الله بربيره ، والحاج بدوى الشناوى، وأوزن اسماعيل السلانكلى ، وعلى جاويش كتخدا البيك .

وكذلك كان فى الحاضرين من الفرنسيين : لوى جوزيف وفيكتور جوليان صارى عسكر حاكم ولاية رشيد ، ولوى جوست دورى رئيس طائفة عسكرية ، وجان فرنسوا لوى لويكه مهندس وميقــاتى الجيش الفرنسى ولويزى وانولى باش حكيم (حكيم باشــا) الكورنتيله ، وكان الوكيــل الشرعى عن زبيدة فى توقيع العقد الحاج حسين بن محمد الميقاتى .

وظلت زبيدة فى عصمة زوجها حتى أنجبت منه ولدا سماه أبوه سليمان مراد ولم تفارق رشيد الا عندما جلا الفرنسيون عنها من وجه الانجليز والاتراك

فى أول المحرم سنة ١٢١٦ ، فركبت زبيدة النيل مع أخيها لأمها السيد على الرشيدى ، أحد أعضاء الديوان بثغر رشيد ، الى الرحمانية ولبثت بهـا عدة أيام ، حتى احتـل الانجليز والأتراك قلعتهـا فاتجهت الى القاهرة ، ونزلت ببيت الألفى بالازبكية ، ثم أقامت بالقلعة ولما تسـلم الاتراك قلعة القاهرة من الفرنسيين فى ١٧ يونيو سنة ١٨٠١ غـادر الفرنسيون مصر ، ومنهم مينو ، الذى كتب الى اعضاء ديوان القاهرة يوصيهم خيرا بزوجته وولده ، وقـد رغبت اللحاق بزوجها فعـارض الاتراك فى ذلك ولكن القائد (بيـار) تصدى لهم ، وتكفل براحتها ، حتى خرجت مع من خرجوا الى فرنسا .

الحاج حسن ابو عياده

من رجالات رشيد المشهود لهم بالفتوة وحسن الخلق المعلم الحاج حسن ابو عياده كان يعمل بالتجارة ثم انتخبه العمـال الحمالين شـيخا لنقابتهم (الزامة) من بحرى رشيد .. والزامة هذه رابطة من العمال يقومون بنقل الأرز الشعير من المراكب الراسية على شاطىء النيل الى مقـر مضارب الأرز .

والحاج حسن ابو عياده المتوفى فى آخر السبعينات لايستعمـل قـوته فى أية صورة من صور الجبروت أو الظلم فانه رجل مستقيم يؤدى الصلاة فى وقتها .. ولقد اختاره العمال لما يتحلى به من هذه الأخلاق وكونه رجلا مهابا ومحترما لدى الجميع .

والمشهد المثير الدال على فتوة الحاج حسن أبو عياده يتجسم فى أنه كان يذهب عند أحد الحدادين ويقبض على السندان البالغ وزنه حوالى مائة كيلو جرام (١٠٠ كيلو جرام) يقبض عليه بكلتا يديه ويرفعـه الى اعلا ويلقى به خلف ظهره .

والناس ينظرون اليه فى عجب واكبار .. وكان الحاج حسن أبو عياده يقوم بهذا من باب الرياضة .

احمد الداراوى :

كثيرا ماتسمع فى كل بلد من البلاد عن شخصية تنسج حولها قصص وخيالات عن مواقف وبطولات خارقة ، فوق مستوى طاقة البشر ، واكثر الذين يتحاكون بهذه القصص هم الشباب والأطفال .

واحمد الداراوى هو احد هـذه الشخصيات التى تعيش فى اذهـان أهالى رشيد وتاريخها ، لفرط ماترك من خلفه مواقف وحكايات بعضها حقيقى وبعضها تجاوز الحقيقة بنسج من التصورات والخيال .

وأنا هنا سوف أسرد ماوصل الى سمعى من أفواه الذين عـاصروه وشاهدوا بعض هذه الأحداث .

احمد الداراوى رجل أمى يعمل بتجارة الحبوب مولود بقرية الجـدية تبعد قبلى رشيد ستة كيلو مترات تقريبا ـ طويل القامة نحيف البنيـة ـ وثيق الصلة باهالى رشيد يغدو ويروح عليهم أكثر الأيام لأمور التجارة .

اشتهر أحمد الداراوى بأن عنده (عرق الصبا) ومعنى ذلك أنه قـد وهبه الله من القوة العضلية والصلابة مايعتبر أمرا خارقا للعادة ولا تتناسب مع طبيعة تكوينه الجسمانى .. وفيما مضى من الزمان كان مثل هؤلاء أعجوبة العصر . يتناقل الناس فى البلاد أخبارهـم بل وكثير من الناس يحضرون لمشاهدتهم .. حيث لم يكن يشغل الناس فى هذا الوقت أى نوع من الهوايات فلا توجد فى مثل هذه البلاد دور للهو ولا مسارح ولا سينما .. لهذا كانت تجذبهم مثل هذه الخوارق أمثـال الداراوى فى رشيد والبطل حميدو فى الاسكندرية وأمثالهم .

فقد سمع بعض الفتوات فىالبلاد المجاورة عن أحمد الداراوى،وحضروا ليشتروا منه كمية من الحبوب ـ وعند دفع الثمن أعطوه (ريال فضة) اكتشف الداراوى أن الريال عملة مزيفة ـ فضغط عليه بأصبعيه الابهام والسبابة فمسحه تماما ولم يبق فيه أية علامة فاندهش القوم وعجبوا لأمر هذا الانسان .

ومن المعلوم أن احمد الداراوى كان يدمن الخمر وهذه أكبر سيئاته .. وكان فى رشيد خمارة لأحد اليونانيين كان دائما يجلس فيها . وحين يعتزم العودة الى بلدته الجدية يلاحقه بعض الشباب والأطفال من خلفه اعجابا به ويحاول أن يصرفهم بسلام ولكنهم يزدادون عنـادا .. فمـا كان من الداراوى الا أن أمسك بواحد منهم وقذفه فوق سطح الدكاكين وكانت من دور واحد . فأسرع الباقى بالهرب .

وكان من طبيعة الانسان الذى يدمن شرب الخمور أن يقضى على تجارته بالافلاس ثم يلجأ بعد ذلك الى العمالة عند الناس ـ وهذا ماحدث لأحمد الداراوى فقد ذهب ذات مرة ليعمل فى مشروع بناء فنار رشيد على ساحل

البحر الأبيض المتوسط .. وكان مقاول الأنفار من الصعيد — وامتنع ان يأخذ عمالا من رشيد ، فلما طلب منه احمد الداراوى أن يشغله عنده بالأجر رفض المقاول ذلك ، فما كان من أحمد الداراوى الا أن قام بنقل كتلة من الحديد الضخمة من مكانها الى مكان آخر .. فذهل الرجل وفزع !! وقام يعتذر اليه ويطلب منه أن يكون رئيسا للعمال ولا يعمل بيده شيئا .. حتى لايعطل على باقى العمال المساكين .

ومن القصص المشهورة فى رشيد ، أن احمد الداراوى كان يجلس فى قهوة (أبو علفة) وبعد أن جلس طلب من الجرسون (قهوة) وطالت الجلسة والجرسون غاب — فاذا به يدق (الترابيزة) الرخام بأصبعه فيخرمها .. ويصر أهالى رشيد على ذلك .. والواقع أنه كسرها عدة كسور . ويقال ان الترابيزة لاتزال عند أبو علفة للذكرى .

ذهب الى ادفينا من ضمن العمال الذين يعملون فى قصر الخديوى .. وكان الخديوى يشرف على العمل من شرفة القصر — فراعه أن عاملا يحمل بمفرده جزع نخلة . فاستدعاه وتأمله وصرف له أجرا أكثر من زملائه .

وفى عودته أسرع ليلحق باللنش عند مرسى القصر .. وكان اللنش قد بدأ يبتعد عن الشاطىء ولكن أحمد الداراوى أسرع وشده اليه بقوة فأعاده الى الميناء رغم أن اللنش يسير بالموتور .

وذهب أحمد الداراوى الى مضرب أرز أحد أعيان رشيد وطلب منه أن يشتغل عنده ولكن صاحب المضرب أهمله ولم يوافقه على طلبه وتركه وانصرف . ولكن أحمد الداراوى تألم جدا من تصرف هذا التاجر ، ونظر حوله فوجد بجوار باب المضرب حجرى طاحونة كبيرين ، يزن الحجر الواحد طنين أو يزيد ، فما كان منه الا أن دحرج هذه الحجارة ووضعها أمام باب المضرب وبذلك يكون قد أغلقه تماما .

فلما علم صاحب المضرب أرسل له يرجوه أن يرفع الحجارة على أن يعمل عنده بالأجر الذى يرضاه .

أرسل له مأمور مركز رشيد اثنين من جنود البوليس يستدعونه لمقابلته فقال لهم الداراوى سوف أذهب له بنفسى بعد شوية ، ولكنهما أصرا على أن يذهب معهما الآن .. فلما ضاق بهما ذرعا أخذ

واحدا منهما تحت كتفه الأيمن والآخر تحت كتفه الأيسر وذهب بهما الى المـــأمور . وحدثه بما كان منهما وأنه اضطر الى ذلك .

وآخر ما يقال عن أحمد الدأراوى أنه كان يعشق (جنيه) وكان يقابلها مساء كل يوم فى طريقه من رشيد الى الجدية محازيا لشاطيء نهر النيل بالقرب من مسجد (أبو مندور) وفى مساء ذات يوم التقطته الجنية وغاصت معه فى النيل ، واستمر فى المـــاء ثلاثة أيام ثم وجد ملقى على الشاطيء ميتا بلا حراك .

والتفسير المعقول لموت أحمد الدأراوى أنه كان قـــد شرب الخمر حتى ثمل تماما وربما وهو فى طريقه حدثت عنده تصورات وخيالات جنحت به الى قاع النيل فغرق ومات ـــ ولكن هكذا! دائما تنسج حول مثل هؤلاء قصص وخيالات .

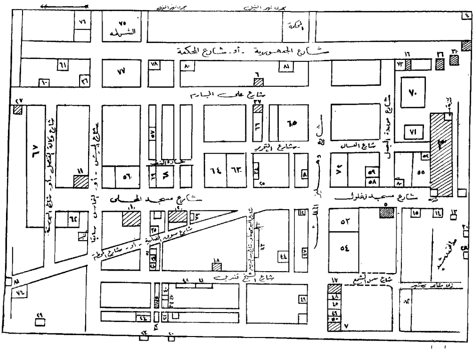
مجرى نهر النيل
٧٥
الشرطة
المحكمة
شارع الجمهورية - أو - شارع المحكمة
٧٧
٧٠
٧١
٦٥
٦٤
٦٣
٦٧
٥٦
٥٥
٥٢
٥٤
شارع التحرير
شارع العمال
شارع سعد زغلول
شارع مسجد المحلى

أسماء بعض عائلات رشيد

طبق	الجارم	عجميه	العنتبلى	بدرالدين
الميقاتى	شهاب	مرزوق	الشباسى	سمك
محارم	زقزوق	القزق	الحمارى	الفرس
الطيبانى	الصيرفى	الصفوانى	تيرانه	عبد الحافظ
الفساسى	رمضان	عينو	ربيع	القصبى
المصرى	علبه	شتا	مشكاح	يونس
منسى	عشوش	موسى	جاد الله	جاب الله
خضر	الخواجة	جلو	بريش	أبو زيادة
كمون	كرات	عابدين	أبو سليم	أبو خطاب
خطاب	المناديلى	الصعيدى	عجلان	البسير
البليهى	الخياط	بلال	صرت	البروة
الفرارجى	مطش	الدمنهورى	العجوانى	زباره
الناقه	بسيونى	نور	العكارى	الغليض
عباسى	البحه	البنا	درع	الجباس
القاق	مرعى	كوهيه	قاسم	البريرى
السيسى	طبيخه	الشاذلى	الكبابجى	تاج الدين
درويش	الفار	هلش	البمبى	معلقه
عرفه	كيلانى	سلام	غرة	السنهورى
علام	حراز	خراز	الدخاخنى	حباله
أبو السعادات	المغربل	الجندى	أبو النجاة	الكسار
زغلوله	الحداد	الزرزور	زوبح	سردينه
المحلاوى	عبد المطلب	أبو عيسى	أبو عجله	الشامى
أبو غريم	العزازى	الخضرجى	الصهار	جمعه
الغنام	عبد الحليم	جبر	أبو طالب	الخراشى
شريدح	حجاب	أبو على	أبو عبد الله	بركات
غايد	شحاته	أبو عطية	سالم	السحت
الدقاق	العسالة	ريعان	الدقماق	الشايب
العقدة	القط	أبو النصر	أبو زيد	الكلا
العنزيرى	طرابية	أبو ريا	أبو قصيبة	الحملى

تابع أسماء بعض عائلات رشيد

دحروج	السعدنى	السمرى	الهابط	الزهيرى
الكرش	الكنفانى	الهرش	المحلاوى	أبو جازية
أبو عضمة	القبارى	الدبيجى	الأشوح	المسدى
البرجى	الخماتى	الفلاح	عصفور	زيتون
الكباريتى	المباريدى	حجازى	السماك	عجيز
قتيلة	كوتة	أبو المجد	الأطروش	الطلخاوى
سراج	المعداوى	بشير	موافى	الجيار
الطبال	حمتو	الشويتى	أبو الدقيق	البشار
القماش	الدرديرى	الملاياتى	السحلى	الزين
الزينى	الكسبرى	الخلعى	قادوم	كسبر
قاعود	الغمراوى	الفش	الجبرتى	الشونى
الشرويدى	الأبزارى	العشماوى	شيحا	النحوى
أبو كلوب	أبو خاطر	الدسوقى	الكوت	الساروخ
عكاشة	نعيم	الصايغ	عياد	السنان
الفقى	أبو هرجه	الشيخ	قشيوة	بكر
قطاطو	أبو عجين	العيسوى	أبو مساعد	المنعنع
المنعنش	جلال	البعراوى	أبو حطب	الحصرى
بلبع	الطبشى	حسوسو	سعدية	الشنى
ورشان	زيدان	مبسوطة	الصانت	قطب
شاهين	غازى	عيسى	الطنطاوى	قطامش
الشرقاوى	قصقص	زعرم	زعفان	جودة
فلفل	بصل	الجزار	النظامى	الخولى
عرابى	العافية	غالى	السماديسى	ندا
السماخى	شرارة	كرتبية	الشربينى	خنفور
الراجحى	سالمة	خليفة	المنشاوى	غريب
بيومى	أبو رجل	العزب	العاصى	عامر
الرملى	عطا	الخيوطى	الهلاوى	خير الله
الصباغ	المغربى	مزر	زنطح	شداد
شحتوت	الديب	بهنسى	أبو شاهين	البراوى
الهتمى	كشك	حسوبة	الشابورى	القطرى
باشا	السلماوى	بيصار	فرحات	زايد

تابع أسماء بعض عائلات رشيد

المنشاوى	الفرماوى	السمرة	الحبشى	البحيرى
النزهى	أبو هاشم	ترك	الخدل	ورشان
مطر	طنطاوى	طيبة	الجمال	الديبانى
الدبسورى	عواد	الشونى	البدوى	حمام
السكرى	العدوى ؟	الكحكى	شلتوت	دومة
الكسب	النشار	نافع	برغوت	النميرى
القبانى	خضرة	معروف	الأباصيرى	الأمصيلى
المرنح	البواب	عثمان	زردق	الدمياطى
أبو السعود	أبو هيكل	قنديل	أمام	حجاج
عطاس	الاسكندرانى وهبه		خاطر	شلبى
الغواب	الجداوى	أبو عرب	حنا مليكه	دقدق
الاقرع	سنارة	أبو قورة	بحبح	أبو خليل
رزق	أبو عامر	عمارة	القليوبى	جبرى
الاقداحى	الزهار	دعبس	حميد	الحمامى
حميدة	المدخوم	شرف الدين	الحمزاوى	الرخ
الحمراوى	الرمادى	الاسكافى	أباظة	الحنجيرى
أبو العلا	الصوت	فوز	هنيدى	حبيب
المنزلاوى	سعضشى	الجميل	الصبروت	الفوى
البرديسى	القلا	التعلبى	الملحى	عبد الهادى
شبايك	شبابو	طمان	أبو العز	الطويل
ابو عمر	شومان	البرعى	حبلص	حماده
الشاويش	قطيط	عفيفى	الحاج سيد	تميم
سليم	شعير	الشهد	المناخلى	الفوال
مكى	بهيتة	الدش	بهلول	السفارتى
الدمشيهى				

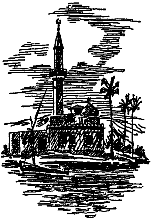

الباب السادس

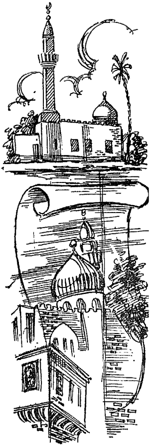

.. مساجد رشيد
.. المنازل الأثرية
.. الوكالات والحمامات

مسجد على المحلى (١)

يقع مسجد سيدى على المحلى فى قلب المدينة ، وهو لهذا آهل برواده من المصليين وخاصة من الأرياف المجاورة — وقد انشىء هذا المسجد عام ١١٣٤ هـ — ١٧٢١ م .

وقد ذكره الشعرانى فى « الطبقات الكبرى » بالجزء الثانى — وذكره رمضان حلاوة السكندرى فى « دستور الأعلام » وكذلك « ماكس هرز » فى مساجد رشيد ، وذكره أيضا فورستر الضابط الأمريكى الذى جاء لمصر عام ١٩٤١ فى كتاب الاسكندرية .

غير أن الاهتمام بمسجده فى رشيد كان أشد من الاهتمام بترجمته .

وهو سيدى على المحلى المتوفى عام ٩٠١ هـ أو بعدها ودفن بثغر رشيد وكان من أرباب الأحوال والكرامات ، وكان يبيع السمك القديد (الفسيخ) مع البطيخ والتمرحنا والياسمين وهذه خلاصة ماذكره رمضان حلاوة عن هذا العالم الجليل والزاهد الكبير . نقلا عن بعض ماجاء فى طبقات الشعرانى .

وتحدث على مبارك فى الخطط التوفيقية بالجزء الحادى عشر عن أشهر مساجد رشيد وعددها خمسة وعشرون فقال (منها الجامع الكبير له شبه بالجامع الأزهر فى الاتساع وكثرة الاعمدة وأرضه خشبية وجامع المحلاوى) (يقصد جامع على المحلى) وهو غاية فى الرونق والأنتظام فيه العلوم ، وفيه درس دائم وضريحه به مشهور وهام .

ويفهم من ذلك أنه أصلا من المحلة الكبرى واستقر وعاش فى رشيد عيشة المتصوفة .

ويقول المرحوم الشيخ محمد أبو السعود — أن أصل مقام سيدى على المحلى كان موجودا على شمال المحراب أى يقع مابين المحراب والباب المؤدى الى المئذنة — فتراءى للمرحوم السيد على بك طبق عمدة رشيد حينذاك أن هذا القبر يعترض القبلة وهو مايتنافى مع صحة الصلاة ، فلما استقر على نقل الجثمان الى المكان الحالى فى وسط المسجد ، حفروا على القبر فوجدوا الجثة فى حالة تسمح بنقلها ، فنقلت الى مستقرها الحالى فى ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٦ م — وكتب على باب المقصورة (لا اله الا الله محمد رسول الله — نصر من الله وفتح قريب ٦ شعبان سنة ١٢٦٣ هـ)

وكانت حدود المسجد تنتهى بنهاية المقصورة التى نقل اليها الجثمان ــ أى معنى ذلك أن القبر قد نقل الى خلف المسجد فى حدوده حينذاك . فقام المرحوم على بك طبق واشترى (وكالتين) بحرى المسجد ــ ضم احدهما لتوسيع المسجد والوكالة الأخرى جعل منها حديقة للمسجد وهى الموجودة حاليا خلف المسجد دون الاستفادة بها .

ويوجد بالمسجد على يمين المحراب مدفن للشيخ البرعى وكان صديقا للشيخ على المحلى أما المدفن المجاور للباب البحرى فقد دفن فيه خادم على المحلى. والمدفن الشرقى قد دفن فيه المرحوم على بك طبق والسيدة زوجته ــ وفى عام ١٩٧٠ قام بعض الشباب فى رشيد بازالة هذه المدافن جميعا من المسجد دون المساس بالمقابر نفسها فهى لاتزال قائمة فى مكانها تحت الأرض ، وبقى فقط مقصورة الشيخ على المحلى ــ وقد روى لى الشيخ محمد أبو السعود ــ أنه كان يوجد لمحافظ رشيد التركى السيد عثمان أغا ــ قبرا بجوار شباك المسجد بجوار باب المئذنة ــ ولكن هذا القبر قد أزيلت مقصورته وبقى القبر تحت سطح الأرض .

ويوجد بالمسجد ثلاثة صهاريج لحفظ مياه الشرب كعادة أهالى رشيد من قبل دخول المياه بواسطة البلدية اثنين على الجانب الشرقى والثالث فى الجانب القبلى الغربى من المسجد ويوجد بالمسجد حجرات للخلوة ــ وكذا يوجد (مغطس) حتى يتيسر لكل مسلم عليه جنابة أن يجد فرصة للطهارة . كذا توجد بالمسجد مكتبة نادرة بل الكتب الموجودة فيها كتب مخطوطة وللأسف لايستفاد بها اطلاقا .

ويقوم المسجد على ٩٩ عمودا مختلفة الأشكال وللمسجد ستة أبواب وصحن المسجد طوله ٨٠٠ سم وعرضه ٦٦٠ سم ومكان الوضوء يقع غربى المسجد تحت مظلة مرفوعة على ١٢ عمودا .

وتوجد بالمسجد مكتبة زاخرة بالكتب الاسلامية المخطوطة التى بذل فيها أصحابها جهدا كبيرا ، كذا توجد بعض المصاحف الشريفة التى كتبت باليد تيمنا وبركة . وبالمكتبة كثير من الكتب فى شتى العلوم الاسلامية ــ وللأسف فان المكتبة لاتفتح للاطلاع .. فضــلا عن أن الكتب أصبحت قديمة للغاية يتعذر الرجوع اليها .. ولا يوجد من يقوم بتنظيمها والمحافظة عليها سوى الشيخ محمد التعلبى الذى يلح فى اعداد حجرة مناسبة لتكون مكتبة عامة لأبناء المدينة .

مسجد الجندى (٢)

هو ثالث المساجد اتساعا فى رشيد ويقع فى منتصفها قريبا من مسجد المحلى وفى نفس الشارع العام ، وقد اقام هذا المسجد وانشأه الأمير محمد الجندى عام ١٣٣٣ هـ - الموافق ١٧٢٠ م .

والمسجد معدود من المساجد الأثرية ومبنى على هيئة قباب من الطوب تقوم على ٣٩ عمودا ليست كلها على شكل واحد . اذ أن منها المربع والأسطوانى والمكون من قطعة واحدة والمكون من عدة قطع من الجرانيت .

وللمسجد أبواب ثلاثة من جميع الجهات ماعدا الجهة القبلية والأبواب من الخشب المزدوج المركب - وللمسجد منبر من الخشب المركب مكتوب عليه : انشأ هذا المنبر الحاج سليمان ابو عطوة عام ١٣٣٥ هـ .

كما توجد مقصورة من الخشب المركب وقد عمل بها تغيير فى الاصلاحات التى تمت بالمسجد عام ١٩٧٦ م - ويلاحظ أن أرضية المسجد تهبط عن مستوى أرض الشارع مما يدل على قدم المسجد - وفى الاصلاحات الأخيرة استبدلت الأرضية الخشبية بأرضية من البلاط ولقد بقيت دورة المياه معطلة اكثر من عشر سنوات حيث كانت خربة ومبنية على غير الشروط الصحية - حتى قيض الله مجموعة من الشباب أحسوا بالواجب فنهضوا مشكورين باعادة بنائها على أحدث الشروط الصحية حتى بدت على أحسن وجه . كما قاموا بتوصيل التيار الكهربائى أيضا .

وقبل خمسة وعشرين عاما كانت توجد بالمسجد طلمبة ماصة كابسة لاستخراج الماء من باطن الأرض لاستعماله فى الوضوء ، وقد الغيت هذه الطلمبة أخيرا وكانت هذه الطريقة تستعمل فى كثير من مساجد رشيد.

ومما هو جدير بالذكر . أن الذين اقاموا هذه المساجد ، جعلوا اهم مايعنيهم هو توصيلها بما يسمى (بالمجارى السلطانية) التى تصب اخيرا فى مجرى النيل . لهذا فان اكثر هذه المساجد تتصل بهذه المجارى . بل ان هذه المجارى عملت خصيصا لتصريف المياه المتخلفة عنها . ولاتزال هذه المجارى هى المنصرف الوحيد فى رشيد رغم أنها من عهد حكم الأتراك والمماليك .

ومما يعلق بأذهاننا ونحن صغار من احاديث أجدادنا - أن مسجد

الجندى لاتدخله الطيور كالعصافير والحمام فضلا عن الهوام ــ كمـا أن هذا المسجد ليس به قبر لصاحبه .

وفى مساء يوم الأربعاء ٧ من رجب ١٣٧٩ هـ ــ ٦ يناير ١٩٦٠ نزلت صاعقة على مئذنة مسجد الجندى اطفأت المدينة جميعها وهدمت رأس المئذنة وسقطت فى الشارع المجاور وكان فضل الله عظيما اذ لم تصب أحدا بسوء . وقد نوه خطباء المساجد عن هذا الحادث فى يوم الجمعــة ٩ من رجب .

مسجد زغلول (٣)

أكبر مساجد رشيد اتساعا يقوم على ٢٤٤ عامودا من الرخام والجرانيت تحمل حوالى ٢٠٠ من القبب الصغيرة .. وهناك لوحة على الباب مكتوب عليها الحاج محمد محى الدين عبد القادر ابن المرحوم شمس الدين محمد دمياط ــ والواجهة الأخرى عليها منشور مؤرخ ٩٨٥ هـ ــ ١٥٧٧ م .

ومسجد زغلول هذا عبارة عن مسجدين أحدهما ينسب الى زغلول مملوك السيد هارون ولم يذكر أسم منشىء المسجد الآخر .

ويقع المسجد أول المدينة من الناحية القبلية على مساحة كبيرة حوالى أربعة آلاف متر ويهبط عن سطح الأرض بحوالى مترا . .وبه صحن ٢٠ x ١٦ مترا غير مغطى ، وكانت على احدى واجهة هذا الصحن (مزولة) شمسية مرسومة بطريقة هندسية يتوسطها مؤشر مواجهة للشمس حين يقع ظله على هذه الخطوط يعطى بيانا محددا لمواقيت الصلاة ــ وقد رأيناهــا بحالتها الطبيعية قبل أن تتهدم ــ وكذا يوجد على يمين الداخل من الباب البحرى (صهريج لحفظ المياه) كعادة رشيد فى الأجيال السابقة وترتفع بجواره بقية مئذنة ضخمة تواجه على الطرف الغربى من المسجد مئذنة اخرى من اربعة أدوار لاتزال قائمة الى هذا التاريخ بكامل هيئتها ــ وتلك هى المئذنة التى ارتفع عليها العلم ايذانا بدخول المعركة ضد الغزاة الانجليز فى معركة رشيد عام ١٨٠٧ بقيادة المحافظ على السلانكلى وعالم رشيد المجاهد الشيخ حسن كريت .. وكانت الى عهد قريب تصدر منها اشارة أذان المغرب فى شهر رمضان المبارك بواسطة علم يرفع على الدور العلوى فينطلق المؤذنون فى جميع المساجد وكذا تنطلق صفارات مضارب الأرز تدوى فى المدينة .

أما المئذنة البحرية الشرقية التى لم يبق منها سوى قاعدتها فقد حدثنا اساتذتنا فى مدرسة رشيد الابتدائية فى سياحة الى المسجد انه حين دخلت الحملة الفرنسية رشيد فقد قصفتها بالمدافع الحربية من بوغاز رشيد ، حيث كانت المئذنة عالية بحيث تعتبر فى نظرهم برج استطلاع .

وكان يوجد خلف محراب المسجد غربا منزل يقطن فيه (الميقاتى) وهو الرجل الذى يوكل اليه ضبط مواعيد الصلاة على أساس علمى باستعمال المزولة ومعرفة علم الفلك ، وله شخصيته واعتباره حيثيكون موضع ثقة المسلمين .

وتعرف عائلة الميقاتى نسبة لهذه الرسالة التى اسندت اليهم .. واما المنزل فقد هدم حوالى عام ١٩٦٤ ولايزال مكانه خاليا .

ويقع القبر المسمى المسجد باسم صاحبه فى وسط المسجد تقريبا وترتفع فوقه قبة كبيرة والى جوار القبر توجد صندرة مرفوعة على ستة اعمدة من الخشب .. أما المحراب فتجده فى نهاية المسجد من الناحية القبلية . وكان يوجد بجوار المسجد حمام شعبى للاستحمام .

ومسجد زغلول الآن مغلق تماما ولا تقام فيه الصلاة ، حيث سقطت بعض القباب مما ينذر المصليين بالخطر ، ورغم وجود اعتمادات مالية لاصلاح المسجد الا انه فى حاجة الى عزيمة أهالى رشيد لينهضوا بهذا الواجب المقدس ، ومما يلفت النظر ان هذا المسجد كله بمساحته الكبيرة يمكن أن يتسع لاكثر من خمسين الف من المصليين ، وهذا انما يوحى للمتفكر فى شأن المسلمين السابقين بعظمة الارتباط والتماسك والاهتمام بأمر الاسلام ، ويعطى فكرة أيضا لمدى تأخر مسلمى اليوم عن القيام بواجب هذا الدين ، ويؤكد انه لم يكن يوجد مسلم واحد لايؤدى الصلاة فى هذا العصر ، والحقيقة لو أن مسلمى اليوم كانوا يؤدون الصلاة فى وقتها لما اتسعت المساجد لهم .

وهكذا يؤكد حجم المسجد ان المسلمين كانوا لايتخلفون عن الصلاة فى وقتها .

مسجد أبو مندور (٤)

يقع مسجد (أبو مندور) اقصى قبلى مدينة رشيد ، فى مكان ساحر يقصده الزوار والسواح والوافدون ، اذ حبا الله تعالى هذا المكان

بمشاهد رائعة ومختلفة ، فهو ملتقى النيل بالمسجد الذى تسمى المنطقة باسمه ، مع قمة من التلال وغابة من النخيل ، مع الهدوء العميق بجوار خزان المياه الذى يتربع فوق التل .

وقد حدثنا المعاصرون انه كانت توجد قبلى هذا المسجد ، بوابة رشيد على هيئة بوابة أبو الريش القائمة على حدود بحرى رشيد ، وانه كان هناك شارع يمتد من مسجد (أبو مندور) حتى يصل الى مسجد العرابى وكان هذا الشارع هو السوق العمومى ولعل الآثار الباقية تحت الرمال ومسجد البواب ، يؤكد هذا المعنى ، ولا سيما بعد أن بدت الأرض الطينية تظهر بعد رفع هذه الرمال حديثا .

وللمسجد ثلاثة أبواب ، شمالى وشرقى وغربى ، والباب الشمالى مزخرف وعلى الباب رخامة مكتوب عليها :

دبعلا العباس خديوينا ويفيض نداءه المشتهر قد جدد مسجد من اضحى فى ثغر رشيد خير سرى فلذلك قال مؤرخه (لله بنا أبى النظر ١٣١٢ هـ).

ويرفع السقف الخشبى للمسجد على اربع اعمدة من الرخام الأبيض المزخرف قاعدته منقوشة بنقوش اسلامية ، وللمسجد ٦ شبابيك ، وعلى شمال الداخل من الباب البحرى توجد حجرة بها قبر صاحب المسجد وعلى اعلى باب الحجرة كتب :

شاد الخديو مسجدا لأبى النظر يا فوز من بمقامه لاذا
فزها ببهجته وقال مؤرخا عباس روزنق مسجدى هذا

وعلى يمين المحراب وشماله عمودان من الرخام الأبيض المزخرف ، يسمى مقرنس وللمسجد مئذنة من دور واحد جميلة المنظر ، وفوق قبر صاحب المسجد قبة عالية ولها ثمان شبابيك وهى مزخرفة من الداخل ، أما باب الحجرة فهو مزخرف بنقوش اسلامية جميلة وعليه دلالات تاريخية .

ويوجد بداخل المسجد (صهريج) لحفظ المياه ، مبنى على هيئة نادرة المثال وهذا الصهريج هو الوحيد الباقى فى رشيد بعد قرار هدم الصهاريج والآبار ، ولايزال يستعمل الى الآن .

ويوجد امام باب المسجد بلاط من نوع غير البلاط المسالطى المجهز به أرضية المسجد وقد ذكر امام المسجد الشيخ عبد المحسن مرفة ان هذا البلاط هو البلاط القديم قبل تجديد المسجد .

وحدثنى الشيخ محمد ابو السعود انه قد حضر حفل افتتاح المسجد حين أمر الخديوى عباس الثانى بتجديده ، وكان امام المسجد فى هذا الوقت هو الشيخ على عرفة واسم ريس البوغاز مسعود المدخوم ، وكانت طابية (أبو مندور) التى تقع فوق التل قائمة وفيها الجنود الذين اشتركوا فى حفل افتتاح المسجد .

وقال الشيخ أبو السعود انه كانت تقوم فوق التل الموجود عليه خزان المياه المعطل الآن مجموعة دور للاستشفاء . كان الفكرة التى تراودنا الآن من ضرورة قيام فندق عالمى للاستشفاء فوق هذا التل كانت فكرة قديمة .

مسجد الصامت (٥)

شيده الحاج محمد عبد الرحمن عام ١١٤٧ هـ وبه ضريح عبد الله الصامت يوجد هذا المسجد قبلى رشيد قريبا من مسجد زغلول ، يرتفع على تسعة أعمدة ومحراب المسجد مغطى بالقيشانى ، وعلى يسار باب المسجد توجد حجرة صغيرة كانت تستخدم (كتاب) لتحفيظ القرآن الكريم وعلى يمين المحراب يوجد باب يؤدى الى مقبرة صاحب المسجد ، وعلى يسار المنبر توجد حجرة بها قبر دفن به (العالم العلامة ، الحبر الفهامة العارف ، على كريد) صاحب الكتاب ، وللمسجد صحن مرتفع مغلق ، وفى صندلة المسجد سلم يؤدى الى السطح .

التعريف بصاحب القبر

شهرته الآن فى رشيد ــ عبد الله الصامت وبالبحث عنه اتضح ماياتى: جاء فى رسالة (درر الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) وهو ضمن كتاب (حسن المحاضرة) للامام السيوطى المطبوع والمحفوظ بمكتبة على المحلى برشيد ماياتى فى حرف العين « عبد الله الغفارى » ــ قال فى التجريد كان اسمه السابت فغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله حديث فى تاريخ مصر صفحة ٩٨ جزء واحد » وجاء فى حرف السين ص ٩٣ « السائب الغفارى ذكره ابن الربيع وقال لايوقف له على حضور الفتح ولأهل مصر عنه حديث واحد من طريق ابن لهيعة عن أبى قبيل عن رجل من غفار حدثه أن أمه أتت به الى النبى صلى الله عليه وسلم وعليه تميمة قال فقطع عليه السلام تميمتى وقال ماسم ابنك فقالت اسمه السائب فقال عليه السلام بل اسمه عبد الله ، فقلت أتجيب بكلتيهما فقال ماكنت لأجيب الا على اسم رسول الله الذى سمانى به .

مما تقدم يعلم أن عبد الله الغفارى هـذا صحابى جليل وان اسـمه كان السابت أو السائب وأن حضرة المصطفى عليه السلام هو الذى سماه عبد الله ، وانه ورد مصر وان لم يتحقق من حضوره الفتح .

بقى أن نبحث عن تلقيبه بالصامت وان الصامت هو الغفار المذكور ؛ جاء فى كتاب المعارف لأبن قتيبة الدينورى ص ١١١ عقب ترجمة أبى ذر الغفارى رضى الله عنه مانصه : « عبد الله الصـامت ابن اخى أبى ذر ويكنا أبا نصر » .

اذن يكون عبد الله الصامت غفاريا ولا يوجد بغفار صحابى سمى بعبد الله غيره اذ لو وجد لما كان هناك معنى لاطلاق اسم عبد الله الغفارى فى الحديث الأول صفحة ٩٨ بغير قيد قصد نسبته لسـيدنا ابى ذر على قول ابن قتيبة ، حيث يقع الاشتباه بينه وبين غيره ممن سمى بهذا الاسم فى الروايتين لما فيهما من التطابق الزمنى الذى توحى به العادة ، اذ أن العم عادة يكبر ابن أخيه فضلا عن نسـبته الى النبى صلى الله عليـه وسلم ، ويزيد ابن قتيبة تسميته باسم ابن الصامت وهو اسم أبيه ؛ واذن فقد ورد عبد الله الغفارى مصر وهـو صـحابى جليـل وشهرة أضرحته برشيد بعدم وجود أى أحد من سابقى الصالحين يشاركه فى اسمه ولقبه ، ومناقب الصالحين المتعددة . وعدم وجود غرض يتواطا الناس من أجله على تسمية هذا القبر باسم رجل معين ابتغاء جاه أو شرف فضلا عن أن اسمه لايعرفه الخاصة من الباحثين وفصاحة اسمه الذى لم يسـم أحـد به بعد عصر الصحابة مطلقا ، كل ذلك يقطع بأن سـاكن هذا القـبر الشريف هو عبد الله الصامت رضى الله عنه .

مسجد دمقسيس (المعلق) (٦)

من أجل وأبهى مساجد رشيد ، يقع أمام المنزل الأثرى المسمى بمنزل البقراولى وقف الأتراك المؤسس عام ١١٣١ هـ — ١٧١٨ م .

انشأ هذا المسجد صالح أغا تومقسيس ١١١٦ هـ — ١٧٠٤ م ويعرف هذا المسجد فى رشيد باسم (مسجد المعلق) نظرا لانه يقوم على دور أرضى من المبانى العتيقة المستعملة الآن كمخازن ومحلات للايجار من قبل وزارة الأوقاف ، ويوجد تحت المسجد ممر كبير ، ويصعد الى المسـجد بواسطة سلالم من الناحية الشرقية والغربية على هيئة جميلة ، ويقوم السقف الخشبى للمسجد على عشرة أعمدة رخامية جميلة ، ومحراب

مغطى بالبلاط الكيشانى المزخرف الجميل ومكتوب عليه أسماء الصحابة رضى الله عنهم وعلى الحوائط جانبى المحراب ملصق رخام قيشانى مربع كبير عليه زخارف جميلة ، ويعتبر مسجد دمقسيس المسجد الوحيد الذى يغطى بالقيشانى منذ انشائه ، كذا يجاور المحراب المنبر المصنوع من الخشب المعقد المركب ، وللمسجد ثلاثة عشر شباكا كبيرا ، وثلاثة أبواب ، وتحيط بالمسجد من الجهة البحرية والشرقية مظلة مسقوفة ومكشوفة الجوانب .

وترتفع على المسجد مئذنة عالية رائعة بها ترابيع من القيشانى الجميل والمئذنة على مستوى كبير من الهندسة المعمارية ، وليس فى هذا المسجد قبر .

مسجد العرابى (٧)

وهو المسجد الذى يقع على بوابة مدينة رشيد ، وكان الى فترة قريبة هو آخر حدودها الشرقية ، حيث لم تكن هناك مبان قائمة اطلاقا بعد ذلك ، وكان بجوار المسجد يوجد سوق يسمى سوق الحمارة حيث تقف الخيل والحمير والجمال لاستئجارها للسفر عليها من رشيد للاسكندرية ودمنهور وغيرها،وقد كان ذلك قبل انشاء السكة الحديد والطريق المرصوف.

ويقع هذا المسجد على رأس شارع دهليز الملك وهو أعظم شارع تتواجد على جانبيه مساكن الأمراء المماليك فى عصر الوالى محمد على باشا ، وللمسجد بابان أحدهما غربى والآخر بحرى ، وتنخفض أرض المسجد عن الشارع العمومى بحوالى نصف متر .

ومكتوب على مبنى المسجد (انشأه الحاج خليل بن الحاج ابراهيم عام ١٢١٩ هـ) .

ويوجد قبر صاحب المسجد على شمال المحراب فى اتجاه القبلة فى حجرة مستقلة ويرتفع سقف المسجد على ١٤ عامود ، وللمسجد صندرة تقع على يمين باب الداخل من الباب البحرى ، وتقع دورة المياه فى الجهة الغربية ، وللمسجد مئذنة عالية .

مسجد القبودان (٨)

يقع هذا المسجد فى شارع دهليز الملك ، ويرتفع عن سطح الأرض حوالى متر ويقال ان منشىء هذا المسجد هو (منصور قبودان) ويرتفع سقف المسجد على خمسة أعمدة .

ومما يجدر الاشارة اليه انه كان يوجد بهذا المسجد (بئر) تقصده النساء للاستشفاء بمائه ، وكان اشهر مايقصده الناس من اجل الشفاء منه هو (الرمد) وقد تم ردم هذا البئر مع بقية الآبار الأخرى . ومساحة هذا المسجد حوالى ٢٠٠ مترا .

مسجد بابا حسن (٩)

يقع هذا المسجد غربى مسجد الادفينى مستطيل الشكل ويرتفع على عشرة اعمدة وللمسجد مئذنة من دور واحد ، وبالمسجد قبر .

مسجد زاوية الباشا (١٠)

قام ببنائها الوالى محمد على باشا فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى الموافق أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، وتقع فى هذا العهد وسط مجموعة من مضارب الأرز التى انشأها الباشا ، لتساعد العمال والموظفين على أداء الصلاة ، وتقع هذه الزاوية فوق ترعة ممتدة من مجرى نهر النيل شرقى المسجد لتمر تحت مبنى القبلة ثم تتجه الى المزارع بجوار محطة السكة الحديد ، وقد تهدم هذا المسجد وهجره المصلون اكثر من خمسين عاما ، وقد تم ردم هذه الترعة أيضا .

ثم هيأ الله تعالى لأهالى الحى خيرا فأعادوا تجديده على أحسن ما ينبغى ان يكون وذلك عام ١٩٧٧ .

مسجد المشيد بالنور (١١)

يقع هذا المسجد فى الشارع الرئيسى وهو من المساجد الكبيرة ويقوم على سبعة عشر عامودا والسقف على هيئة قباب وبه ١٣ شباكا وله ثلاثة أبواب ، وللمسجد مئذنة عالية ووجد تاريخ على باب المنبر ١١٧٨ هـ — ١٧٦٤ م .

وتقوم على هذا المسجد رعاية دائمة من اهالى الحى ، وخاصة العناية بالتوسع وعمل مظلات وتحسين مرفق دورة المياه .

زاوية العقادين (١٢)

وتقع فى شارع السوق العمومى ومساحتها حوالى ٤٠٠ متر ولها باب واحد .

زاوية الكيكى (١٣)

تقع قريبا من مسجد زغلول وهى ذات مساحة صغيرة فى حدود ٤٠ متر وبها قبر .

مسجد الرباط (١٤)

يقع فى مواجهة مسجد زغلول يفصل بينهما الشارع الرئيسى .

مسجد الكردى (١٥)

يقع فى الشارع الرئيسى بحرى مسجد زغلول وقريبا من مسجد الرباط ، وبالمسجد قبر بأسم صاحب المسجد ويقع وسط المسجد مما يعوق الصلاة .

مسجد الخلعى (١٦)

يقع المسجد على ساحل نهر النيل ، شكله على هيئة مستطيل ، يقع القبر المعروف باسم صاحب المسجد على يمين المنبر وتعلوه قبة ، وليس للمسجد مئذنة .

مسجد الصمادى (١٧)

يقع هذا المسجد فى شارع دهليز الملك غربى مسجد العرابى .. وكان هذا المسجد مهجورا وجدده أهالى الحى عام ١٩٥٥ ومساحته لاتزيد عن مائة متر ، والمسجد به حجرة بها ثلاثة قبور ، ويرتفع عن الأرض بحوالى ½ متر .

مسجد الشيخ قنديل (١٨)

يقع فى شارع مسمى باسمه ، كان هذا المسجد قد هدم تماما ولا تقام فيه الشعائر حتى نهض أهالى الحى وجددوه على أحسن وجه حوالى عام ١٩٥٠ ، وفى المسجد على يمين الداخل قبر بعيد عن اتجاه القبلة .

مسجد الشيخ تقا (١٩)

انشىء هذا المسجد ١١٤٢ هـ ووجد على باب المسجد رخامة مكتوب عليها الشيخ على تقا ١١٢٣ هـ — ١٧٢١ م ورخامة أخرى على شباك — الحاج عثمان ١١٣٩ هـ .

ومكتوب على المنبر ١١٤٢ هـ والمسجد مرتفع عن الارض ويصعد له بدرجة واحدة والمسجد به قبر على يمين الداخل وللمسجد مئذنة من دور واحد وقبه تعلو القبر .

مسجد الحردى (٢٠)

يقع هذا المسجد بجوار شبكة كهرباء رشيد ، وكانت هذه المنطقة تسمى من قبل منطقة (الكساره) فهى منطقة كانت مهجورة ، وبعد أن زحف عليها العمران اكتشفوا أنه كان هنا مسجد من قديم يسمى مسجد (الحردى) فقام الأهالى وجددوه وأقاموا عليه مسجدا عـــام ١٩٧٦ م يؤدون فيه الصلاة .

زاوية تراب (٢١)

تقع هذه الزاوية فى نهاية شارع كبير مواجهة لمنزل الحـــاج يوسف حاكم رشيد وقد جددت هذه الزاوية عام ١٩٧٤ وجهزت لها دورة مياه جديدة وهى زاوية صغيرة للغاية وقريبة من مسجد الشيخ تقـا .

مسجد المؤسسة (٢٢)

يقع هذا المسجد شرقى مسجد العرابى ، بنى هذا المسجد عام ١٩٧٥ على هيئة هندسية جميلة حيث أن مساحته لاتزيد عن مائة متر وله مئذنة جميلة ويحيط به سور ، وقد اسسته شركة المطاحن حين استولت على مطحن الفساسى ، والمسجد من الداخل مجهز بمنبر جميل والمحراب مغطى بقطع صغيرة من القيشانى ، ويرفع سقفه على أربعة اعمــدة لولبيــة مزينــة ايضا بالقيشانى ، وللمسجد ثمانى شبابيك .

مسجد مشتيلة (٢٣)

هو مسجد عبد السلام مشتيلة ، يرتفع المسجد على ٢٦ عامودا وبه محرابين واحدى عشر شباكا ، وعلى يسار المنبر يوجد قبر .

مسجد الأدفينى (٢٤)

يقع هذا المسجد فى شارع الجيش ، ولهذا المسجد تاريخ فى قصـــة على بك الجارم ويقوم المسجد على ١١ عامودا ، وعلى شـــمال المنبر يوجد القبر وللمسجد ٦ شبابيك وفى عام ١٩٧٥ ضم هذا المسجد الى وزارة الأوقاف .

مسجد فحيمة (٢٥)

مسجد فحيمة يقع فى الشارع الرئيسى .. والمسجد القديم هدم تماما واقيم مكانه المسجد الجديد من دورين ، الدور العلوى مسجد والدور الارضى بنى على هيئة محلات تجارية ، والمسجد على مساحة تزيد عن مائة متر ، والسقف من المسلح قائم على سبعة أعمدة ، والمحراب مزخرف وبه منبر حديث الصنع .

مسجد العباسى (٢٦)

يقع هذا المسجد على شاطىء النيل قبلى رشيد ، والمسجد أثرى ومبنى بالطوب المزركش ، وله مئذنة بجوارها قبة رائعة المثال وموقعه ساحر مؤثر . أسسه محمد بك الطبوزاده عام ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م .

وهذا المسجد من اجمل مساجد رشيد ، وكاد أن لايدخله أحد للصلاة حتى زحف العمران الى هذه المنطقة حديثا ، فبدأ الأهالى يجددونه ويعمرونه .

وكان يوجد بجوار المسجد بعض المقابر الهامة ولكنها قد أختفت بعد هذا العمران .

مسجد (ابو الريش) (٢٧)

ورد ذكره فى « مدونة الأمير غانم بن عياض الأشعرى » ومراجعها طبقات الصحابة وتاريخ أبن خلكان والأناب الأصمعى أما الامير غانم فهو صاحبى جليل — أمه أسماء بنت سفانة بنت حاتم الطائى ، وخاله عدى ابن حاتم ، قدم هذا الأمير الفارسى مع عمرو بن العاص فى احدى تجاريده على مصر ، وأمره على كثير من البلاد مثل البهنسا ومصر ودهشور والجيزة . وتوفى بالبرلس ودفن بهـا وأولاده ستة ومن ذريته سيدى محمد أبو الريش برشيد كما جاء فى المدونة ، ويقع مسجد أبو الريش قريبا من بوابة الريش بحرى رشيد ومساحته حوالى ٥٥ مترا ومرتفع عن الأرض بحوالى متر وللمسجد مئذنة ووجد على احد جدرانه تاريخ ١١١٩ هـ وللمسجد باب رئيسى واحد وباب لدورة المياه .

مسجد أبو عثمان (٢٨)

وهو مسجد قديم لم يبق منه الا معالم قليلة ويوجد هذا المسجد داخل محيط مقابر المدينة — ومن المنتظر أن يعاد بناؤه من جديد .

مسجد المنزلى (٢٩)

ومكانه فى حى المنزلى المسمى باسمه وهو مسجد كبير قديم ــ وكان اعيان رشيد من قبل يدفنون فيه موتاهم حتى ازدحم المسجد بالقبور ــ والآن قام الخيرون من الاهالى باعادة بنائه من جديد بعد رفع المقابر .

زاوية الرومى (٣٠)

وتقع مع تقاطع شارع مسجد زغلول مع شارع مروة البصل وامـــام مسجد الصامت وقد هدمت هذه الزاوية ومزمع تجديدها .

مسجد الشيخ سعد الله (٣١)

يقع هذا المسجد فى قلب المدافن على امتداد شارع ســوق الجمعة قبلى رشيد ، والمسجد متهدم من قديم ولم يبق منه سوى (القبة التى يرقد تحتها رفات الشيخ سعد الله) الذى سمى المسجد بأسمه ؛ دون تفصيل .

وحين قامت فى السنين الأخيرة نهضة بناء وتعمير المساجد فى رشيد ــ اتجه العزم الى تجديد بناء مسجد الشيخ سعد الله عام ١٩٧٨ ــ واثناء حفر اساس المسجد عثر على دورة مياه وحمامات على عمق ثلاثة أمتار تحت الأرض كما وجد ممر للمياه داخل حائط بالمسجد القديم ــ ووجد خزان للمياه من الحجر الطراوى كما عثر على بئر عميق بجواره طلمبة لرفع المياه ــ ووجد تحت المسجد (مجارى) تصل المسجد بمجرى النيل الذى يبعد عنه بحوالى كيلو مترا ــ كعادة مساجد رشيد فى هذا العصر ــ ولم يبق من أثر لهذا المسجد سوى (القبة) التى لاتزال متماسكة وتدلل على روائع فن المعمار الاسلامى وسوف يتم ترميمها وتجديدها .

ومشروع المسجد الجديد الذى بتوسط المدافن سوف يتيح للأهالى صلاة الجنازة على الميت فى عدم التقيد كالعادة فى رشيد بضرورة الصلاة على الميت فى مسجد سيدى على المحلى ولو كان المتوفى يسكن بالقــرب من المقابر .

كما سيكون فى تصميم البناء الجديد ــ عمل مظلة حتى يتمكن أهــل المتوفى من تقبل العزاء عقب دفن الميت كما وضع فى التصميم أيضا عمل دورة مياه للرجال وأخرى للسيدات .

مسجد البواب (٣٢)

وهو المسجد المسمى باسم والد زبيدة البواب زوجة عبد الله مينو الذى يقال انها قد دفنت فى هذا المسجد — والمسجد كائن على ساحل نهر النيل فى المسافة مابين مسجد العباس ومسجد (أبو مندور) — وقد زحفت عليه الرمال حتى قمة المئذنة .

منزل عثمان أغا "الأمصيلى" [1]

هذا المنزل المحتوى على أشغال النجارة المطلوب تقدير قيمتها ، كائن فى تلاقى شارع المدينة القديم وقد تم انشاؤه بتاريخ ٢٥ شوال سنة ١٢٢٣ هـ — وبناء هذا المنزل مصنوع من الطوب وفيه ثلاثة أدوار— الدور الأرضى يعلوه دوران بموردات خشبية وصالته متينة بعد التقوية التى عملت حديثا وصار الآن جيد لحفظه كله الى مدة طويلة من الزمن وقد لوحظ أن وضع البناء فى غاية النظام — فالعقودات والأكتاف التى فى باب الدخول مزخرفه بالطوب الخردة الملون ونوافذ الشبابيك مركب عليها مصبعات خشب خرط والحائط والأسقف من الداخل لايوجد فيها زخارف تقريبا مثل عموم منازل رشيد — وانما الشىء الغير معتاد هو الحواجز الخشب والأبواب التى سيأتى الكلام عنها .

الأشغال الخشب التى هى موضوع مأموريتنا توجد فى (أود) من الدور الأول وبين المندرة والخزنة فى الدور الأرضى — فالنصف الاعز فى أشغال الخشب هو الحاجز الذى بين القاعة والخزنة والدور الأول (وقد ارفقنا مع هذا فوتوغرافية التى أجريناها يوم فحص المنزل برشيد) الموافق ٣ من الشهر الحالى — المصنوع من خشب عادى ومكسى بخشب مشغول شغلا نفيسا وشغل خرط طوله تقريبا ستة أمتار وارتفاعه أربعة ومركب من جزءين الجزء الأسفل أعرض من الأعلى بقدر نصف متر ومعمول من حشوات قرط (مشربية) بكرنيش من خشب شغله غير دقيق برسومات مشبكة فى بعضها وخطوطها معمولة بخزرانات ممسوحة بالفارة وفيها بروزات هذه البروزات كلها حشوات بزوايا أضلع بعضها مطعم بالصدف — والافريز المذكور محيط بحملة أبواب وجانب منها يول الى الخزنة القريبة للحاجز والجانب الآخر هو أبواب دواليب بدائرة — خورنقات صغيرة — وتلك الأبواب بعضها مزخرف وشغلها يشابه شغل

---

(١) من محاضر لجنة حفظ الآثار القديمة العربية عن سنة ١٨٩٣ م

الافريز ، أما شغل المشربية التى هى فى أعلى ، فهى مثل الموجود فى محلات الأهالى القديمة بالقاهرة وهذا المنزل قد بنى عام ١١٢٣ الموافق ١٧١١ .

وبجوار منزل عثمان اغا (الأمصيلى) يوجد منزل صغير يسمى منزل (حسيبة غزال) وكان هذا المنزل معد لخدم عثمان اغا وبجواره طاحونة (أبو شاهين) بها عدتها للآن وقناطر ومكان للطحان واصسطبل للخيل وهذه تلفت النظر .

وصف لمنزل المازونى "منزل البواب" (١)

وصاحبه عبد الرحمن البواب بنى عام ١١٢٣ هـ — ١٧٤٠ م .

هذا المنزل كائن ايضا بجهة متروكة فى المدينة (اصبحت عمارا) ولوانه تحمل التأثيرات الجوية والتعليات المتعددة التى لم تزل آثارها باقية على خارجه بأكمله ـ كذلك يستحق النظر اليه لأن جميع أجزائه المحفوظة من زمن انشائه تشهد انه عمل باعتناء وذوق غريب والآن يحتوى هذا المنزل على دور أرضى ودور آخر — فوجهته الغربية تمتاز بشكل بواكيهـــا المسمى عجمى وبخلاف هذه البواكى وجزء من الوجهـــة البحرية كل مبان المنزل فيها دلائل التكسيات ومن الشبابيك المفتوحـــة بانتظـــام فى الدور الأول يعلم بأنها تابعة لأودة مهمة من السكن وحقيقـــة هى أحسن أودة حفظت فى المنزل ويصل الانسان اليها من السلم رأســـا وشكلها مربع ومقاسها ٦٫٦٠ متر × ٥٫٦٠ متر وسقفها على ارتفاع ٣ متر فقط .

أما تركيب هذه الأودة فهى على أحسن مايرام بالنسبة للخطة التى اتخذها المعمارى ومعظم سطح الحوائط مشغول بالشبابيك الكبيرة والباقى مكسو من الكيشان — والى الآن الشبابيك فيها بعض أجزاء قليلة من الخشب الخرط (مشربية) ورسمها حقيقة عجيب وتستحق أخذ صورتها الآن ، وكل شباك منها يعلوه منور بدرفة لها مجرى معدة لقفلها — وأهم رفارف الأودة محصور فى الجهة القبلية التى فوق حائطها متر واحـــد ومعمـــول عليها حاجز فيه فضـــاء كبير وبدائرة دواليب وخورنقـــات صغيرة لحفظ الأشياء الدقيقة — وأبواب تلك الدواليب شغلها مجمع على رسومات متنوعـــة .

---

(١) عن لجنة الآثار القديمة العربية — المجموعة الثالثة عشر من محاضر اللجنة والتقارير القومسيون الثانى سنة ١٨٦٩ م .

وفوق هذا الحاجز شقـــة مشربية مرتبطة بالسقف ويعرف الحاجـــز المذكور باسم (اغانى) الذى لابد من وجوده فى كل منزل شخص له ثروة — أما الفضاء الكبير فهو عبارة عن مقصـــورة يختلى فيها صــاحب المنزل للاستراحة والتمتع بالهواء الجيد الآتى من الشبابيك العديدة .

وقد وجـــدنا تناســـب فى هـــذا السقف مع حسن الهندســـة عموما لان مسطحه الآن كان قليلا لكنه يشتمل على الصفات المستعملة للأسقف .

أما منزل المايزونى هذا فهو تابع لوقف العرابى والجروى وهو منضم للأوقاف الخيرية ومعلوم أن هذا المنزل كان سكنا لزبيدة البواب زوجـــة الجنرال مينو .

بيان تفصيلى عن المنازل الأثرية

منزل الأمصيلى . ويقع بشارع الشيخ قنديل (٣٣)

تم بناؤه سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م وقد بناه عثمان اغا الطبجى وكان جنديا فى الجيش التركى . ويتكون هذا المنزل من ثـــلاث أدوار الدور الأرضى حجرة استقبال وايوان خشبى أما الدور الاول فيه حجرات للرجال بها دواليب (اغانى) وسميت اغانى ، وهى مطعمة بالعاج والصـــدف والدور الثانى خاص بالحريم وبه المشربيات الخاصة بهم . حيث أن هذه المنازل مبنية على اساس البيئة الاسلامية .

منزل حسيبه غزال (٣٤)

وتم بناؤه سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م وهو ملاحق لمنزل الأمصيلى وكان مخصصا للخدم ويتكون من دورين .

منزل فرحات ويقع فى شارع مسجد فحيمة (٣٥)

وبنى فى النصف الثانى من القرن ١٢ هـ — ١٨ م

ويتكون من أربعة أدوار — شادر فى الدور الأرضى وهو عبارة عن مخازن للغلال وحجرات للاستراحة للتجار وقاعة للمناسبات أما الدور الأول فكان خاص بالرجال والدور الثانى خاص بالحريم والدور الرابع صيفى وبه فتحات من السقف للتهوية .

منزل ابراهيم بلطيش (عصفور) (٣٦) ويقع مع ملتقى شارع سوق الخضارية مع شارع سوق السمك بحرى .

وتم بناؤه سنة ١١٦٨ هـ — ١٧٥٤ م

ويتكون من أربعة أدوار عبارة عن شادر فى الدور الأرضى ويتكون من مخازن للغلال وحجرات للاستراحة وقاعة للمناسبات والدور الأول كان خاص بالرجال والدور الثانى خاص بالحريم والدور الرابع صيفى والنوافذ بارزة الى الأمام بحوالى ½ متر ولاتوجد به مشربيات .

منزل عرب كلى : (المتحف) بشارع الجيش (٣٧)

وبنى فى النصف الثانى من القرن ١٢ هـ — ١٨ م

ويقع فى خمسة أدوار الدور الأرضى وبه صهريج وشادر والدور الأول للرجال وكذلك الدور الثانى خاص بالرجال. أما الدور الثالث والرابع فكان خاصا بالنساء وبه المشربيات أما الدور الخامس فهو صيفى بـه حجرتان ويوجد حاليا بهذا المنزل (متحف رشيد) .

منزل الباقرولى : يقع أمام مسجد المعلق بشارع على الجارم (٣٨)

وقد تم بناؤه فى سنة ١١٣١ هـ — ١٧١٨ م

ويتكون من ثلاثة ادوار الدور الأرضى شادر والدور الأول خاص بالرجال والدور الثانى خاص بالنساء وبه المشربيات والدور الثالث صيفى وتطل واجهته الرئيسية على شارع على الجارم أمام مسجد المعلق وتوجد على أحد أبواب مخازنه بالدور الأرضى عبارات كتبت باللغة التركية وقد استولت مصلحة الآثار على لوحة كبيرة من الرخام كانت مثبتة فى واجهة المنزل ومكتوبة باللغة التركية .

منزل مكى : يقع امام مسجد الشيخ تقا (٣٩)

وبنى فى سنة ١١٢١ هـ — ١٧٠٩ م

ويتكون من اربعة ادوار تهدم منها دوران الثالث والرابع وباقى أثنان عبارة عن شادر والدور الأول للرجال ويوجد به الآن مصنع للسجاد تابع لجمعية تحفيظ القرآن الكريم .

منزل المناديلى : ويقع بشارع كبير أمام زاوية تراب (٤٠)

وبنى فى القرن ١٢ هـ — ١٨ م

ويتكون من أربعة ادوار شادر فى الدور الأرضى والدور الأول خاص

بالرجال والثانى خاص بالنساء والرابع صيفى ويتميز بأنه مقـــام على أعمدة من الرخام والجرانيت . واسقف المنزل مطعمة بالصدف والأشغال الخشبية البديعة .

منزل ثابت : يقع بشارع كبير (٤١)

وتم بناؤه فى النصف الثانى من القرن ١٢ هـ ـــ ١٨ م

ويتكون من ثلاثة أدوار الأول شادر والثانى للرجال والثالث للنساء وبه المشربيات .

منزل القناديلى : يقع بشارع الشيخ قنديل (٤٢)

وبنى فى النصف الثانى من القرن ١٢ هـ ـــ ١٨ م

ويقع فى ثلاثة أدوار الدور الأول شادر والثانى للرجال والثالث للنساء وبه المشربيات .

منزل طبق : يقع بشارع الشيخ قنديل (٤٣)

وبنى من أول القرن ١٣ هـ ـــ ١٩ م

وخاص بخدم القناديلى ويقع فى دورين .

منزل الميزونى : يقع بشارع بدر الدين (٤٤)

بنى عام ١١٥٣ هـ ـــ ١٧٤٠ م

وبناه عبد الرحمن البواب الميزونى جـــد محمد الميزونى والـــد زبيدة البواب زوجة فرانسوا جاك مينو القائد الثالث للحملة الفرنسية على مصر والذى سمى بعد اعلان اسلامه باسم عبـــد الله مينو ويتكون من خمســـة أدوار شادر ودور للرجال ودور للنساء ودور صـــيفى والأخير به حجرة واحدة وسبق الحديث عنه .

منزل على جلال : يقع بشارع بدر الدين (٤٥)

بنى فى النصف الأول من القرن ١٢ هـ ـــ ١٨ م

وهو ملاحق لمنزل الميزونى وكان جزء منه وبه نفس مميـــزات منزل الميزونى ويتكون من أربعة أدوار .

منزل التوقاتلى : يقع بشارع الخميسى الممتد مع شارع فحيمة وبنى فى أول القرن ١٣ هـ ــ ١٩ م (٤٦)

ويتميز بوجود وكالة فى الدور الأرضى ملحق بها دور آخر يتم الصعود اليه بسلالمك به المخازن والوكالة السفلى عبارة عن مخازن وحجرات لنوم التجار وهى منفصلة عن المنزل اما المنزل نفســه فيتكون من ثلاثة أود للرجال والحريم وبه مشربيات ٢ بارزة عرض كل منها ٢ متر وبارزة عن الحائط بحوالى متر واحد .

منزل الجمل : يقع بشارع دهليز الملك (٤٧)

بنى فى النصف الثانى من القرن ١٢ هـ ــ ١٨ م

ويتكون من أربعة ادوار شادر والثانى للرجال والثالث للحريم والرابع صيفى .

منزل رمضان : يقع بشارع دهليز الملك (٤٨)

بنى فى النصف الأول من القرن ١٢ هـ ــ ١٨ م

ويتكون من أربعة أدوار كالسابق ولكن لنا هنا وقفة أمام ابداع التفكير والفن العربى الأصيل ذلك ان هذا المنزل بــه سرداب سرى يبدأ هــذا السرداب بفتح أحد دواليب الأغانى الموجودة بأحد الحجــرات الدور الثانى وهذا الدولاب به باب يؤدى الى السرداب عن طريق ممر ضيق ويقع هذا السرداب بين سقف الدور الأول والثانى وبه حجرات ودورات مياه وتام للاقامة حيث اذا كان بالخارج غدو فمن السهل الاختباء بهــذا السرداب .

كما يوجد بهذا المنزل مايسمى (بالجب) كان الحاكم يلقى فيه ببعض أعدائه .

منزل علوان بك : يقع فى منتصف شارع كبير

بنى فى النصف الأول من القرن ١٢ هـ ــ ١٨ م

ويتكون من أربعة أدوار كالسابق وبه وكالة فى الدور الأرضى وهذا المنزل شهد اجتماع أحمد عرابى بعلوان بك كبير تجار رشيد بعد ان تولى أحمد عرابى وزارة الحربية وخلع محمود سامى البارودى فى جولة بجميع محافظات مصر من أجل كسب مساندة الشعب له .

منزل محارم : يقع بشارع دهليز الملك (٥٠)

وبنى فى النصف الأول من القرن ١٢ هـ ـــ ١٨ م

ويتكون من أربعة ادوار كالسابق .

منزل ابو هم : يقع امام مسجد محارم بشارع دهليز الملك (٥١)

بنى فى النصف الأول من القرن ١٢ هـ ـــ ١٨ م

ويتكون من ثلاثة أدوار شادر والثانى للرجال والثالث للنساء .

منزل كوهـــية : ملاصق لمسجد العرابى بشارع دهليز الملك (٥٢)

بنى فى النصف الأول من القزن ١٢ هـ ١٨ م

ويتكون من دورين شادر فى الأرض والأول للرجال والثانى للحريم .

منزل بسيونى : ملاصق لمنزل كوهية بشارع دهليز الملك (٥٣)

بنى فى النصف الأول من القرن ١٢ هـ ـــ ١٨ م

ويتكون من دورين شادر ، الأول للرجال والثانى للحريم .

منزل درع : بشارع كبير ملاصق لمنزل المناديلى (٥٤)

بنى فى النصف الأول من القرن ١٢ هـ ـــ ١٨ م

ويتكون من أربعة ادوار الشادر ، فى الدور الأرضى والأول خـــاص بالرجال والثانى بالحريم والأخير صيفى .

قليل من شباب هذا الجيل الذين شاهدوا تلك المدافع الضخمة التىكانت تربض فوق تل (أبو مندور) والتى لايزال بعضها مطمورا تحتالرمال ــ وتلك المدافع كانت تتحكم فى مدخل رشيد الرئيسى عند مسجد العرابى المؤدى الى الاسكندرية ــ وقد شارك هذا الحصن ضد قوات الغزو الفرنسى عام ١٧٩٨ ، كما شارك ضد قوات انجلترا فى حملة فريزر عام ١٨٠٧ ، وقد جاء فى كتاب (فى سبيل الحرية) وصفا لهذه المعركه (ففى ٧ أبريل ١٨٠٧ عاد الانجليز بعد مضى سبعة أيام من اليوم الذى امتلأت فيه نفوسهم بالمرارة حتى حلوقهم عادوا لينتقموا فى نذالة ووحشية لقد عقدوا العزم على تطويق رشيد من الجنوب حتى لاتبلغها اية مؤن أو امدادات من القاهرة ... وخلف « ويكوب » قائدا داهية جديد .. هو الجنرال « ستيورات » واصطحب معه عددا كبيرا من المدافع الثقيلة وبلغ (أبو مندور) ونصب المدافع فوق الربوة العالية .. وصوب فوهاتها الى البلدة الآمنة ثم دفع قوة كبيرة من الجنود الى «الحماد» فى الجنوب منرشيد بين النيل وبحيرة ادكو ليعزل رشيد تماما عن باقى القطر .

وكان « ستيوارت » يحس العقدة النفسية التى اصابت جنوده أثر حادثة رشيد المروعة ــ فأكتفى بأن يحتل المراكز البعيدة عن البلدة ــ وأن يصلى دورها نارا تتساقط عليهم من بعيد حيث يرقد هو وجنوده فى مأمن حصين من فتك الأهالى ــ ولم يتفتق ذهنه عن خطة أكثر من هذه نذالة وجبنا لكى يتبعها .

وفى فجر هذا اليوم العابس ــ صحا الأهالى على صوت الحمم تتساقط فوق دورهم الآمنة ــ ووجه المنتقمون أول قذيفة لهم على مسجد زغلول ليفتكوا بالخاشعين لله وينتقموا من المئذنة التى أذنت (يقصد المئذنة التى ارتفع من فوقها العلم الذى كان اشارة البدء فى الهجوم على قوات فريزر الانجليزية التى دخلت رشيد مطمئنة ثم عند الاشارة بالعلم فاجأها أهالى المدينة رجالا ونساء شيبا وشبابا بالهجوم المباغت فأذهلتهم المفاجأة التى قضت عليهم) كما هدمت القذيفة جزءا من الجامع كما هدمت نصف المئذنة التى لايزال جزء منها باقيا للآن شاهدا على ذلك ــ رغم أن المئذنة الأخرى لاتزال شاهقة محلقة فى عنان السماء .

وبقى أن نقول أن قلعة (أبو مندور) قد انشئت فى القرن الخامس عشر .

قلعة العبـــد

وتقع هذه القلعة بحرى برج رشيد وسميت قلعة العبد لأن الحصن متسخا بالسواد ـــ ويقال انها سميت بعد ذلك بقلعة عرابى .

النيـــل

يعتبر القادة العسكريون النيل حاجزا مائيا منيعا ضد الغزو ، وكان كذلك موقع رشيد من النيل حيث تقع المدينة على الشاطىء الغربى من النيل تحميها قلعة (أبو مندور) من الجنوب وقلعة قايتباى من الشمال والنيل من الشرق . أما من الغرب فكانت الرمال ، الكثبان وسور رشيد المنيع .

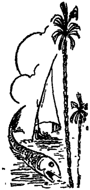

آثار متنوعة

طاحونة ابو شاهين (٥٥)

بنيت فى أول القرن ١٣ هـ ١٩ م

وقد بناها عثمان اغا الطبجى الذى بنى منزل الامصيلى وكانت خاصة بطحن الغلال وكانت تعمل بالخيل ومازالت تعمل حتى الآن حيث تـم تشغيلها قريبا وتعتبر الطاحونة الوحيدة فى مصر من هذا النوع .

حمـــام عزوز (٥٦)

بنى فى القرن ١٣ هـ ـــ ١٩ م

وبه منزل صغير ملحق به ويرجع الى العصر العثمانى وبه نافورات للمياه رخامية ، وحجرات للاستحمام .

قلعة قايتبـــاى (٥٧)

أمر بانشاء هذا الحصن السلطان قايتباى فى عام ٨٧٦ هجرية الموافق ١٤٧٢ ميلادية ، وعرف فى عهد الحملة الفرنسية باسم جوليان ، وعثر الفرنسيون بداخله على حجر رشيد الذى كان له الفضل فى حل رموز الكتابة الهيروغليفية ، ومازالت بقـــايا جدران هـــذا الحصن قائمة الى الآن وقد أقام لأهالى برج رشيد مسجدا كبيرا فى وسط هذه القلعـــة ، كما وضعت مصلحة الآثار لوحة رخامية على جدران القلعة تحكى قصة العثور على حجر رشيد بداخلها .

وكالة البوجى (٥٨)

وكالة الشمع (٥٩)

وكالة الحجر (٦٠)

وكالات وحمامات رشيد

حمام الفراخ (٦١)

ومكانه أمام باب مسجد على المحلى الشرقى ــ وكان يوجــد بجواره مطبل أى مغطس لليهود .

حمام الشلبى (٦٢)

ومكانه بجوار الفراخ من الجهة القبلية وله ساقية خاصة تغذى الحمام بالماء عن طريق مجرى متصل بالنيل ومجرى آخر لتصريف المياه المستعملة.

حمام قايتبــاى (٦٣)

مكانه امام مسجد الصامت .

حمام البستانجى (٦٤)

مكانه بجوار حمام قايتــباى

حمام الساحة (٦٥)

الموجود الآن فى الجهة الشرقية البحرية من مسجد زغلول .

وكالة الطابونة (٦٦)

كانت فى المربع من الأرض الذى تام عليه مضرب أرز مصطفى السيسى وكان آخر عهده مضرب زكى ترك ثم تحولت هذه الأرض الى مبان وعمارات تقع جميعها فى الجهة الشرقية من مبنى متحف رشيد حتى تصل الى الشارع القبلى لمسجد النور .

وكانت وكالة الطابونة مخصصة لافراد الجراية (العيش) لامدادات الجيش المصرى فى عهد عرابى .

وكالة أبو على (٦٧)

ومكانها يقع فى الجهة الغربية البحرية من مسجد (النور) فى الأرض التى يقوم عليها الآن منزل سالم عباس وما حوله ــ وابرز ما كان فى هذه الوكالة ــ صهريج للماء مساحته كبيرة جدا بالنسبة لجميع الصهاريــج الموجودة والمعتادة فى رشيد ينزل اليه بسلالم وكان عدد الأعمدة التى

يقوم عليها هذا الصهريج ثلاثون عامودا وداخل هذا الصهريج توجد رشاقات ومزاغل لوضع المسرجة للاضاءة .

وكالة السادات (٦٨)

وهى المساحة من الأرض التى تقع بحرى مسجد فحيمة ويفصل بينهما الشارع الذى يقع فيه المسجد ومنزل فرحات الأثرى حتى يلتقى بشارع التحرير غربا وتمتد المساحة طولا على شارع سيدى المحلى لمسافة حوالى ستين مترا حتى تلتصق بجدار وكالة الباشا — ولم نعرف نوع التجارة أو المهنة التى كانت تختص بها هذه الوكالة ولكن الأهالى كانوا يستعملونها فى الفترة الأخيرة كمخازن وقد تهدمت هذه الوكالة فى الأربعينات .

وكالة الباشا : (٦٩)

وهى مساحة الأرض التى تلاصق وكالة السادات وتنتهى عند شارع الابيارى على بعد حوالى ٢٥ مترا من مسجد الجندى — وهى آخر ماهدم من الوكايل فى رشيد وكان لها بابان كبيران يبلغ ارتفاع الباب خمسة أمتار وهو على هيئة أبواب المنازل الأثرية أحدهما شرقى والآخر غربى وتدخل من الباب على بهو طويل مبنى على شكل قبو من الحجارة الصفراء المنسقة_والوكالة مبنية علىمربع مفرغمنالداخل يتوسطه مسجد للصلاة وتحت المسجد صهريج للمياه — وعلى مساحة أضلاع المربع من الداخل توجد محلات تجارية يقال انها كانت محلات — عطارة وحبوب وفوق هذه المحلات توجد بيوت سكنية لهؤلاء التجار — يصعد لها بسلالم على الجوانب وبعد صلاة العشاء تغلق أبواب الوكالة على سكانها .

وكـــالة : (٧٠)

وهى مساحة الأرض التى تقع مابين شوارع دهليز الملك والتحرير وعلى بك الجارم والتى يقوم عليها الآن منزل الحاج صبحى الطيبانى وكانت هذه الوكالة تختص بلوازم العرايس من أقمشة وأدوات نحاسية وخشبية . وتحت الركن البحرى الغربى يوجد صهريج للمياه كبير قد تم ردمه حيث كان من الصعب هدمه .

وكالة القنصل (٧١)

ويقع مكانها فى شارع القنصل بحرى المدينة والذى يقع فيه مكتب البريد الآن وتتكون وكالة القنصل من عدة منازل يحيط بها سور . هذه المنازل معدة

لسكن قناصل الدول الأجنبية فى رشيد حيث كانت محافظة ويقيم فيهـــا أمراء المماليك .

وكالة ظاظا (٧٢)

وهى المساحة التى تواجه مسجد الجندى غربا على شارع المحلى وتمتد طولا حتى شارع العكارى الذى يقع فيه حمـــام الشلبى ســـابقا وتنتهى الوكالة عرضا حتى حارة البنط ــ وهذه المساحة هى التى تقوم عليهـــا الآن عمارة شعبان خضر والتى كانت توجد فيها قهوة نمنم الشهيرة .

كنيســـة الأروام (٧٣)

لا تزال هذه الكنيســة موجودة ولكنها مغلقة وليس لها نشاط .

وكـــالة الخضـــار (٧٤)

وتقع قبلى رشيد وكان يباع فيها الخضر بجميـــع أنواعه وكذا الموالح والبطيخ والبرسيم والحبوب .

وكـــالة الحـــدادين (٧٥)

وتقع قبلى رشيد وتجاوز وكالة الخضار ــ وتقوم فيها ورش الحدادين حيث كانت صناعة السفن مزدهرة .

وكـــالة خرابة الحنة (٧٦)

وهى مساحة الأرض الكبيرة التى تقع مع تقاطعى شارع دهليز الملك وشارع مسجد زغلول وتنتهى عند شارع قهوة العجوانى ــ ولا ندرى لمـــاذا سميت خرابة الحنة ــ سوى لنا شاهدنا عند هدم هذه الوكالة وجود قطرات من الزئبق تحت المبانى .

وكـــالة بهيتـــة (٧٧)

محطة الســـكة الحـــديد (٧٨)

مركز شرطة رشيد (٧٩)

نادى مدينة رشيد (٨٠)

متنزه رشيد العمومى (٨١)

منزل الشبآسى المراكبى (٨٢)

وهو المنزل الذى جاء ذكره فى كتاب غادة رشيد للأستاذ على بك الجارم .

منزل الشيخ احمد الجارم (٨٣)

وهذا المنزل يقع فى مواجهة مسجد سيدى الجندى أمام التبلة .

بوابة ابـــو الريش (٨٤)

ســـوق الجمعة (٨٥)

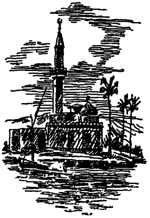

تم الكتاب بحمد الله

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة
اهداء	٣
مقدمة	٥
لمحة ربانية	٩
الباب الأول : رشيد فى القديم	**١١**
رشيد المجاهدة ــ وصف مدينة رشيد	١٣
حجر رشيد ــ نص المحضر	٢١
فكرة عن أحياء وضواحى رشيد	٢٩
شياخات رشيد ــ السكان بالتقريب	٣٣
طريق رشيد ــ اسكندرية	٣٤
بين الاسكندرية ورشيد	٣٩
فكرة تاريخية عن منطقة أدكو	٤١
مستقبل رشيد	٤٤
حجر رشيد	٤٦
رشيد بين الاسكندرية والبحيرة	٤٨
الباب الثانى : رشيد ومعركة الانجليز	**٥١**
واقعة رشيد وهزيمة الانجليز فيها (٣١ مارس ١٨٠٧ م)	٥٢
رشيد مقبرة الانجليز	٥٧
الشيخ الجليل حسن كريت ومعركة رشيد	٥٩
ثورة ١٩ فى رشيد	٦٣
الباب الثالث : اجتماعيات	**٦٥**
متحف رشيد	٦٦
مصيف رشيد	٦٨
حافظوا على تل « أبو مندور »	٦٩
رشيد تفوق سويسرا فى مناظرها الطبيعية	٧٠
تطور التعليم فى رشيد	٧٢
رشيد مدينة المعمرين	٧٥
رشيد البخيلة	٧٩
القاف فى حديث أهل رشيد	٨١
مقابر رشيد	٨٢
زى أهالى رشيد	٨٦
مرض الفيل	٨٧
محكمة الخط ــ الملاهى فى رشيد	٨٩
كيف يختار الرجل زوجته فى رشيد	٩٢
من مظاهر شهر رمضان	٩٤
البعلوة والقبلوة والبحروة	٩٧
النكتة فى رشيد	٩٨

الموضوع	صفحة
الأفراح والموالد فى رشيد	١٠٢
بين أهالى ادكو ورشيد	١٠٧
انتخاب مجلس الشعب ــ الحدائق الضائعة	١١٢
الوهلة	١١٤
الكوليرا فى رشيد عام ١٩٤٧	١١٦
الباب الرابع : الاقتصاديات	١١٩
اقتصاديات رشيد	١٢٠
صناعة السفن والمراكب فى رشيد	١٢١
السمك فى رشيد ــ أم الخلول	١٢٢
الفسيخ ــ موسم السردين الذى فقدناه	١٢٣
الطيور البرية .. والطيور المائية	١٢٧
المصانع	١٢٩
النخيل والبلح	١٣٠
مصنع تجفيف وتعبئة البلح ــ الرمال السوداء	١٣٢
صناعة الأقفاص	١٣٣
بيان زمام الأراضى الزراعية والبور	١٣٦
طريقة الرى ــ الليمون البنزهير	١٣٧
مضارب الأرز فى رشيد	١٣٨
ماذا قالت كتب التاريخ عن صناعة الأرز	١٣٩
سببا فاتبع سببا ــ مضارب الأرز برشيد	١٤٠
مصانع الدوبارة	١٤١
النجارة وبيوت الآثار	١٤٢
صناعة الطوب ــ معاصر الزيوت أو (السرجة)	١٤٤
صناعة الجبن ــ العقادين والخياطين	١٤٦
صناعة السجاد	١٤٧
الباب الخامس :	
رجالات رشيد	١٥٣
العالم الكبير حسن صالح الجارم	١٥٤
الشيخ الجليل أحمد محمود الجارم	١٥٥
حسن نعمان الجارم ــ تعريف أسرة الجارم	١٦٢
الشيخ حسن بن غالب الجداوى ــ ادباء رشيد	١٦٣
على الجارم	١٦٥
رشيد	١٦٨
الشاعر المغمور	١٧١
الاستاذ محمود عبد الحليم الكبير	١٧٣
ذكرى انتصار رشيد	١٧٤
دكتور عمر عبد المحسن الجارم	١٨٢
صحوة رشيد	١٨٣
فتحى الجارم زجال رشيد	١٨٦

الموضوع	صفحة
الاسلام	١٨٧
الحاج يوسف	١٨٩
الحاج أحمد طبق	١٩٠
عائلة الميقاتى	١٩١
عثمان البرديسى فى رشيد	١٩٢
الدكتور أمين رويحه	١٩٥
على بك بدر الدين	١٩٦
مصطفى بك بدر الدين	١٩٧
عثمان خجا حاكم رشيد	١٩٨
على بك السلانكلى ـــ السيد حسن كريت	٢٠١
اسماعيل بك رمضان	٢٠٣
زبيدة الرشيدية	٢٠٤
الحاج حسن أبو عيادة ـــ احمد الداراوى	٢٠٥
أسماء بعض عائلات رشيد	٢٠٩
الباب السادس :	**٢١٣**
مساجد رشيد	٢١٤
منزل عثمان أغا الأمصلى	٢٢٨
وصف المنزل المازونى « منزل البواب »	٢٢٩
بيان تفصيلى عن المنازل الأثرية	٢٣٠
حسن أبو مندور	٢٣٥
آثار أبو متنوعه	٢٣٧
وكالات وحمامات رشيد	٢٣٨

رقم الايداع ٧٩/٤٨٩٨

مطابع مذكور ـــ ٣٠ ش عبد الخالق ثروت

.. هذا الكتاب

* علم البلدان .. علم من العلوم التى سبق فيها علماء المسلمين الأوائل سبقا بعيدا ، وكان لهم فى ذلك عناية خاصة ببلدان الوطن الاسلامى . يصفونها ويبينون خصائصها الجغرافية والاجتماعية والسكانية والعمرانية .

* ورشيد ، احدى حواضر وثغور الوطن الاسلامى الكبير .. كانت — فى الماضى — حصنا من حصون الاسلام وقلعة من قلاعه ، ومنارة من مناراته — عاشت فى رغد من العيش وسعة فى الاسكان مع روعة فى البناء والعمران ، يعم أهلها أنس وايناس ، فقد حباها الله بموقع ساحر عند ملتقى البحرين .. موقع له أثره فى الهامات الحكمة ويقظة المشاعر والعواطف تراها فى ملامح الانسان الذى تربى فى أحضانها ولها من رصيدها الزاخر رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وصفوة من العلماء الاتقياء والادباء والشعراء الذين تساموا بالعلم والعقل والحس والشعور .

تبوأت رشيد مكان الصدارة فى حواضر مصر حين استقر فيها المماليك والأمراء وقناصل الدول — فوقعت فيها الفرمانات وأبرمت فيها المعاهدات بين الشرق والمغرب وتقدمت بها الصناعات المختلفة ، وازدهرت فيها التجارة ، ترسو بها السفن قادمة من الداخل والخارج حيث كان مجرى النيل هو الطريق الوحيد قبل فتح قناة السويس .

هكذا كانت رشيد فى ماضيها ، قبل حملة فريزر ١٨٠٧ م ، التى دمر فيها أبناء رشيد المجاهدين جحافل الانجليز ، وأدرك محمد على خطورة ما يتميز به أبناء رشيد على ملكه من بأس ووعى اسلامى لايخدع ولا يساوم — فتآمر على قتل أعيانها وتدمير اقتصادها وخراب عمرانها — ورغم المؤامرات الحاقدة ضدها والمعاديات المستمرة عليها فانها لاتزال تنبض بأصالة عميقة الجذور فى ضمير أبنائها . تهيب بهم أن يعملوا على أن يعيدوا لها مجدها ويرفعوا لها ذكرها (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

والمؤلف .. أحد أبناء رشيد ، نذر نفسه فى سبيل الله وفى سبيل توطيد أواصر الحب والاخاء بين المسلمين ، فهو — ولا نزكى على الله أحدا — ممن اتسع فى قلبه وشعوره أفق الوطن الاسلامى وسمت نفسه عن حدود الوطنية الجغرافية والعصبية الى وطنية الاسلام وعقائده الخالصة الصحيحة — وعقائده التى جعلها الله للعالم خيرا ورحمة وهدى ونورا ..

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

١ شارع منشا - محرم بك

ت : ٢١٧٨٨

الثمن ١٦٠

Bibliotheca Alexandrina
0541077

مطابع مدكور ٣٠ عبد الخالق ثروت بالقاهرة